



عَضِين

رواية

محمد أشرف فؤاد

رواية

عِضِينَ

محمد أشرف فؤاد

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر

الإلكتروني

<http://book-juice.com>

رواية

عِضِينَ

المؤلفة : محمد أشرف فؤاد

نشر في : أبريل ٢٠١٨

تصميم غلاف : إسلام محمد

تقييم وتصحيح : همام أحمد \$ أحمد ضياء

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني

الإهداء

إهداء روايتى لكل من حاول مساعدتى و آمن بقدرتى ..
إلى أبى و امى و إخوتى .. أصدقائى الذين شجعونى بأرائهم فيما كتبت
سواء ب النقد أو الإعجاب و دعمهم لي
.. ، لأصدقائى الأديباء .. إسلام وهيب ، محمد رجب ، مهاب ترجم ،
منة الله رأفت ، سلمى حسنى ، عمرو صلاح الدين
.. ، للأستاذة فريده الجوهري التى حاولت مساعدتى بشتى الطرق ،
الأستاذ محمد شوقي الذى آمن بفكره الروايه و وافق على نشرها
إلكترونيا ..
أهديها لقدوتى فى الأدب .. الدكتور خولة حمدى ، الدكتور مصطفى
محمود ، أحمد خالد مصطفى ، الأديب العالمى دان براون ..
أهدى هذه الرواية للقراء جميعهم ... ، و لكن جزيل الشكر

قبل أسبوعين

تبدو في منتصف عقدها الثاني، اعتادت أن تنام والحزن يرافقها..

في الشهور الأخيرة كان الخطر يطارد زوجها.. وهي كل يوم تنتظر ذلك الخبر السيء.. لا تعلم حينها كيف ستتصرف وكيف سيكون شعورها أو رد فعلها.. لا تعلم إن كانت ستموت من الصدمة أم ستبقى بقية حياتها تعيش.. ولكنها متأكدة أنها لن تتحمل فقدانه.. تكون على قمة العالم عندما تعلم أنه ما زال حيًا وأنه بخير وتكون أتعس خلق الله عندما ينتشر خبر ما يوحي بأنه في مأزق أو تسمع خبر وفاته أو حتى عندما لا تعلم عنه شيئًا، لكنها كانت تمنى النفس بأن كل تلك الأخبار كاذبة وسيكون بخير قريبًا، تلجأ لربها بالدعاء... ولا خاب من لجأ لربه..

أيقظها رنين هاتفها المحمول.. صديقتها أمني تتصل بها في وقت متأخر.. ترددت أن ترد عليها.. تتصل بها في الرابعة فجرًا هذا يوحي بأن هناك خبرًا سيئًا وهي غير مستعدة إطلاقًا لسماع خبر من هذا النوع في هذا الوقت على الأقل.. حاولت تجاهل صديقتها لكن قلبها حثها على الرد..

● أمني؟ هل أنت بخير؟!

ردت أمني وصوتها يوحي بالأرتباك..

● آسية... افتحي التلفاز بسرعة، هناك خبر هام..

● خبر هام؟! ماذا يجري يا أمني؟!

ردت أمني بحماسة..

● خبر يتعلق بعمر يا آسية، لا أصدق عيني..

أسرعت آسية لفتح التلفاز وأمسكت بجهاز التحكم وارتبكت ماذا عليها أن تفعل؟! سألتها..

● على أي قناة يا أمانى؟

ردت بسرعة ...

● على قناة "exclusive news" ..

قلبت آسية القنوات بسرعة إلى أن وصلت لهذه القناة فعلاً، حدثت فيها غير مصدقةً لما تراه أو تقرأه حتى أن هاتفها سقط منها وتفكك وهي لم تشعر به، تحاول استيعاب الخبر أو تصديقه على الأقل!

"عاجل ... وصول صاحبي "فيديو القرن" إلى مطار القاهرة منذ قليل..."

قرأت الخبر عدة مرات للتأكد أنها لا تحلم أو تتخيل.. تساءلت.. عمر؟! عمر هنا في مصر؟!.. لا تصدق ما تقرأه.. نسيت تمامًا أنها كانت تكلم صديقتها.. التفت لهاتفها المفكك وقامت بتجميعه مجددًا بذهنٍ مشتت.. رن هاتفها من جديد فور أن قامت بإعادة تشغيله.. هذه المرة ليست صديقتها.. إنه مدير المستشفى التي كانت تتعالج فيها ..

تطير قلبها من الفرحة.. لقد أخبرها أن زوجها قد عاد وهو في طريقه للمستشفى.. ليس هذا فقط.. بل أرسل إليها سيارةً تابعة للقوات المسلحة لنقلها هي ووالدة زوجها لمطار سوهاج الدولي تمهيدًا لنقلهما إلى القاهرة خلال ساعات لتكونان بجانبه..

في ظرف دقائق كانت كلتاها في الشارع تسرعان حتى وصلتتا لسيارة القوات المسلحة التي كانت بانتظارهما وركباها وانطلقوا جميعًا ناحية المطار ..

الساعة الرابعة والنصف صباحًا تظهر سيارات الشرطة وتوسطهم سيارة إسعاف في شوارع القاهرة المؤدية للمستشفى العسكري.. يبدو كموكب لشخصية هامة، دقائق قليلة وكانت السيارات قد وصلت للمستشفى.. كان

الجميع هناك جاهزون لاستقبال هذه الشخصية، نزلت من سيارة الأسعاف فتاةً تبدو في منتصف العشرينات من عمرها.. يبدو عليها الأرهاق.. كانت شارة الذهن..! حاولت مساعدة رجال الأسعاف في جر النقالة التي تحمل هذه الشخصية لكنها تركت الأمر لهم، أسرعرت بجانبهم لدخول المستشفى، دخلوا جميعًا المصعد عداها هي التي قررت أن تصعد السلم لضيق مساحة المصعد، نادتها إحداهم ...

● ماريان ..

التفتت ورائها ناحية الصوت، فتاة تبدو في نفس سنها تقريبًا، اقتربت الفتاة منها ..

● حمدًا لله على سلامتِك يا ماريان، جميعنا مسرورين بعودتِك ..

بدا على ماريان التثنت وعدم التركيز.. جذب انتباهها الميكروفون الذي تمسكه الفتاة، يحمل اسم القناة التي كانت تعمل فيها قبل رحلتها التي خاضتها، أكملت الفتاة..

● بفضل عمكِ أصبحنا القناة الوحيدة المرخص لها بتغطية الأحداث هنا بعد رجوعكم، والآن أريد بعض التفاصيل لننفرد بالأخبار ..

كانت ماريان منهكة لا تستطيع أن تقف كثيرًا على السلم، فكرت للحظات قليلة ثم وافقت..

● حسنًا، أتبعيني رجاءً ..

استوقفها صوت جاءها من ورائها فجأة ..

● لا يُسمح بهذا الأمر الآن يا ماريان ..

التفتت كلاتهما نحو الصوت، رجل يرتدي ملابس رسمية يبدو مهمًا، سألته ماريان ..

● من أنت؟! وكيف يمكنني مساعدتك!؟

رد الرجل عليها ..

● ليست مساعدة.. بل أمر ورجاءً لا تخالفي الأوامر، لا تدلي بأي معلومات أو تصريحات على الأقل في الوقت الراهن..

ثم نظر للفتاة الأخرى..

● وأظن أن رئيس القناة قد أخبرك أنه كي يحصل على التصريح كان لنا شرطاً وهو عدم نشر أي خبر إلا بعد موافقتنا.. أليس كذلك؟!

هزت الفتاة رأسها إيجاباً لقد فهمت كلاهما أن هذا الرجل من الأمن الوطني، تركهم وصعد بمفرده وصعدنا وراءه للطابق الثاني حيث غرفة العمليات.. جلست لتتراخ على أحد كراسي الاستراحة بجانب غرفة العمليات التي دخل فيها عمر، يظهر عليها التعب والأرهاق، أسندت رأسها للوراء وارتخى جسدها.. تحاول تذكر ما كان يجب عليها فعله بعدما تستريح قليلاً لكن ذهنها كان مشوشاً.. لا تستطيع التركيز، أغمضت عينيها لتستجمع تركيزها.. مرت لحظات طويلة وهي تشعر بارتخاء في جسدها.. فجأة فتحت عينيها بعدما سمعت صوت أحدهم قادم نحوها.. فتحت عينيها ونظرت للساعة.. لقد غفوت قليلاً.. لاحظت قدوم فتاة بسرعة وتتقدم نحو غرفة العمليات.. دخلت فعلاً لكن الممرضات أخرجتها..

● غير مسموحٌ سيدتي، عليكِ الانتظار خارجاً..

كانت تريد الدخول عنوة، كانت غاضبة..

● لكنني أخبرتكم أنني زوجته.. أريد الأطمئنان عليه.. رجاءً

● حسناً يمكنكِ أن تبقي خارجاً من فضلك..

جذبت ماريان يدها، التفتت إليها آسية وسألته ماريان والدهشة باديةً عليها..

● أنتِ آسية؟! غير معقول.. أنتِ أجمل مما كنت أتخيل..!

نظرت إليها آسية نظرة مستفسرة عن هوية ماريان..

● لا تقلقي، تعالي معي..

نظرت آسية نظرة أخيرة لغرفة العمليات ثم أصطحبتها ماريان لكراسي الاستراحة..

● قبل كل شيء أود أن أهنئك على تماثلك للشفاء تمامًا ورجوعك لطبيعتك مرةً أخرى.. أنا مسرورةٌ جدًا لأجلك.. كنت أود دائمًا أن أراكي ولو لمرةً واحدة..

ما زالت آسية شاردة الذهن وكأن لا أحد يكلمها، سألتها ماريان..

● لماذا تبدين قلقةً هكذا؟! زوجك بخير صدقيني..

● حقًا؟! أذن لماذا غرفة العمليات؟!!

● صدقيني هو بخير.. مجرد كدمات فقط

● كدمات؟!.. وهل الكدمات تحتاج لعمليات؟!!

● التدخل الجراحي هنا ليس خطيرًا صدقيني، ربما تكون هناك رصاصة مستقرة في يده أو كتفه لابد من أخراجها، فقط لا غير.. لا تقلقي رجاء..

كانت لا تستطيع إخفاء قلقها...

● لم أره أكثر من سنة وعندما أعلم برجوعه أخيرًا أراه في غرفة العمليات؟!!

ربتت ماريان على كتفها..

● عليك أن تشكري الله يا آسية، من كان يتوقع رجوعنا مصر مرةً أخرى، لقد فقدنا الأمل كليًا في العودة.. لا

أصدق أننا هنا!

أسندت رأسها للوراء..

● حتى أنني ما زلت أتوقع كابوسًا مثل ما كان يحدث معنا باستمرار..

إلتفت إليها وهي تبسم..

● أنتِ محظوظةٌ بأمالككِ رجل مثل عمر.. أنه يُحبك كثيراً..

ابتسمت آسية ..

● أعلم ذلك.. لطالما كان يحقُّ لي التكبر والغرور به دائماً..

قاطعت حديثهما امرأة جاءت متأخرة بعض الوقت عن آسية عرفتها ماريان أنها والدة عمر..

● آسية.. أين عمر!؟

ردت ماريان بدلاً عنها..

● عمر بخير يا خالة.. هو حالياً في غرفة العمليات.. بعض الكدمات فقط..

بدت قلقة هي الأخرى، نظرت لآسية نظرة مستفسرة عن هوية ماريان..

● نسيت أن أعرفكم بنفسي.. أنا ماريان.. أنا من قمت بتصوير فيديو القرن الذي يظهر فيه عمر وهو..

سكتت فجأة ولم تكمل كلامها.. أدركت أنها تتكلم مع والدة عمر، لم تُرد أن تذكرها بتلك الحادثة، عملت على تغيير الموضوع حالاً، ألتفتت لآسية..

● دائماً ما كان عمر يكلمني عنكِ وعن حيكما لبعض، محظوظة أنتِ لأنكِ تملكينه، على الجميع أن

يحسدك..

شعرت آسية بالغيرة قليلاً..

● يبدو أنه كان يثق بك كثيراً..

ابتسمت ثم قالت..

● بعد تصوير هذا الفيديو أصبحنا معًا طوال هذه الرحلة، أنقذته فعمل على ردها لي.. كانت أمامه الفرصة للهروب والعودة لكنه فضل أن نرجع كلانا لمصر.. أنا كذلك في الأيام الأخيرة تلك سنحت لي الفرصة للعودة لكنني قد قررت البحث عنه والعودة معًا..

بدت آسية ممتنةً لها..

● شكرًا لكِ ماريان..

● أنا من يجب أن أشكره.. لولاه لم أكن على قيد الحياة أصلًا..

تذكرت شيئًا..

● تذكرت أنني يجب أن أطمئن والداي، سأرجع إليكم بعد قليل.. أنتظراني هنا

اتصلت ماريان بعمها لتطمئنه عليها وكذلك ليطمئن والديها عليها، ثم اتفقت معه على عمل مداخلة تليفونية مع المذيعة شيرين...

المذيعة شيرين عبد النور في تغطيتها لهذا الحدث عبر اتصال هاتفي مع ماريان..

" - والآن معنا ماريان من المستشفى العسكري بالمعادي.. أهلاً ماريان.. حمدًا لله على سلامتكم... "

ردت ماريان بصوتٍ مرهق..

● شكرًا لكِ شيرين..

● تبدين مرهقة يا ماريان! يبدو أنكِ لم تنامي لأيام..

ابتسمت ماريان بسخرية..

● النوم؟ تبدو هذه الكلمة مألوفةً لي.. أتذكر بأن معناها الراحة، أليس كذلك؟!

● يبدو بأن لديكِ الكثير لتقولينه يا ماريان..

● طول هذه المدة لم نعرف معنى النوم يا شيرين.. كنا ننام على خوفٍ ونستيقظ على قصف.. حياتنا كانت جحيماً.

● أين عمر الآن يا ماريان وكيف حاله!؟

● أسمعيني يا شيرين.. لا يمكنني أن أتحدث أكثر من أن أطمئن الجميع علينا الآن، لكن أعدك بعد أن أنتهي من التحقيق سأخبركم بكل شيء حصرياً..

● ولماذا التحقيقات؟

● إجراء روتيني فقط، لا تقلقي..

● حسناً.. أتركك الآن لترتاحي يا ماريان ولنكمل كلامنا بعد أن ينتهي التحقيق...

● حسناً

ويتم إنهاء الحوار..

بعد ساعتين في غرفة العمليات خرج أخيراً.. تهافتت عليه آسية بعدما خرجت به الممرضات ولاحقتهم حتى غرفة العناية المركزة..

لم تصدق آسية عينها بعد.. تخاف أن تستيقظ ويكون ما يحدث الآن معها مجرد حلم، تمرر يدها على شعره.. تريد أن تتأكد أنها تلمسه هو حقاً، قبلته على جبينه، أخيراً شعرت بنبض قلبها يعمل من جديد بعد أن توقف تقريباً، نور عينها بعد أن فقدت بصرها، روحها بعد أن صارت ميتة، فكرت في أن تنام قليلاً على الأريكة التي بالغرفة.. تريد أن يمر الوقت بسرعة لتراه بخير.. ستلجأ للنوم!

ابتسم حين رأهما يلعبان معًا، كانا يلعبان بالكرة وفجأة تعثر أحدهما، أسرع ليطمئن عليه..

● مهند.. هل أنت بخير؟!

بدأ مهند يصرخ ويبكي، إنه ينزف بشدة من كتفه، ليس مجرد تعثر، صرخ بصوتٍ عالي والطفل الثاني يحاول تهدئته..

● كن شجاعًا يا مهند، تحمل الألم أرجوك..

● سأخبر الله بكل شيء يا إيلان.. سأخبر الله بكل شيء!

أتسعت عيناه حين رأى ذلك الطفل يخرج منه جناحين! أمسك بمهند وهم بالطيران به..

● إلى أين أنت ذاهبٌ به يا إيلان؟!

رد إيلان وكأنه يحاول مساعدة صديقه..

● سنذهب معًا لله، سنخبر الله بكل شيء يا عمر!

بدا حزينًا.. لن يراهما مجددًا..

● سأفتقدكما يا رفاق..

● ونحن كذلك يا عمر.. سنفتقدك كثيرًا.. لكن نحن نقف بأنك ستلحق بنا قريبًا، مع السلامة يا عمر..

فتح عينيه.. لقد كان يحلم على كل حال، المكان مُظلم لكنه ليس دامسًا.. حاول استيعاب أي شيء لكنه لم يُفلح، أغمض عينيه مجددًا ليحاول أن يتذكر أي شيء.. وردت على ذهنه ذكرياتٌ كثيرة متلاحقة جعلت عقله مشوشًا.. فتح عينيه مجددًا، تساءل.. أين تراه يكون؟! حاول تحريك نفسه لكنه شعر بثقل في جسده.. لا يستطيع التحرك! حرك رأسه على جانبه الأيسر فوجد أحدهم نائمًا... تذكر.. لا بد وأنها ماريان، عيناه نصف

مفتوحتان، حاول أن يناديها لكنه لم يستطع كذلك.. حاول أن يفتح عينيه بالكامل والتركيز أكثر لاستيعاب الأمر.. أمعن النظر ناحيتها، بدأ يدرك الأمر.. هذه ليست ماريان، لكن من المستحيل أن تكون هي من يفكر بها.. لا لا مستحيل.. آسفة؟! ما الذي جاء بها هنا.. مستحيل.. أنه يحلم، بالتأكيد يحلم!

البدايات

القاهرة

كان يومه سيئًا خاصة بعدما حدث خلاف كبير مع المذيعة شيرين.. خلاف قد يؤدي لفض الشراكة معها وبذلك ستخسر المحطة الأموال التي تأتي من الإعلانات التي تأتي من طرفها وبالطبع برنامجها يستولي على أكثر من ٧٠% من الإعلانات، يصفها دائمًا بزوجة أبليلس! أمام التلفاز تظهر بوجه ملائكي بريء.. أما ما وراء الشاشات فإنها تتحول لكائن مخيف كالأفعى مثلًا..

ما قطع تفكيره صوت طرقات على باب مكتبه.. تلك الطرقات يعرفها جيدًا..

● أدخلي يا ماريان..

أطلت برأسها للدخل.. تلك الفتاة الذي طالما قام بتربيتها بدلًا من والديها..

● أنت منشغل يا عمي!؟

تناسى كل همومه بمجرد رؤيتها، أبتهج لرؤيتها..

● حتى لو كنت كذلك.. سأتفرغ لأجلك بالطبع..

دخلت والفرحة باادية بجلاء على وجهها، جلست أمامه..

● كنتُ في الجامعة وأنهيت يومي هناك وكنت في طريقي للبيت لكنني فكرت أن أطمئن عليك أولًا..

نظر إليها نظرة متحدية وكأنه يعرف أنها تخبئ خبرًا وراء كلامها..

● فقط!؟

سؤاله هذا جعلها تضحك.. تعبيرات وجهها فضحتها أمام عمها..

● حسنًا.. لقد ظهرت نتيجتي وما زالت أحفظ بمركز الصدارة للفصل الدراسي الثالث على التوالي..

قام من مكتبه فرحًا فاتحًا ذراعيه ليعانقها فرحًا، ربت على كتفها بابتهاج..

● هكذا ترفعين رأسي وتؤكدين على جدارتك بالعمل هنا في المحطة حتى قبل أن تتخرجي من الجامعة، دائمًا ما كنتُ أثق بكِ يا ماري..

قطع فرحتهم رنين هاتف مكتبه.. رفع السماعه وأنصت باهتمام..

● حسنًا.. حسنًا، سأرسل طاقم القناة لهنالك حالًا..

قالها لمن يهاتفه وهو ينظر لماريان بابتسامة، أغلق الاتصال والتفت إليها..

● وما رأيك في تغطية مظاهرات عند القصر الرئاسي كهدية مني بسبب نجاحك وتفوقك؟!!

قفزت ماريان فرحة من مكانها، قبلته ثم خرجت من مكتبه مسرعةً لعملها الذي يكلفها بها عمها دائمًا.. رفع سماعة الهاتف طالبًا غرفة الإعدادات ليرسلوا طاقم تغطية مع ماريان..

ظهرت ابتسامة الفخر على وجهه، طالما كان واثقًا دائمًا بماريان التي ترفع رأسه ويفتخر بها أمام الجميع خاصة شيرين، منذ أن راهن بماريان للعمل بالمحطة كمراسلة أخبار وهي تسلب حب الناس من شيرين لصالحها، أصبحت تنافسها في الشهرة تقريبًا.. أصبحت ماريان أصغر مراسلة تلفزيونية تعمل بالإعلام وهذا ليس بسبب عمها الذي يعمل كمدير للمحطة بالشراكة مع شيرين.. لا لا.. دائمًا ما كانت ماريان تُظهر موهبتها في تغطية الأحداث، وسلبت من شيرين جزء من شهرتها كونها دائمًا في قلب الأحداث ومُعرضة للخطر لعكس شيرين التي تجلس في المحطة وأمام التلفاز في أمان..

عادت ماريان للبيت متأخرة بأقصى درجات الإرهاق بعد سهرها الليلة السابقة للمذاكرة وامتحان نصف الفصل الدراسي الثاني في صباح اليوم ومن بعدها تغطيتها لمظاهرات اليوم.. دخلت غرفتها وارتمت على سريرها في تعبٍ

وإرهاق شديدين وما كان ينقص من يومها شيء إلا أن تأتي والدتها لتعاتبها، دخلت والدتها الغرفة والغضب بادياً عليها..

● أين كنتي طوال اليوم يا ماري؟! لماذا تأخرتي كل هذا الوقت!؟

لم يكن لدى ماريان أي طاقة لتدخل مع والدتها في نقاش..

● امتحنتُ صباحًا في الجامعة ثم ذهبت لعمي في المحطة..

بدأ صوت أمها يرتفع غضبًا..

● توقعت هذا يا ماري، أنتِ مُقبلة على أيامٍ صعبة بسبب الامتحانات وأنتِ كل همك هو العمل في القناة،

لماذا تهملين المذاكرة يا ماري!؟

أسندت ماريان نفسها بصعوبة وجلست بوعي نصف غائب..

● إهمال!؟ عن ماذا تتكلمين يا أمي!؟ نسيت أن أخبرك أن نتيجة النصف الأول قد ظهرت.. مازالت في المركز

الأول يا أمي.. فكيف أهمل دراستي كما تقولين!؟

ردت والدتها بعصية..

● عملك في القناة سيشغلك حتمًا عن المذاكرة وربما تفقدين مركزك هذا لاحقًا..

ردت ماريان وهي تحاول إنهاء الكلام مع والدتها..

● هذا بدلًا من أن تشجعيني على المواصلة بعدما أدركت جيدًا أن عملي بالمحطة يشجعني على تكملة دراستي

في الجامعة وبتفوق!؟ كان يمكنني بكل سهولة اختيار العمل مع عمي في المحطة وعدم تكملة دراستي! وليس

هذا فقط يا أمي.. أنا الأولى على زملائي.. ماذا ينقصني إذن!؟

ينخفض صوتها تدريجيًا وبدأت تغيب عن الوعي كليًا..

● لا تقلقي يا أمي، أنا...

لم تكمل كلامها لأنها غرقت في النوم بسبب الإرهاق الذي تملكها، صحيح أنها فقدت الوعي تقريبًا إلا أنها ما زالت تدرك صوت والديها وهما يُعَاتبان بعضهما بصوتٍ عالٍ بسببها، لكن ماريان اعتبرت أن ما يحدث هو مجرد حلم!

سوهاج

دخلت مكتبة الكلية لأول مرة منذ التحاقها بكلية الزراعة، وكغالبية طلاب هذه الكلية فإن التنسيق قد أجبرها على الالتحاق بكلية الزراعة ولذلك تظهر علامات عدم الرضا والامتناع على وجهها، عُرِفَت بين صديقاتها بابتسامتها التي لا تُفارق وجهها لكن فيما يتعلق بالدراسة تبغض الأمر كثيرًا.. دخلت آسية المكتبة وتوجهت لأمانة المكتبة..

● صباح الخير..

ردت الأمانة..

● صباح الخير.. كيف أساعدك!؟

● أنا آسية، أدرس في الصف الثاني.. كُلفت بعمل بحث في مادة الاجتماع الريفي، كيف يمكنني تجميع البحث من فضلك!؟

يبدو اسمها جذابًا لأي شخص يسمع هذا الاسم لأول مرة، وهذا ما حدث فعلاً مع عمر الذي يجلس في آخر القاعة.. تساءل في نفسه، آسية!؟ وفي الصف الثاني، غريب.. اسمٌ مميزٌ كهذا لم أسمع عنه إطلاقاً طوال سنتين في الكلية وهي معي في نفس السنة الدراسية!! وما قطع تفكيره إشارة أمانة المكتبة لآسية في اتجاهه..

● حسناً.. أترين هذا الشاب الذي يجلس هناك!؟

هزت آسية رأسها إيجاباً، أكملت أمانة المكتبة كلامها..

● هو أيضاً في الصف الثاني وهو غالباً يقوم بكتابة البحث نفسه المطلوب منك، تلك الرفوف وراءه فيها الكتب المتعلقة بذلك البحث..

● حسنًا.. أشكركِ سيدتي..

سارت آسية باتجاه عمر أو بالأحرى باتجاه رفوف الكتب الموجودة خلفه، بطبيعة الحال فضّلت أن تبحث هي بنفسها على أن تسأله.. فيما انشغل عمر بإكمال كتابة البحث..

لدقائق ظلت آسية تبحث في عناوين الكتب عن موضوع بحثها.. لم تدخل المكتبة من قبل لذلك بدا الأمر صعبًا بالنسبة لها، أما عمر فتوقف عن إكمال بحثه بسبب وجود آسية خلفه.. فاض به الأمر فقرر أن يساعدها حتى يتمكن هو من إنهاء توترها هذا وإنهاء كتابة بحثه هو أيضًا..

● هل يمكنني مساعدتكِ؟!؟

شعرت آسية في لهجته بأنها قد أزعجته وعطلته عن أكمل بحث..

● أنا آسفة.. هل أزعجتكِ؟!؟

● لا أبدًا..

● عذرًا، لكنني لأول مرة أدخل المكتبة، كنتُ أريد كتابة بحثٍ عن "دور المكاتب الإرشادية في تنمية الريف المصري" ولا أعرف من أين أبدأ!

التفت عمر لرف الكتب واختار ثلاثة كتب وكأنه يعرف هذه الكتب عن ظهر قلب ثم أعطاها لها.

● هذه الكتب فيها موضوع بحثك، لقد قُمت بكتابة هذا البحث الأسبوع الماضي، أما بخصوص دخولك لهذه المكتبة للمرة الأولى فهذا طبيعي جدًا في كُليتنا.. أنا لا أدخلها محبةً فيها.. مرغم أخاك لا بطل..
أبتسمت آسية شاكرة له..

● حسنًا.. شكرًا جزيلاً لك، وآسفة مرةً أخرى لأزعاجك..

● على الراح والسعة..

أخذت الكتب منه وجلست بجانبه دون قصد، كانت قريبةً من رف الكتب الخاص بالبحث..

بعد دقائق أنهى عمر كتابة بحثه وهو لا يدري لماذا لا يزال جالسًا في مكانه متظاهرًا بأنه مازال يكتب بحثه! هل أعجبه الكلام معها؟! ماذا لو يفتح معها نقاشًا آخر؟!.. تردد للحظات ثم انطلق لسانه فجأة..

● كيف حال مُذاكرتك لمادة الإحصاء؟!

فاجأها سؤاله، التفتت إليه..

● هذه المادة لا أذكرها تقريبًا، لم أفهم شيئًا من شرح الدكتور في المحاضرات السابقة، وطالما لم أفهم شيئًا في أي مادة لا أذكرها أصلًا.. هذا يبدو حلًا سهلًا..
رد عليها بسخرية..

● لستي الوحيدة هكذا.. دكتور المادة عقيمٌ عقليًا، وليس هو فقط.. معظم أساتذة الكلية هكذا..

قابلت آسية سخريته هذه بضحكة خافتة، تابع عمر كلامه محاولًا إطالة الحديث معها..

● الفارق بيني وبينك هو أنني أرغمتُ نفسي على مُذاكرة المادة وعمل تلخيص لها، لو أردتِ الحصول على نسخةٍ منه لن أمانع..

وكان أحدهم أنقذها من مصيبة، فرحت جدًا بأقتراحه..

● هذا إن لم يسبب لك إزعاجًا أو يضايقك الأمر..

● لا.. لن يضايقني الأمر، بل سيسرني الأمر كثيرًا.. سيكون التلخيص جاهزًا لك غدًا باذن الله..

كانت سعيدةً جدًا بمساعدته لها، ويبدو أنها قد أنهت بحثها بالفعل أو أنها اكتفت بهذا القدر اليوم.. جمّعت أوراقها وهمت بالمغادرة..

● أنا ممتنةٌ لك، شكرًا لك..

● هذا من دواعي سروري..

غادرت آسية المكتبة بالفعل وظل هو لدقائق يتأمل في حديثه معها، أدرك فجأة أن هناك مُحاضرة قد بدأت بالفعل، نظر في ساعته فأدرك أنه قد مر على بدء المحاضرة ربع ساعة تقريباً.. أدرك أن آسية لم تكمل كتابة البحث وأسرعت فقط للحاق بالمحاضرة...

لقد تم لقاء آخر بينهما وتكلما كثيراً، استرسلا في الكلام لوقتٍ طويل دون أن يضع كلاهما الوقت في الاعتبار.. تطرقا لموضوعات كثيرة كان أغلبها فيما يخص المواد التي يدرسانها، انجذب كلاهما نحو الآخر، ولعل هذا الأرتياح في الحديث معها كان سبباً هاماً لينشغل باله اليومين الماضيين..

لقد صنع عمر بداخله شخصيةً وهمية يستطيع أن يصارحها دون قيود وبأمان ودون خوف.. لقد كان يؤمن بأن أقرب صديق له هو نفسه، كان يحاور نفسه..

- إلى متى ستظل تفكر كثيراً؟! ألا تلاحظ أنك بدأت بإهمال دراستك مرةً أخرى؟!
 - ماذا عساي أن أفعل؟! انجذبت إليها فجأة.. أظن أنها مناسبةٌ لي، أليس كذلك؟!
 - لن أجيبك على سؤالك هذا الآن أبداً، كيف يمكنك أن تقرر ما أن كانت مناسبةٌ أم لا لمجرد أنك قابلتها مرتين فقط؟! ألم تتعظ مما حدث معك سابقاً؟! ألم تندم على تسرعك هذا؟!
- انتفض جسد عمر فجأةً بحركةٍ مزاحيةٍ من صديقه أحمد الذي قطع الحوار بينه وبين نفسه..

● يا غبي، لا تفعل هذا ثانيةً..

وقف أحمد أمامه ورفع حاجبيه وهو ينظر لعمر، ثم جاءته فكرة رافقتها أبتسامة ماهرة..

- أنا غبي؟! حسناً.. سأغادر لكن لا تسألني عن المعلومات التي حصلت عليها.. سلام..
- همّ بالمغادرة لكن عمر أسرع وأمسكه من ذراعه في حركة توسلية..

● حسناً.. حسناً يمكنك فعل هذا ثانيةً لكن أخبرني.. ماذا عرفت عنها؟!

● عرفت عنوانها وعرفت أيضاً أن أباها دكتور صيدلاني ويملك صيدلية باسمه بالقرب من بيتهم..

رفع عمر حاجبيه في دهشة..

● فقط؟!

تعجب أحمد من سؤاله ..

● فقط؟! وهل كنت تتوقع معلوماتٍ أكثر في يومٍ واحد فقط؟! عليك أن تشكرني على هذه المعلومات!

زفر عمر ثم أستسلم ..

● حسنًا هذا يكفي الآن .. شكرًا

هنز أحمد رأسه نافيًا ..

● ليس بهذه الطريقة .. شكري أنا له طريقةً أخرى أنت تعرفها جيدًا .. وجبة غذاء في مطعمٍ فاخر ..

ظهرت ابتسامةٌ ماكرة على وجه عمر ..

● حسنًا وجبة غذاء في مطعمٍ فاخر لكن أخبرني أولاً .. كيف حصلت على هذه التفاصيل؟ لا تقل لي أنك

تتبعتها .. أنت لا تعرفها أصلًا ..

● قدراتٍ خاصة، الصحفي لا يُفصح عن مصادره ..

رفع حاجبه بسخرية ..

● حسنًا .. أنا أعرف مصادرك تلك لكن السؤال الأهم هنا .. هل عرفت تلك المعلومات من ياسمين أم سارة أم

نور؟!!

أجابه أحمد سريعًا مازحًا ..

● إيمان ..

ضحكا بصوتٍ عالٍ، خطر على بال أحمد سؤال ..

● لكن لماذا تسأل عنها؟! بهذه السرعة نسيت تجربتك الماضية؟!!

زفر عمر عندما سمع هذا السؤال ..

● لماذا جميعكم ضدي؟!!

تعجب أحمد من سؤاله ..

● تقصد من جميعكم؟!

● أنت وعقلي .. تتهماني بأني أحاول نسيان تجربتي السابقة بأسية، أنا فقط انجذبت إليها والأيام القادمة ستُظهر لي ما إذا كنت فعلاً أحاول نسيان تجربتي السابقة بها أم أنها بدايةً جديدة..

نظر أحمد في ساعته..

● حسنًا.. هيا لنسرع، لا بد وأن لا نغيب على آخر محاضرة لعل وعسى يُفاجئنا دكتور المادة بحذف نصف المنهج مثلاً..

سخر عمر منه وأسرعاً لحضور آخر محاضرة في هذه السنة..

كانت تعاني صعوبة الاعتراف بأن هناك فتاة في سن المراهقة تُنافسها شهرةً في الساحة الإعلامية، هذا الاعتراف جاء بعد أن علمت بتلك العروض التي تلقتها ماريان للعمل بأكبر وكالات الأنباء العالمية ويتم رفض تلك العروض من قبل عمها ثروت لأنها لم تُكمل دراستها بعد، هي أيضاً غير مستعدة للتخلي عن مكانتها كأشهر إعلامية في مصر والشرق الأوسط..

المشكلة هنا أن ماريان متفوقة دراسياً، حاولت أن تعرقل تفوقها هذا بأكثر الأشياء إثارةً في حياة ماريان.. العمل الميداني كمراسلة، كانت تُرسلها لتغطية أحداثٍ كثيرة في محاولةً منها للتأثير على تركيزها خاصةً أنها تخوض امتحانات آخر العام لكنها تتفوق أيضاً.. فكرت في التأثير على والديها لمنعها لكن ماريان دائماً ما كانت تُثبت لهم العكس وتبطل حججهم.. عملها بالمحطة هو سر تفوقها في الدراسة..

فكرت بطريقة مختلفة هذه المرة.. ماذا لو لجأت لموهبة ماريان لتضُر بماريان نفسها.. تستخدم تفوقها ضدها!

كانت شيرين في مكتبها تنتظر قدوم ماريان للمحطة كالعادة بعد أي امتحانٍ لها، طرق أحدهم باب مكتبها..

●أدخل...

أفتح الباب ودخلت ماريان وقد لا يُخفي عليها توجسها من الابتسامة التي استقبلتها بها شيرين..

●من الغريب أن تطلبني الأستاذة شيرين عبد النور بنفسها، لا بد أن تسجل صفحات التاريخ هذا..

ضحكت شيرين من سخريتها...

●ولماذا كل هذا الاندهاش والتعجب يا ماريان؟! الأمر بسيطٌ جداً..

بدت على ماريان الحيرة..

●حسناً.. أتشوق لسماحك..

●أولاً.. كيف كان امتحانك اليوم؟!

رفعت ماريان حاجبها في قلق..

● كارثة.. لقد أخطأت في نقطة في السؤال الثاني وأظن أنني سأفقد مركزي..

التفتت إليها بكل جسدها..

● لكن لا أظن بأنك تطلين مقابلي لتسأليني عن حال الامتحان معي اليوم.. شيرين لا تفعل ذلك..
صدقيني..

ابتسمت شيرين تعجباً للدكاء ماريان..

● ولماذا لا أفعل ذلك يا ماريان؟! أنا لست بهذا السوء..

بادلتها ماريان الابتسامة..

● الامر لا يريحني كثيراً.. اعذريني فأنا صريحة لحد الوقاحة أحياناً، لكن دعينا نرى ما طلبتيني لأجله وحينها
يمكنني أن أعرف سبب قلقي..

ساد بينهما الصمت للحظات، تكلمت شيرين بجديّة..

● قد يأتي للبعض منّا فرصة إذا أضعها سيندم بقية عمره عليها وقد يعيش على أمل تكرار الفرصة لعل وعسى
يستغلها هذه المرة.. هذا إن جاءته أصلاً

سكتت للحظة ثم أكملت كلامها..

● حلم أي شاب هو العمل معي في طاقم برنامجي..

سكتت لحظة أخرى ثم سألتها..

● ها.. موافقة أم أن لك رأيي آخر!؟

قطبت ماريان حاجبها في عدم فهم..

●

● رأيي في ماذا؟!؟

● ظننتك أذكى من ذلك وستفهمين قصدي.. أنا أعرض عليك العمل ضمن طاقم برنامجي كمراسلة ميدانية.. فقط!

حدقت فيها ماريان.. آخر ما كانت تتوقعه من شيرين أن تعرض عليها العمل معها، ابتسمت ثم قامت من مكانها وأدارت ظهرها لشيرين..

● حقاً أنا مندهشة من اقتراحك هذا.. تعلمين أنني سأرفضه ومع ذلك خاطرني بكبريائك أمامي وفعلتي ذلك.. التفتت إليها ثم كلمتها بجديّة..

● أنا أعمل بحرية ودون قيود.. أعلم بمكان الحدث هنا أو هناك فأسرع للتغطية والانضمام لطاقم أي برنامج الذي يصادف ميعاد بثه موعد حدوث الحدث.. عملي ضمن طاقمك الخاص يعني أنني سأتقيد بأوامرك وبرنامجك فقط وهذا لا يُناسب أسلوبِي يا شيرين..

توقعت شيرين أن نقاشها مع ماريان لن يكون سهلاً، لكن لم تتوقع الرفض أو الرفض بهذه الطريقة المهينة لها..

● أترفضين العمل مع أكبر إعلامية في مصر والشرق الأوسط؟! هل يُمكنك تخيل معنى رفضك هذا؟!؟

● بالطبع يُمكنني تخيل هذا.. يُمكنني تخيل الأمر حين أتخرج من الجامعة ويُقدّم إليّ عروض للعمل في وكالات أنباء عالمية وعرضك أنت كذلك سيكون من ضمن تلك العروض.. يُمكنني حينها أن أقرر أي عرضٍ سأقبل وأظنك تعرفين ماذا سأقرر بالطبع!

قالتها ماريان بسخرية مما جعل شيرين يحمرّ وجهها غضباً، قطبت شيرين حاجبيها لكن ماريان التفتت لتخرج من مكتبها وهي تختتم هذا الحوار..

● لقد أخبرتك أنني صريحة لدرجة الوقاحة لكن يبدو أن وقاحتي تلك مع البعض نعمة..

خرجت دون أن تنطق بكلمةً أخرى، فيما بقيت شيرين تحاول أن تستوعب ما حدث، كان هناك احتمال أن ترفض عرضها لكن ليس بتلك الطريقة!

● حسنًا ماريان.. أعتزُّ بأنك نجحتي في جعلي أخوض حربًا معك لكن ستندمين لاختيارك الشخصية الخطأ،
الأمر ليس بتلك السهولة يا ماريان.. ستدفعين الثمن..

لم تُقابله سوى مرتين فقط.. مرتين لم تشعر فيهما بشيء نحوه لكن ما يفعله هو يستحق التفكير قليلاً، ورغم أنها لم تعرفه مسبقاً إلا أن تصرفاته تبدو غريبة.. تساءلت.. لماذا يقوم بمراقبتها دائماً؟! لماذا يتبعها في كل مكان في الجامعة؟! لماذا انتقل خصيصاً من فصله العملي لفصلها؟! ما معنى كل تلك النظرات؟! أهي بداية تجربة عاطفية بالنسبة لها؟! لم تكن تعرف شيئاً عن التجارب العاطفية ولم تسمع عنها سوى في الروايات والأفلام فقط، لم تكن تعلم ماذا يمكنها أن تفعل في مثل هذه المواقف ولا تعرف حتي بماذا تشعر حينها..

كانت آسية وأماني في طريقهما للجامعة في حافلة الجامعة لتأدية آخر الامتحانات العملية لهذا العام، كانت أماني تُراجع الدروس العملية لكنها لاحظت شرود ذهن صديقتها.. تبدو غير طبيعية هذه الأيام..

● آسية.. ما الأمر؟!

عادت آسية لواقعها من جديد، التفتت لأماني ثم هزت رأسها بالنفي، كانت تبدو شاردة لذلك لم تتركها أماني وشأنها..

● آسية.. هناك شيء لا أعرفه وأود أن تخبريني به حالاً..

التفتت آسية إليها، حدقت بأماني وتساءلت.. كيف أنها لم تخبرها حتي الان؟!

● هناك أحدهم يقوم بتصرفات غريبة لجذب انتباهي، يحاول أن يُقابلي لكنني أظاهر بعدم الفهم..

ظهرت علامات الدهشة على وجه أماني.. حيثُ شيء كهذا من المفترض أنه يحدث أمامها فكيف لم تنتبه لهذا؟! بل كيف أن آسية لم تخبرها منذ البداية؟! سألتها بشغف..

● ومن هذا؟ معنا في الكلية؟!

بدا على آسية الاستعداد لإخبارها بكل شيء..

● بل وفي نفس الصف أيضاً.. عمر.. أتعرفينه؟!

اندهشت أمانى، كيف لم تلاحظ هذا؟! لقد انتقل عمر من فصله المعملّي للفصل التي تدرس فيه هي وآسية..
أكملت آسية كلامها عنه..

● قابلني مرتين فقط.. تحدثنا قليلاً بشأن الدراسة وأعطاني مُذكرة لمادة الإحصاء.. هذا بالإضافة لتلك
التصرفات الغريبة مثل مُراقبتي وتتبعي!

فكرت أمانى قليلاً، ثم عادت لتتظر في كتابها بذهنٍ شارد، مالت آسية نحوها لتهمس لها..

● أُوَعقل أن يكون هذا الأهتمام هو ال..

قاطعتها أمانى بجديّة..

● أو ربما يكون كل هذا وهم وغير حقيقي، وربما قد تكونين فهمتي ما يحدث خطأ..

أسندت آسية ظهرها للوراء..

● لا أعرف.. ربما!

أمسكت أمانى بمعصمها لتحدّرها..

● دعينا من هذا الأمر الآن، ننتهي من الامتحانات أولاً ثم سنعاود التفكير في الأمر.. إن استمر بالطبع،
بالتأكيد تفهمين قصدي..

هزت آسية رأسها إيجاباً.. ربما تكون صديقتها أكثر عقلاً وكماًلاً منها، لا بد وأن تُركز جيداً هذه الأيام.. بعدها
يُمكنها التقصّي عنه ومعرفة كل شيء عنه..

مضت فترة الامتحانات سريعًا بالنسبة له.. ليس حُبًا في الدراسة طبعًا ولكن لأنه لن يرى آسية لشهور، لكن هذا الأمر يبدو إيجابيًا له.. سيتأكد من فترة الغياب تلك أن كان حقًا قد أفتقد وجودها في حياته أم أن الأمر سيمر بسلام، ومع فترة الفراغ هذه من الأمور الدراسية ومن رؤية آسية.. أشغلت باله الأمور السياسية التي تجري في البلاد، مثله كمثل باقي الشباب له رأي سياسي وميل لطرفٍ سياسي ضد الآخر..

كان عمر في غرفته يتجول بين صفحات الأنترنت على حاسوبه المحمول عندما دخل عليه أدهم دون أستئذان، لم يبالي بدخول أخيه بهذه الطريقة.. فهو قد اعتاد على مضايقات أخيه له.. لم يبدي أي اهتمام بوجوده.. دخل أدهم على أخيه قاطبًا حاجبيه.. ينوي مواجهته، لكن عمر ينظر لشاشة حاسوبه دون الأهتمام بوجوده، تقدم أدهم تجاه عمر ووقف بجانبه فيما أستمع عمر بتجاهله، سأله أدهم..

● أين ذهبت حين خرجت صباحًا!؟

التفت إليه عمر ببرود ثم عاد ونظر إلى شاشة حاسوبه، كان رده مختصرًا..

● كنت في الجامعة..

هذا ما كان يريد أدهم.. أن يستفزه عمر بالحقيقة وكأنه يهزأ به ليجد مبررًا لما سيفعله..

● أي جامعة!؟، ألم تنتهي من امتحاناتك الأسبوع الماضي!؟

رد عليه عمر دون النظر إلى وجهه..

● لا يهمني أن كنت تصدقني أم لا.. أنت تعلم جيدًا أنني لا أكذب..

بدأ صوت أدهم يعلو غضبًا..

● مع من كنت في الجامعة!؟

فهم عمر ما جاء أخوه من أجله..

● كفى أسئلة يا أدهم، هاتِ ما عندك.. ماذا تريد ؟

● يبدو أنك فهمت ما فعلت اليوم، أليس كذلك !؟

سئم عمر من مضايقة أخيه له، أغلق حاسوبه وقام من مكانه..

● لقد مللتُ من هذا، سأذهب لأنام..

التفت عمر نحو سريره لكنه فوجيء بأن أدهم أمسكه من ذراعه والغضب بادياً على وجهه، سأله أدهم ..

● لقد قُمت بالتوقيع على استثمارة سحب الثقة، أليس كذلك !؟

أندهش عمر من تصرف أخيه..

● و ما شأنك أنت !؟، أنا حُر فيما أفعل..

أفلت عمر يده من قبضة أخيه ثم قال ساخراً..

● يا لسخافتكم.. تزعجكم ورقة !؟

لقد أثار عمر غضب أخيه، عاد أدهم ومسك عمر من ذراعه ثم أمسكه من ياقة قميصه، لقد ظهر ما كان أدهم ينوي فعله ...

● لن أدعك تخرج من البيت أبداً، سأقوم بسجنك هنا في غرفتك لحين رجوعك لصوابك يا أحمق..

حاول عمر أفلات نفسه بالقوة ونجح في ذلك، لكنه لم ينجح في تفادي ردة فعل أخيه السريعة حين دفعه، لم يستطع تفادي اختلال توازنه وأرتطام وجهه بحافة السرير الخشبية.. بسبب علو صوتهما فُتح باب الغرفة فجأة.. هذه المرة كانت والدتهم التي فُرعت عندما رأت عمر ساقطاً على الأرض واضعاً يده على فمه وهو يحاول إيقاف تدفق الدم، أسرعته نحوه وهي تصرخ..

● عمر..!، ماذا حدث !؟، هل أنت بخير !؟

تبعها الشيخ محسن حينما سمع هو الآخر صوت مشاجرة وصراخها، دخل والصدمة بادية على وجهه من الذي يراه، أسرع عمر بالرد عندما لاحظ وجود والده على باب غرفته..

● لا شيء يدعو للقلق يا أمي.. لقد تعثرت بسبب محاولتي لتفادي سلك شاحن حاسوبي، لقد اصطدمت بحافة السرير ..

التفت بنظرة ناحية أدهم ثم أكمل كلامه..

● لقد حاول أدهم أنقاذي لكن سقطوي كان أسرع منه..

أسرعت به والدته خارج الغرفة لإيقاف النزيف، فيما بقي في الغرفة أدهم ووالده، فهم الشيخ محسن ما دار بينهما من شجار كان نتيجته إصابة عمر.. فهم أن عمر كذب حين قال أن أدهم كان يحاول أنقاذه.. نظر لأدهم نظرة قاسية كنوع خاص من العتاب فيما أكتفى أدهم بأبعاد نظره عن والده كنوع من الهروب..

ما حدث صباح هذا اليوم جعلها تفكر في تطور علاقة عمر بها بجديّة، لم تكن تتوقع أن يحدث هذا، كانت تظن أن علاقته بها سوف تكون سحابية.. تنتهي ما إن تنتهي السنة الدراسية ويطول غيابهما عن بعضهما، لكن ما حدث اليوم معها يهدم ظنها بأنها علاقة سحابية..

ما قطع تفكيرها هذا هو صوت والدتها خارج غرفتها وهي ترحب بأمانى، فتحت باب غرفتها وسحبت صديقتها للدخل وأبتسمت لوالدتها فيما يعني أنها تمزح مع صديقتها، تفاجأت أمانى من تصرفات آسية الجنونية أو المرتبكة، سألتها..

● ماذا حدث كي تطلبين منى أن أتيكِ بسرعة؟!

التفتت إليها غاضبة..

● لقد أتى إلى صيدلية أخي وكنْتُ أنا هناك، لقد أخرجني أمام أخي.. لا بد وأن أخي قد فهم ما جرى.. بالتأكيد فهم كل شيء..

عملت أمانى على تهدئتها..

● آسية.. أنا لا أفهم شيئاً! أخبريني بهدوء ماذا حدث ومن هذا الذي أخرجكِ؟!

مازالت آسية يتملكها الغضب..

● من سيكون غير عمر برأيك؟!، كنتُ مع أخي في الصيدلية كعادة كل يوم وفجأة وجدت عمر أمامي.. لا أعلم كيف أتى وكيف عرف صيدلية أخي!

فجأة انفجرت أمانى ضاحكة مما أثارت غضب آسية أكثر..!

● هل يمكنني أن أعرف سبب برود أعصابكِ تلك؟!

ردت عليها أمانى التي حاولت توقف ضحكها..

● و هل هذا ما يشغلك؟!، فتاة حمقاء وساذجة ..!

● من بعض ما عندكم يا أينشتاين زمانك!...

هدأت أمانى ثم جلست وأجلست معها آسية، خفضت صوتها قليلاً..

● ما فعله عمر اليوم يريد به أخبارك بأنه بدأ بالفعل في جمع معلوماتٍ عنكِ وأنه سيكون جاداً في علاقته بكِ،
بمعنى آخر أنه يُصرح بحبه لكى!..

بدا على آسية الشرود والقلق، وضعت أمانى يدها على يد آسية لتطمئنهما..

● وبالطبع لن يكون هذا سهلاً يا آسية..

أرسمت أبتسامة مآكرة على وجهها ثم أكملت..

● دعينا نحن من نتسلى ونلعب قليلاً معه.. حينها فقط سنتأكد من كل شيء..

حينها تمنى آسية لو أن الأمر يكون حقيقياً، سألتها آسية..

● بعيداً عن أننا سنختبره أو سنتسلى به قليلاً كما تقولين..، ماذا تتوقعين أنتي؟..، هل يحبني فعلاً أم أن الأمر
مجرد تسلية؟!..

أرجعت أمانى ظهرها للوراء قليلاً، سكتت للحظات ثم فكرت بصوتٍ عالى..

● لا أعتقد بأن الأمر مجرد تسلية بالنسبة له.. لقد علم بتفاصيل مهمة في حياتك دون أن تخبريه بشيء، حتى
أنكما لم تتقابلا كثيراً، قد يسعى جاهداً لمعرفة تفاصيل أكثر عن حياتك دون أن تخبريه بشيء.. لو أنه يحبك
ستعرفين أنه قد عرف عن حياتك أكثر مما تعرفين أنتي عن نفسك!..
خطر ببال آسية شيئاً آخر..

● هل من الممكن أن يكون في حياته فتاةً أخرى غيري؟!، قلب الرجال يتسع للكثير كما تعرفين..

● لكل قاعدة استثناء.. أحياناً يكفي الرجل بوحدةٍ فقط تملئ قلبه وعينه وحياته..

أقتربت إليها أكثر وهمست لها..

● لكن دعينا نتأكد من هذا أولاً .. أنتي مستعدة !؟

هزت آسية رأسها موافقة ثم أبتسمت أرتياحًا ..

تجمعوا على مائدة الفطار لكن تجمعهم هذا لم يمنع من أن كل واحدًا فيهم كان في عالمه الخاص..

كان أدهم يفكر في خطوته التالية ولا يعلم كيف سيقنع والده بهذا.. لكن لا مانع من الكذب أحيانًا في الوصول لما يبتغيه.. سيكذب حتى يتمكن من السفر ومساندة أخواته في الاعتصام ضد من يريد هدم الحكم الإسلامي.. ضد العلمانيين والليبراليين الكفرة.. ضد هؤلاء الجهلة الذين يسمحون لغيرهم بغسيل دماغهم.. لقد أنتصر الإسلاميون في جميع المعارك الانتخابية بعد ثورة يناير العظيمة والتي كانوا هم الغالبية العظمى فيها.. هم يستحقون ذلك ولذلك سيتم الدفاع عن الشرعية.. شرعية أول رئيسٍ مدني مُنتخب في تاريخ مصر، ستمُّر التظاهرات المُعارضة للرئيس كغيرها التي سبقتها والتي مرت مرور الكرام في النهاية لكن بعدما تمر تلك التظاهرات على خير ستخرس كل الألسنة وسيتم الحكم بما شرع الله.. أما من كان سببًا في إطلاق دعوات التظاهر هذه فسوف يكون حسابه عسيرًا.. لقد أرادوا زعزعة استقرار وأمن البلاد بحضرة الرئيس المُنتخب والشرعي للبلاد.. سيندمون على ذلك.. سيندمون..

عمر كان يفكر طيلة الوقت في النتائج التي ستؤول إليها تلك التظاهرات.. هل سينجحون هذه المرة في إزاحة حكم الإسلاميين الذين سيطروا على مقاليد الحكم وأنفردوا بها طاردين كل من شارك معهم في ثورة يناير من الساحة السياسية؟! أم ستدخل البلاد في نفقٍ مظلم من الصراعات والفتن؟!، لكن هو متأكد من أن مسألة أزاحتهم من الحكم ستكون صعبة بل وأقرب للمستحيل أصلًا.. الإسلاميون كذلك قد اعتصموا بالفعل كرد على تلك التظاهرات المعارضة لحكمهم، بالفعل تلك التظاهرات تحتاج لمعجزة لتنجح وتزيح حكم الإسلاميين، جميع من وقع على أستمارة سحب الثقة من الرئيس سيشارك في تظاهرات نهاية الأسبوع، لابد أن تنجح هذه التظاهرات هذه المرة!..

أما الشيخ محسن فكان يفكر في الحال الذي وصل إليه ولديه.. تلك الثورة اللعينة كان الجميع يُعلق آماله عليها لتنتهي حقبة ثلاثين عامًا من الظلم والفساد لكن الحقيقة الواضحة هي أنها كانت مؤامرة لإسقاط مصر.. ثورة لم تُنهي الظلم والفساد كما أدعت، بل أنها أصابت المصريين بالأنقسام.. أصبح في كل أسرة من هو يميل

للإسلاميين ومن هو يميل للمُعارضة ومن هو يميل للنظام السابق، تَوحدوا في البداية صد النظام السابق حتى أسقطوه لكنهم أفترقوا بعد ذلك ليسعوا خلف كرسي الحكم، لقد أصبح المجتمع منقسماً.. بعضهم خُلق ليُعارض في الأنجازات أو في الخراب والهدم.. والبعض الآخر خُلق ليُصفق للأنجازات ويبرر للخراب، الجميع يدّعي الوطنية..

كانت الأم حزينة وقلقة بسبب ما يحدث بين ولديها.. كلاهما لا يُطبق الآخر، السياسة هي من فرقتهما، هي أيضاً قد علمت بما حدث بينهم ليلة أمس على الرغم من أن كلاهما لم يتحدثا بشيء أمام والديهما.. ربما هي تدرك الأمور أكثر من زوجها، هي قلقة أيضاً حيال الأيام القادمة.. الأمور السياسية في البلاد متخبطة وغير مستقرة، قلقة بشأن ما يفكر به ولديها.. هناك أعتصامات وهناك تظاهرات.. قلقة بشأن مشاركتهم المحتملة في تلك الأحداث.. تخاف من بطش الإسلاميين أو أعتقالات الأمن.. كانت تُناجي ربها بأن تكون الأمور بخير..

بادر أدهم بكسر الصمت الذي يُخيم على تجمعهم هذا، موجّها حديثه لوالده..

● سأسافر القاهرة غداً ولفترة طويلة ربما..

التفت إليه والديه فجأة، سأله والده والشك يراوده..

● لماذا ستسافر القاهرة يا أدهم؟!، ولماذا هذا الوقت بالذات!؟

رد عليه أدهم وهو لا يُبالي للشك الذي راود والده..

● لقد تم تكليفي بعملٍ كثير في القاهرة، حقاً لا أعلم متى سينتهي عملي هذا..

نظر والديه لبعضهما في شك وكأنهما يعلمان كذب أدهم، يعلمان أن سفره في هذا التوقيت بالذات يعني أنه قد قرر المشاركة في الأعتصام، أما عمر فما زال يأكل ولا يهتم لما يجري حوله، التفت الشيخ محسن لأدهم مجدداً ليسأله بلهجةً تحذيرية..

● هذا العمل كلفتك بها الشركة التي تعمل بها أم كلفك بها آخرون!؟

أربك هذا السؤال أدهم وقد شعر للحظة بأن كذبتك تلك لم تنطلي على والده، شعر وكأنه يعرف كل شيء وأنه تعمد أن يجعله يعترف له رسمياً وبوضوح بما ينوي فعله، التفت لأخيه في شك بأن أخاه قد أفشى بشيء لأبيه لهذا قد كشفه والده سريعاً، أما عمر مازال يتجاهل ما يحدث حوله، التفت أدهم لوالده..

● من تقصد بآخرين يا أبي؟!

رد عليه والده وقد بدأ صوته بالعلو..

● أنت تعلم جيداً ماذا أقصد يا أدهم.. أسمعني جيداً.. أنا لا أكره شيء في حياتي قدر ما أكره السياسة.. إن سمعت يوماً بأنك قد أنضمت لأي جماعة.. حزب.. تنظيم.. تظاهرات أو حتى اعتصامات سيكون عقابك قاسياً، وأظنك ليس صغيراً كي تُعاقب..
التفت لعمر أيضاً..

● هذا الكلام موجّه لك أنت أيضاً يا عمر..

ثم نظر لكلاهما..

● أظن بأنكما قد سمعتماني جيداً..

طرق بيديه على المائدة بغضب ثم قام ولم يكمل طعامه، تبعته والدتهم كذلك لتحاول أن تهدئ والدهم، التفت أدهم وأمال ليهمس لعمر..

● لماذا غضب والدك هكذا؟!، هل أخبرتته بشيء؟!!

رد عليه عمر دون النظر إليه حتى..

● لم أخبره بشيء ولا يهمني الأمر من الأساس، فالتذهب كما تريد.. لن أتوسل إليك كي لا تفعل شيئاً..

قام عمر من مكانه متوجّهاً لغرفته، ظهرت ابتسامة على وجهه ثم أكمل كلامه بسخرية..

● أمرك مفضوح وتساءلني عن سبب غضب والدك؟!، والدك علم بكل شيء من كذبتك تلك..

أطلق ضحكة ساخرة..

● لا بد طبعًا وأن يشك بأمرك..

دخل غرفته وأغلق ورائه باب غرفته، بينما ظل أدهم وحيدًا على المائدة، قام من مكانه هو الآخر متوجهًا لغرفته ليقوم بتجهيز حقييته..

طيلة حياتها كانت تنتظر مثل هذا اليوم الذي ستحظى فيه بفرصة تغطية حدثٍ عالمي، حدثٍ يحظى بأهتمام العالم كله..، أخيرًا جاء اليوم الذي ينتظره الجميع.. يوم الثالث من يوليو، ليس هذا فقط ما يجعلها سعيدة.. بل وصل الأمر لتلقيها اتصال خاص من القوات المسلحة لأحتمالية تغطية تظاهرات اليوم من طائراتها الخاصة بعدما نجحت في تغطية تظاهرات الثلاثين من يونيو - أول أمس -.. تعرف جيدًا أن القوات المسلحة أعطت للرئيس مهلة محددة لتهدئة الأمور وأحتواء معارضييه لكن الأمر زاد سوءًا بعد خطابه الأخير.. لا تعلم ماذا تنوي القوات المسلحة أن تفعل.. هل ستدخل في صدام مع الإسلاميين؟!، حاولت أن تعرف معلومات بخصوص تغطيتها للأحداث اليوم لكنها فشلت.. هناك قرارًا قد أتخذ وسيتم تنفيذه، لقد أنتهت المهلة المحددة على أية حال بحلول منتصف الليل، ساعاتٍ قليلة وسيتضح كل شيء..

كانت ماريان أمام المرأة تُنهي من تعديل ملابسها وشكلها عندما دخلت والدتها ورأتها وهي تتجهز للخروج في مثل هذا الوقت ..

● ماذا تفعلين يا ماري!؟

ردت ماريان وهي منشغلة بتجهيز نفسها..

● يبدو أن هناك حدثًا مثيرًا سيحدث اليوم، لا بد وأن أكون في قلب الحدث يا أمي!..!

سألته والدتها والدهشة باديةً عليها..

● الآن!؟، أتعلمين كم الساعة الآن!؟

تنهدت ماريان ثم التفتت إليها..

● حسنًا يا أمي.. أعلم أنها الساعة الثالثة فجراً وسر خروجي الآن هو أنني لا بد وأن أكون في مقر وزارة الدفاع بعد ساعة من الآن، كما أخبرتك سيكون هناك حدثًا مثيرًا على ما يبدو..

ابتسمت ثم أكملت كلامها..

● لقد تم اختياري أنا بالذات لتغطية أحداث اليوم.. سأجعلكم تفتخرون بي دائماً..

بدت والدتها مستسلمة ..

● حسناً يا ماري أفعلي ما تشاءين لكن كوني حذرة..

● حاضر يا أمي..

ثواني قليلة وخرجت والدتها من الغرفة وقد أغلقت الباب ورائها، سمعت ماريان صوت بوق سيارة.. عرفت أنها سيارة المحطة.. توجهت ناحية النافذة وأشارت لباقي الطاقم أنها مستعدة، ارتدت حقيبتها الظهرية وتوجهت ناحية الباب لكنه لم يُفتح بعد.. حاولت إدارة المقبض لكن الباب موصداً.. حاولت أستيعاب الأمر لكنها فجأة فطنت أن والدتها هي من فعلت هذا لمنع نزولها اليوم..

صرخت بصوت عالي..

● أمي.. أفتحي الباب.. أمي.. لا تفعلي هذا أرجوك..

أناها رد والدتها من بعيد..

● ليس اليوم يا ماري، لن تسير الأمور بخير اليوم، قلبي يُحدثني بأن هناك مصيبة ستحدث.. عليكي بالبقاء هنا..

تصرخ ماريان..

● أمي.. رجاءاً ليس اليوم، سأكون في حماية القوات المسلحة.. لا تقلقي.. أرجوك..

لم يأتيها رد والدتها، وقفت لثواني لتفكر بهدوء ماذا ستفعل، بالتأكيد شيرين هي من أخبرت والدتها بأتصال القوات المسلحة بها لتغطية الأحداث المرتقبة اليوم، لقد تملكها الغيرة كون أن مؤسسة مثل مؤسسة الجيش تُسند مهمة تصوير وتغطية المظاهرات منذ أول أمس وتكليفها بمهمة اليوم هي نفسها لا تعرفها..

جالت بنظرها في الغرفة تبحث عن شيء لا تعرفه، أمسكت بهاتفها وأتصلت بأحدهم..

● هيثم ... والدتي قامت بحبسي في غرفتي، أرجوك أصدد لشقتنا وحاول أقتاعها..، حسناً ... شكراً لك..

أغلقت الهاتف وتوجهت ناحية نافذة غرفتها، شاهدت زميلها هيثم يخرج من السيارة التابعة للمحطة ودخوله للعمارة، جالت بنظرها في الشارع.. تفكر في طريقة للهروب.. تعرف والدتها جيداً.. لن يستطيع هيثم أقتاعها.. حتى عمها لن يستطيع جعل والدتها تتركها وشأنها، لا تستطيع القفز كذلك.. تسكن في الطابق الخامس والمسافة كبيرة، نظرت على يمينها ثم التفتت أمامها.. فجأة أتسعت عينها.. راودتها فكرة أو مخاطرة، التفتت ليمينها مجدداً.. إنها تلك الماسورة الضخمة.. تساءلت.. لماذا لا تُجرب أن تعمل في غير مجالها ولو مرة؟!، تبدو مهنة السرقة ممتازة.. لكنها لن تسرق..، فكرت في هروبها باستخدام تلك الماسورة!..

● حسناً.. أعلم بأن اللصوص يعانون.. فالنجرب معاناتهم.. لا طريقةً أخرى أمامي..

قالتها لنفسها بسخرية، وضعت إحدى قدميها في الخارج.. تنهدت ثم أخرجت كلتا قدميها وأسندت نفسها على الجزء الزائد من المبنى والذي يفصل الطوابق عن بعضها.. أصبحت ترى غرفتها وهي بالخارج على حافة السقوط.. مشت بحذر بمحاذاة النافذة إلى أن وصلت للماسورة بصعوبة، ما أن لمستها حتى أسرع لتتشبث بالماسورة بكلتا يديها وقدميها، أغمضت عينها وأصبحت تجذب نفسها للأسفل بهدوء.. أستمريت على تلك الحال إلى أن وجدت نفسها قد لامست الأرض، فتحت عينها.. لم تصدق أنها قد تمكنت من الهرب والنجاة فعلاً.. أسرعت باتجاه السيارة، الجميع ذهل عندما رأوا ماريان.. أخرجت ماريان هتافها وأتصلت بهيثم ..

حاول هيثم أقتاع والده ماريان بالأمر لكنها ترفض، فجأة وجد هاتفه يرن.. أخرجته فوجد أن ماريان تتصل به، رد عليها ليخبرها بفشله بأقتاع والدتها..

● أنا آسف ما..

قاطعته ماريان في عجلة من أمرها ..

● هيثم.. لقد تمكنت من الهرب.. لا تخبر والدتي بذلك.. تصرف طبيعياً وكأنك قد يأست من محاولتك تلك، أنزل حالاً لأننا تأخرنا كثيراً..

بدا على هيثم الذهول للحظة ثم أسرع ليبدو طبيعياً، يأس هيثم من محاولاته تلك..

● حسنًا ... سيدتي، كما تشاءين.. عليّ أن أستاذن..، أتمنى لماريان حظًا موفقًا..
غادر هيثم مسرعًا، ركب السيارة وبقوة الصاروخ تبخرت السيارة في لحظة..

أصبحت مصدر فخر للجميع..، الجميع يشني على موهبتها الرائعة والتي تزينها بمجهودها.. تستحق ما وصلت إليه من النجاح، نجحت نجاحٌ باهر في تغطية أحداث يوم الثالث من يوليو..، جميع وكالات الأنباء العالمية قامت بتغطية مشتركة مع المحطة، أصبحت قناة " **exclusive news** " أشهر قناة عالمية، كانت ماريان السبب في شهرة القناة.. بيانات القوات المسلحة تُعرض على القناة أول بأول.. تغطية الأحداث بلغاتٍ كثيرة.. أستاذة شخصيات قيادية وهامة.. تقريبًا يمكن وصفها بأنها المادة الخام للقناة والمحطة..

كعادة كل يوم.. دخلت ماريان مبهجة يملؤها الحماس.. تقوم بتحية الجميع والجميع يسرون برؤيتها، كانت تحب الصيام معهم فترة عملها بالمحطة وتفطر معهم أيضًا.. كان الجميع يحبها لبساطتها رغم ما تناله من شهرة..

كانت في طريقها لمكتب عمها حين أستوقفتها شيرين، أتجهت نحوها وهي تتوقع بأن هناك خلافٌ سيحدث بعد قليل.. أصبحت تحفظ تلك القاعدة.. أبتسامه شيرين لها تعني أنها ستساومها على شيء لا ترغبه ماريان..

بدأت شيرين وكأنها تكسب رضاها..

● مبدئيًا.. أنا أتفقت مع عمك على حلٍ وسطي بيننا ولا أظنك ستفرضين هذه المرة..

أرتسمت على وجه ماريان تعبيرات السخرية المختلط بالقلق..

● أنا أسمع..

● حسنًا.. أنا مازلت مُصرة على أنك تعملين معي لكنني أتفقت مع عمك أنني سأغير مواعيد برنامجي حسب ما ستفردين فيه بمعلوماتٍ مهمة أو تغطية لأحداثٍ هامة..

فكرت ماريان لثواني ثم أبتسمت ومدت يدها لشيرين..

● يبدو أننا أتفقنا أخيرًا، أعتزف بأنك خالفتي ظني هذه المرة..

تصافحتا وهمتّ ماريان بتركها لكن شيرين أستوقفتها مجددًا..

● يمكننا العمل من الآن يا ماريان..

لم تفهم ماريان ماذا تقصد..

● حسنًا يا شيرين.. عندما يكون هناك خبرٌ حصري سأتصل بكِ قبلها..

● أظن أن علينا تقديم خبرٍ حصري الآن، نريد أن يكون لنا السبق..

قطبت ماريان حاجبيها في عدم فهم..

● ماذا تقصدين؟!؟

أبتسمت شيرين بذكاء..

● معلومة ميعاد فض الاعتصام مثلًا.. العالم كله ينتظر فض الاعتصام ولا أحد يعلم ميعاده بالضبط، ماذا لو

أعلنه نحن أولًا؟!؟

التفتت ماريان حولها بتعجب، التفتت إليها..

● شيرين.. أتعني ما تقولينه؟!، أم أنكِ تمزحين؟!؟

سخرت ماريان من طلبها...

● إذا أخبرتكِ بميعاد فض الاعتصام وقيمتي بأعلان هذا في برنامجك ستقوم القوات المسلحة بتغيير هذا الميعاد

بالطبع، هذا بالطبع خلاف أنني لن أفشي سرًا أتمنني به أحدهم..

قالت جملتها الأخيرة والتفتت لتترك شيرين لوحدها، صاحت شيرين غضبًا في ماريان.. أرتفع صوتها حتى أن

الجميع التفت إليهن...

● أسمعني يا ماريان.. لقد حذرتكِ سابقًا، لقد تحملتُ الكثير منكٍ فقط لأجل عمكٍ لكن الآن لن أضع أحدًا

في الاعتبار.. أهدانا فقط هي من ستبقى هنا، هذه المحطة لن تسعَ لكلانا يا ماريان..

أسرعت شيرين تجاه مكتب ثروت - عم ماريان - وسط ذهول من الجميع وسخط من شيرين في نفس الوقت..
تمنى الجميع حينها لو يحدث ما تتكلم عنه شيرين وأحداهن تترك المحطة.. الجميع يؤيد فكرة خروج شيرين
بالطبع والأبقاء على ماريان، تبعتها ماريان بغضب لمكتب عمها، وما أن دخلتا كلتاهما دون استئذانٍ حتى بادرت
شيرين بتوجيه صب غضبها على ثروت ..

● أسمعني جيداً يا ثروت.. لقد تحملت ابنة أخيك تلك من أجلك لكن حان الوقت لأن تترك أحداً هذه
القناة، وأنا مُصرة على أن تختار بيننا الآن.. إما أنا أو هي في المحطة..!
أجمله لسانه ولم ينطق.. ماذا حدث لتدهور علاقتهن ببعضهن لهذه الدرجة؟!، حاول أن يقوم بتهدئة الأجواء
لكن رد ماريان السريع والغاضب منعه من ذلك..

● لا.. لا تضعي عمي في هذه المعادلة أصلاً.. أنا من يجب أن تترك القناة وتبقى شيرين أشهر إعلامية في مصر
والشرق الأوسط والتي تمتلك أكثر من نصف أسهم تلك القناة بالمشاركة مع عمي، لكن لا تندمي يا شيرين
عندما أخرج ببيان استقالتي من هذه القناة أوضح فيه سبب خروجي من هنا..
أطلقت شيرين ضحكةً ساخرة..

● هل ستقولين في بيانك بأنك لا تريدين أخباري بميعاد فض الأعتصام؟!، كنت أظن أنك أذكى من ذلك..
التفتت لثروت وهي تشير لماريان..

● تريد أن تخبر الجميع بأنها تعلم ميعاد فض الأعتصام.. عليك أن تقنعها بخطورة ذلك..
التفتت إليها مجددًا..

● هذا على أساس أن تلك الجماعات ستتركك وشأنك هكذا وأنتي تعلمين ذلك.. أو أن القوات المسلحة
ستسمح لك بذلك أصلاً..

أرتسمت على وجه ماريان أبتسامة ساخرة، ردت عليها بهدوء...

● يبدو أنك محقة.. لقد فاتني هذا الأمر.. لكن ما لا أعلمه هو كيف وصلتني لهذه الشهرة وأنتي بهذا الغباء.. سأغادر الآن المحطة بسبب أنك كنتي تريدين معرفة معلومة بسيطة مثل ميعاد فض الاعتصام وتهملين الحدث نفسه أصلاً، لن تكون معلومة ميعاد فض الاعتصام مهمة عندما تقوم قوات الأمن بذلك أصلاً..
قالت ماريان بلهجة تهديد..

● سأكون أنا حينها في قناة أخرى أنقل تغطية ما يحدث من فض الاعتصام بينما أنتي تتفاجئين بأن فض الاعتصام قد بدأ!..
همّت بالخروج لكنها التفت إليها مجددًا..

● سأغادر المحطة لكنني على ثقة بأنك ستندمين على ذلك وتطالبين برجوعي، والأيام بيننا!..
أسرعت بالخروج من القناة دون أن يوقفها أحد لتهدئتها.. حاول عمها أن يوقفها لكنها كانت غاضبة كفاية لأن لا تستمر في هذه المهزلة، يبدو أن لكل قاعدة استثناء عدا القاعدة التي تقول أنها عندما تقوم شيرين بالابتسام في وجه ماريان فإنه غالباً ما سينتهي حوارهم بشجارٍ عنيف!..

مر الأسبوع الأخير من شهر رمضان كسابقه منذ بداية الشهر المبارك.. شهر رمضان هذه السنة لم يكن بالجمال المعتاد ككل سنة، فالأحداث السياسية في البلاد كانت كفيلة ببعث التوتر والقلق والترقب في كل أسرة، هناك من كان ينتظر بفاغ الصبر فض الاعتصام، هناك من كان يخشى ذلك اليوم المُرتقب..

كان الشيخ محسن ممن كانوا يخشون ذلك اليوم، يجهل مصير ابنه.. يتابع الأخبار أول بأول وكل حين.. لا يعرف ماذا ينتظر.. هل ينتظر أن يرد اسمه في قوائم اللذين تم اعتقالهم بتهمة التحريض للاعتصام؟!، أم ينتظر فض الاعتصام ويجده في قوائم الوفيات مثلاً؟!، أم أنه يُريح بال والديه ويرجع قبل فوات الأوان!..

كان عمر كعادته يسهر كل يوم ويتصفح مواقع الأخبار.. هو الآخر لم يكن ليعرف عن ماذا يبحث.. هل يتوقع أن يعلن أحدهم مثلاً ميعاد فض الاعتصام؟! أم أن الأمور ستكون مفاجئة؟!، أنتفض عمر عندما وجد أول أخبار تلك الليلة.. " اشتباكات بين الشرطة ومعتصمي ميدان النهضة بالقرب من جامعة القاهرة.. "، الأخبار تنتشر بسرعة في المواقع والأحداث تتسارع..!، أسرع عمر باتجاه غرفة والديه.. طرقاتٍ سريعة منه على الباب جعلتهم يتوقعون ما يحدث، فتح والده الباب والقلق بادياً عليه..

● عمر.. ماذا ...

قطع عمر سؤاله هذا..

● أبي.. لقد بدأوا بعملية الفض..!

تسمرت الأسرة كلها أمام التلفاز في قلقٍ متزايد، بينما ظل عمر يتابع الأخبار من الأنترنت ومن التلفاز أيضاً..

أحداث ميدان النهضة لم تُلقى أهميةً كبرى بسبب سرعة فض المعتصمين هناك، هناك أصاباتٍ حدثت في صفوف الشرطة لكن لا أخبار عن أصابات أو وفيات في صفوف المعتصمين.. لمتى سيظلون كذلك في هذا التوتر؟!!

لحظاتٍ وقد بدأت معركة ميدان رابعة..

" كانت ماريان وسط المعركة محتبئة في إحدى البنايات ترتدي الزي المضاد للرصاص وحامية الرأس المصفحة.. لم تكن تريد تفويت هذه التغطية بالذات ... في الخارج من ورائها تحركات قوات الشرطة وكذلك الدخان المتصاعد، وبالطبع شيرين خصصت لهذا الحدث وقتًا مفتوحًا لبرنامجها لتغطية تلك الأحداث الهامة..

● ماريان.. ما اخر المستجدات عندك!؟

ردت ماريان وهي تحاول سماع شيرين بوضوح..

● حقيقة الأمر يا شيرين الأمور هنا تبدو معقدة عكس ما حدث في ميدان النهضة، كما ترين ما يحدث في الخارج.. هناك طلقات نارٍ متبادلة بين الطرفين.. الشرطة تُلقي القنابل المسيلة للدموع.. هناك عدد من الحرائق والدخان المتصاعد، لكن ليس لدي معلوماتٍ دقيقة حتى الآن بشأن الوفيات أو الأصابات..

● لماذا لم يكن قرار الفرض هنا في ميدان رابعة مفاجئًا كما حدث في ميدان النهضة!؟

أنتظرت ماريان لثواني ليصلها صوت شيرين بوضوح..

● بالطبع وصلتهم أخبار فض أعتصام النهضة لذلك كانوا مستعدون هنا عندما وصلنا برفقة قوات الأمن، أول ما قامت به قوات الأمن هنا هو إطلاق التحذيرات بفض الأعتصام سلميًا عبر مكبرات الصوت وأخبرت الجميع بأن هناك ممرات آمنة لخروج من أراد الخروج سالمًا وكذلك دعت المعتصمين المسلحين لتسليم أسلحتهم بهدوء ...

لم يكن هناك أحدًا ليصف شعور أسرة أدهم حينها.. بدا الأمر مخيفًا بالنسبة لهم.. تحذيرات وطرقات آمنة ودخانٍ متصاعد وحرائق وأطلاق نار وقنابل مسيلة للدموع.. تضاربت الاحتمالات في أذهانهم جميعًا.. هل قُتل أدهم!؟ أم أُعتقل!؟، أم أنه يُقاتل ضد قوات الشرطة!؟، الاحتمال الأخير هذا بالذات نتائجه وخيمة.. لو واجه الشرطة بسلاح ستكون نهايته إما القتل أو الاعتقال لو بقي حيًا، الأمور تزداد سوءًا ووالدة عمر بدأت تنتابها نوبات المرض السكري.. الحيرة والخوف والقلق يسيطرون على الأسرة بكاملها..

مر يومانٍ آخران لم تُغلق فيهما أجفان الجميع.. كيف تغفو أعينهم وهم لا يعلمون شيء عن أدهم على الرغم من أن عملية فض الأعتصامين قد أنتهت رسميًا، لم يعد الشيخ محسن يتحمل كل هذا الضغط.. لقد عزم على

السفر للقاهرة والبحث عن أدهم.. سيبدأ بالشركة التي يعمل بها أو التي كان يعمل بها لو شارك في هذا الأعتصام.. أن لم يجده هناك وهذا هو المتوقع سيبحث عنه في أقسام الشرطة والمستشفيات، أقترح عمر السفر معه لكنه رفض ليرعى والدته في غيابه

أسرع الشيخ محسن لمحطة القطار وسأل عن أقرب قطار متوجه للقاهرة.. ركب القطار بعد وصوله وبعدهما جلس في إحدى مقاعده رن هاتفه.. رقم مجهول.. لم يعيره أي اهتمام، رن هاتفه مرة أخرى بنفس هذا الرقم المجهول، رد على الهاتف هذه المرة.. أتسعت عيناه وأزدادت ضربات قلبه.. أنه أدهم..

● أدهم..؟!، أين أنت..؟!، لقد أتصلت بك ...

سكت للحظات ليستمع لأدهم الذي قاطع سؤاله، قام الشيخ محسن من مكانه بسرعة ونزل من القطار قبل تحركه بسرعة ليغادر المحطة، خرج من المحطة وأشار لسيارة أجرة وركبها ولم يسافر..

تلقى عمر اتصالاً من والده.. كان التوقيت غير متوقعاً لكنه توقع في البداية أن يسأله عن مستجدات بخصوص أدهم، لكنه فوجئ بأنه اتصل به ليطمئنه هو ووالدته بأنه لم يسافر وسيرجع البيت ومعه أدهم، لم تصدق والدته الخبر.. سألته بلهفة..

● حقا..؟!، هل رجع أدهم معه..؟! ألم يخبرك كيف حاله؟!

رد عليها عمر ليطمئنها..

● و الله هو بخير.. على الأقل هذا ما أخبرني به أبي، لقد اتصل به أدهم قبل سفر والدي بدقائق وأخبره أنه هنا في سوهاج وأخبرني بأنه سيأتي لهما في خلال ساعة..

مازال القلق بادياً عليها، أربت عمر على كتفها..

● أمي.. علينا أن نشكر الله على رجوع أدهم بالسلامة، كنا نتوقع كارثة ولكنه الحمد لله رجع بالسلامة، لم يُرد الله أن يُحملنا ما لا طاقة لنا به ..!

رفعت والدته عينيها للسماء شاكرة ربها، بعد دقائق لاحظت أن عمر يتجهز للخروج.. سألته في دهشة..

● عمر.. إلى أين أنت ذاهبٌ!؟

كان يدرك ما يفعله لذلك كان يتوقع سؤال والدته هذا..

● سأخرج يا أمي، وجودي هنا عندما يرجع أبي ومعه أدهم سيزيد الأمور سوءًا..

أدركت والدته ما يرمي إليه هو، وجود عمر أثناء معاقبة والده لأدهم سيزيد هذا من سوء العلاقة بين ولديها..

● لكنني لا أعلم كيف أتعامل أنا مع ما سيحدث يا عمر.. وجودك ضروري كذلك يا بني..

رد عليها عمر..

● أقصى ما سيحدث هو توبيخ أبي لأدهم فقط..، أدهم ليس صغيرًا كي يُعاقب بشيء غير التوبيخ يا أمي..
وجودي الآن أثناء توبيخه سيزيد الأحتقان بيننا، سيظن بأني أتشمت فيه وأنني مسرور بمعاقبته..

فتح الباب وهم بالخروج..

● سأرجع متأخرًا حالما ينتهي كل هذا الجدل..

خرج عمر وترك والدته وقد ازداد قلقها بمرور كل ثانية، تنوافد لرأسها احتمالات كثيرة!..

مر الوقت ثقيلًا عليها في أنتظار أبنها الغائب عنها فُرابة الشهرين.. تساءلت كيف حاله خصوصًا بعد ما حدث!؟، كيف سيتعامل معه والده!؟، تخشى ما هو آتٍ.. الدقائق تعاندها ولا تمر.. يزداد أنقباض قلبها من القلق، دقائق ورجع الشيخ محسن ومعه أدهم.. لقد عاد أبنها أخيرًا، أسرع نحوه لتحتضنه وتستقبله بحفاوة، كان منظره غريبًا.. تبدو ملبسه بالية، تلك الجروح التي في وجهه، لحيته التي تطاولت زيادةً عن حدها الطبيعي.. كيف أنه لم يعتني بنفسه طوال الفترة الماضية؟، تمتمت بكلمات غير مفهومة وهي تحتضنه، تبلبل كتف أدهم بدموع والدته..

● أدهم حبيبي.. كيف حالك؟! أين كنت؟!، كنت سأموت عليك قلقلًا..

لم تكمل ترحيبها بأبنها حتى دفعه والده باتجاه غرفته والغضب بادياً عليه، حينها عرفت والدته أنه حان وقت الحساب.. تخشى كثيراً اللحظات القادمة، دخل أدهم غرفته وتبعه والده.. كادت والدته تدخل معهم لكن زوجها منعها من الدخول وأغلق الباب وأوصده من الداخل، أما هي فأكتفت فقط بأن تقف على الباب وتنصت عليهما، بدأت أصواتهم ترتفع تدريجياً.. تتمنى لو تكون مجرد مشادة كلامية فقط!..

بعد لحظاتٍ طويلةٍ مرت عليها وهي تطرق الباب كلما أرتفعت أصواتهم خوفاً من حدوث كارثةٍ ما بالداخل.. فُتح الباب أخيراً وخرج الشيخ محسن ووجهه يبدو شاحباً.. أاستند على الحائط وهو متوجهٌ لغرفته، دخلت والدته أدهم غرفته.. حاولت أن تتكلم معه لكنه لم يستجيب لها، خطر ببالها فجأة كيف كان حال زوجها عندما خرج من الغرفة.. كان وجهه شاحباً، أسرع لغرفتها لتطمئن عليه..

في نفس الوقت كان عمر في طريقه للرجوع للبيت وحيث أن بمجرد أنتصاف الليل تبدأ الكلاب سهرتها في الشوارع، أندش عمر لعدددهم..

● يا ألهي.. كل كلاب المنطقة تجمعوا هنا؟!!

وقف مصدوماً وساخطاً..

● ماذا عليّ أن أفعل الآن؟!، هذا ما جنيته من أفعالك يا أدهم.. أتجنب أحراجك أمامي بسبب أفعالك تلك ثم أجد أسراب الكلاب هذه أمامي!..

وقف على رأس منطقتة ينتظر حدوث معجزة.. تغادر هذه الكلاب مثلاً لدقيقةٍ واحدة ثم يستأنفون سهرتهم، حدثت معجزةً فعلاً ورأى سيارة ما قادمة من بعيد.. أشار إليها وأستأذن سائقها للركوب معه ليوصله على رأس شارع، وصل لبيته أخيراً لكنه شعر بوجود حركةٍ غير عادية، وجد أدهم ينزل مسرعاً من الطابق الثاني للبيت وعندما رآه أدهم سأله في غضب..

● أين كنت حتى هذا الوقت؟! ألم تتعلم كيف تتحمل المسؤولية أبداً؟!!

رد عليه عمر بتلعثم ليتجنب غضبه ..

● كنت في ..

قاطعه أدهم ...

● ليس لدينا وقت لنسمع تفاهاتك تلك، أتبعني بسرعة لتساعدني في حمل أبيك للمستشفى حالاً..

تبعه عمر بسرعة دون أن يفهم ماذا حدث، بدأ يتدارك الأمر عندما وجد والده فاقداً للوعي تقريباً وتحاول والدته مساعدة أدهم في حمله، أسرع هو ليساعد أدهم في حمل أبيه لسيارة أدهم، بعد دقائق وصلوا جميعاً للمستشفى وتم حجزه في غرفة العناية المركزة..

كان أدهم يتكلم مع موظفوا الأستقبال عندما كان عمر يستفسر من والدته عما حدث في غيابه..

● لكن كيف حدث هذا يا أمي !؟

ردت عليه بصوتٍ يشوبه البكاء ورأسها بين كفيها ...

● لقد تعب فجأة عندما أشتد الحوار بينهم.. كان وجهه شاحباً وعندما دخلت عليه الغرفة وجدته مُلقى على سريره في حالة غير طبيعية، عندما سألته عن ما إذا كان بخير تتمم إليّ بكلمات غير مفهومة وكان ينصب منه العرق بغزارة، لذلك أسرعنا به لهذا !..

ردد في نفسه أنه لم يتخيل أن الأمر يصل لهذا الحد، أقترب إليهم أدهم فسألته عن حال والده..

● بماذا أخبرك الطبيب يا أدهم !؟ هل والدك بخير !؟

تردد أدهم في أخبارهم، حاول تجنب النظر في أعينهم مباشرة..

● لقد أصيب بنوبة قلبية.. والآن هو أفضل على كل حال..

سالت الدموع فجأة من عينيها، حاول أن يُصحح الأمر قليلاً..

● لا تقلقي لقد تم حجزه في غرفة العناية المركزة وهو بخير الآن.. يحتاج للراحة فقط..

بنوبة غضب قامت والدته بتوبيخه..

● أنت السبب يا أدهم.. أنت السبب.. لماذا فعلت هذا؟!، لماذا يا أدهم؟! لماذا!؟!

لم ينطق أدهم بكلمة ولم يتحمل عتاب والدته له ولم يتحمل نظرات عمر له أيضاً.. أبتعد عنهم قدر المستطاع
وجلس بأحد المقاعد بعيدة عنهم..

عمر وآسية..

بالرغم كل تلك الأحداث التي عصفت به في أجازته هذه إلا أنه لم يخلو عقله من التفكير بآسية.. تلك الفتاة التي دخلت قلبه دون سابق إنذار، تأتيه في أحلامه فيعشق النوم ليراها، عيناه لم تكن تراها لكن عقله يتذكرها بكل تفاصيلها، تأكد أنها لم تكن سحابة عاطفية.. لقد أحبها بصدق، مرت الأجازة بحلوها ومرها.. بأحداثها المثيرة والمملة أيضاً ثم ألتقيا مجدداً.. ألتقيا وكلاً منهما يأمل بأن الآخر مازال على وعده الذي لم يقطعه مع الآخر.. كلاهما يأمل بأن ما سبق لم تكن مجرد دعاية أو سحابة ورحلت.. ألتقيا ومن أول نظرة عرف كلاهما أنهما سيخوضان غمار الحياة معاً.. كلاهما سيخوضا حرباً ضد بعضهما لكنها ليست مدمرة..، بل بالعكس تلك الحرب ستكون رائعة!..

مرت سنةً أخرى وحدث ما جعل كلاً منهما ينتظر الوقت والزمن الذي سيجمعهما معاً.. كلاهما لم يرى سوى الآخر فقط، سنةً مرت وقد أدرك الجميع علاقة عمر بآسية، مرت سنة وكل أصدقائهم ينتظرون العلاقة الرسمية في السنة الأخيرة.. سيكونان ثنائي رائع.. يشبهان بعضهما ويكملان بعضهما كذلك.. كان لسان حال الجميع.. " الطيور على أشكالها تقع " ..

أحمد وأماني ...

كلاهما كان طرفي نزاع.. طرفي معركة، كلاهما كانا يساندان صديقيهما..، أماني تجعل صديقتها صلبة.. ليست لقمة سائغة.. ليست سهلة المنال، أحمد يُفشل كل مخططات صديقتها.. أيضاً هو لا يجعل صديقه لقمةً سائغة لصديقتها أو لها لتفترسه..

لكن يبدو أن العشق قد أصاب الجميع.. لقد أعجبتة شخصية أماني.. ليست مثل أي فتاة عرفها أو تعامل معها.. أما هي.. فأن قلبها أن يلين أخيراً.. كانت تحاول أن تحمي صديقتها من عمر إلا أنها سقطت هي الأخرى في

مصيدة الحب، كانت علاقتهما أسرع من علاقة صديقيهما ببعض.. مرت السنة الثالثة من الجامعة وها هما أصبحا ثنائي آخر..

... ماريان

مازال تفوقها وذكائها يطغيان عليها، تواصل نجاحاتها تاركَةً الجميع خلفها وتسبقهم بسنين ضوئية.. تواصل شهرتها ومغامراتها، تجاوزت خلافاتها مع شيرين وعادت للقناة مرةً أخرى بعد أقناع عمها لها برجعها..

مرت سنةً دراسيةً أخرى كانت فيه هي كالعادة.. الأولى!، الجميع يعرف أنها ستتخلى عن تعيينها في الجامعة كونها تحتل المرتبة الأولى.. هي تعشق العمل الميداني.. المغامرة والمجازفة.. تطارد النجاح دائماً وأينما كان!..

- ١٣ -

مر النصف الأول من العام الدراسي الأخير سريعاً وها هي الأجازة الأخيرة قد أتت، لقد حان وقت التفكير بجدية بشأن اتخاذ خطوةً إيجابية خاصةً أنه لم يتبقى سوى نصف عامٍ دراسيٍّ أخير، بعدها ستصعب الأمور كثيراً..

هي تنتظر أن يخبرها بخطوته التالية، وهو يخشى مواجهتها.. تمر عليه أوقات ويظن أن ما مضى كان مجرد صداقة برئية ولا تتعدى ذلك.. تتسارع الأيام أمامه والوقت ينفذ ولا مجال للتأجيل أكثر، لقد مضى أسبوع على بداية النصف الدراسي الأخير، لا بد من التخلص من خجله وأتمام الخطوة الأولى ليتبعها بالثانية فوراً!..

كان عمر وأحمد يجلسان على المقهى وبعد أنتهاء مباراة كانوا يشاهدونها.. أتفقا على أتمام الخطوة الأولى في خلال يومين.. أن يخبر عمر والديه بالأمر..

عاد عمر للبيت وهو يفكر في خطوته الأولى.. كيف ينفذها بدقة؟!، كيف يقنع والديه بمسألة ارتباطه بها رغم أن الدراسة لم تنتهي بعد!..

جالسًا في غرفته غارقًا في تفكيرٍ عميق، هذا الشرود جعله لا يشعر بأن والدته قد طرقت الباب ودخلت، فجأة وجدها تجلس أمامه وتحقق في عينيه بسخرية وكأنها تعرف فيما يفكر، باغته بسؤال..

● أهى معك فى نفس الصف أفضاً ؟!

أفسعت عىناه عىءما سألته؁ فاجأه سؤالها هذا؁ وعىءما رأء هى علاماء الءعجب قد رُسمء على وجه عمر
ءأكدء أنها معه فى نفس الصف؁ أعتءلء فى جلسءها..

● حسناً.. ما أسمها ؟!

ىبدو أن الأمور تسرى على ما ىرام وعلى غير المءوقع أفضاً؁ ءلك اللءظهء الءى كان ىنءظرها عمر وىءطء لها؁ أن
ىءاءء والءءه عنها؁ عمل على أسءغلال هذا..

● أسمها آسىة..

أبءسمء والءءه بسبب أعجابها بالأسم ..

● آسىة ؟!؁ جمىلاً جداً هذا الأسم؁ ىبدو مُلءءاً للنظر..

سكءء للءظهء ءم أرفءء..

● جمىلة ؟!

● بالنسبة لى هى أجمل ءلق الله..

● ءعنى أءىرك أن الجمال لىس كل شىء؁ هناك أموراً أهم بكءىر من جمال الشكل فقط.. أءق ءماماً بأن
أءءىارك هذا بعىءاً عن الجمال الشكلى فقط..

● أعلم ءلك ىا أمى؁ لو كان أءءىار الفءاءة لجمالها لكان الرءل ىءزوج كل ىوم فءاءة أجمل من ءلك الءى قبلها ..

● لهذا أنا أءق بأءءىارك جىءاً؁ والآن أءبرنى.. هل أءبرء والءك ؟!

سكء عمر للءظهء ءم رء علىها بأمءنان..

● لا.. لم أخبر لا أبي ولا أدهم.. أنتي أول من يعلم بهذا، تلك الثقة التي تمنحني أياها أفتقدتها تمامًا مع والدي أو أدهم!..

ساد الصمت بينهما للحظات..

● مستعد للأرتباط بها!؟

تهلل وجه عمر فجأة ورد عليها بكل ثقة..

● بالتأكيد.. بالتأكيد أريد وإلا لم أكن لأتحدث عنها أمامك.. أنها أجمل مما تتخيلين..، لقد عرفت الكثير عنها..

خفض رأسه في خجل، ثم أكمل..

● ليس عدلاً أن تكون هي لغيري يا أمي!..

رفعت والدته حاجبها الأيمن ناظرةً له بتهمك وسخرية، ضحك هو بسبب نظرة والدته التهامية، أكملت هي كلامها..

● هذه الرومانسية مثلاً..!، شعرت بها في فترة الخطوبة فقط ثم عاملني والدك بعدها كأحد أصدقائه..

ضحك عمر، أكملت هي لتختم كلامها معه..

● حسنًا.. سأتكلم مع والدك بخصوص هذا، عليّ الذهاب لتحضير العشاء حالاً..

فرح عمر بأقتراح والدته وأحتضنها بشدة قبل أن تتركه وتغادر غرفته، لقد كان الأمر أسهل مما تخيل، الآن حان وقت الخطوة التالية!..

سمعت صوت خطواتٍ قادمةً نحوها.. لا تستطيع المقاومة، أقتربت الخطوات أكثر فأكثر ويزداد خوفها مما هو قادم، وقفت تلك الأقدام أمامها وهي مُلقاة على الأرض بلا قوة.. تعرف هذه الأقدام جيدًا.. أنها شيرين.. أنحت شيرين لتحديثها ..

● هذا جزاء من يعثب معي يا ماريان ..!، هل كان يُخيل أليك أن تسليبي مكانتي بسهولةً هكذا!؟

حاولت ماريان النهوض أو الحركة لكنها لم تستطع، بصوتٍ يكاد لا يظهر أساسًا سألتها ماريان ..

● ماذا تريد مني أيتها الحمقاء!؟

مررت شيرين يديها من بين القضبان التي تفصلهما لتمسح بيدها على شعر ماريان ..

● لا شيء سوى أطاعتي فيما أقوله لك يا ماري.. هل هذا صعب!؟

تريد ماريان أن تغضب ولكنها لا تستطيع ..

● في الحقيقة يا شيرين أتضح لي أنك أضعف مما كنت أتخيل، لا تستطيعين أنتي منافستي وليس العكس،

تغارين لأنني سلبت منك شهرتك..

أمسكتها شيرين بقوة من شعرها وشدته ..

● مازلت كما أنتي ياماري.. فتاة حمقاء، ستظلين هنا في محبسك هذا.. لا يعلم مكانك هذا غيري أنا.. ستبقين

هكذا بدون طعامٍ أو شرابٍ إلى أن تغادرين عالمنا هذا.. أو تعودين لرشدك..

أفلتتها ثم غادرت المكان وهي تضحك..

كانت تعاني.. كانت تصرخ ولكن صرختها كانت مكتومة إلا أن رنين هاتفها أنقذها من ذلك الكابوس.. أطلقت

ماريان صرختها تلك أخيرًا.. حاولت أن تهدأ وأن تستوعب الأمر.. هاتفها مازال يرن إلى أن سكت، جلست على

سريها تحاول تهدئة عقلها جراء هذا المجهود الذي بذله في هذا الحلم.. لقد كانت تحلم بكابوسٍ مرعبٍ..
كفى فقط تواجد شيرين في حلمها ..! ، هذا كافي لتحويل حلمها لكابوس، رن هاتفها مرةً أخرى.. التفتت إليه
وتناولته.. أنه هيثم، توقعت أن يكون هناك حدث هام الآن ..

● صباح الخير يا هيثم.. ماذا يحدث الآن؟!

● ليس شيئاً في البلاد يحدث الآن يا ماريان، هناك أمراً آخر قد حدث ولا بد أن تعلمي بهذا ..

راودها القلق فجأة، رؤية شيرين حتى لو في حلمها ليس مبشراً ..

● لقد أفلقتني يا هيثم، ماذا حدث؟!

● لقد تعرض عمك لحادثٍ مريعٍ..

أنتفضت ماريان من مكانها ..

● ماذا تقول؟!، متي حدث هذا؟!

● منذ ساعةٍ تقريباً، لقد تم نقله للمستشفى حالاً ..

قامت من سريها بسرعة وتبحث بتشتت في خزانة ملابسها عن شيءٍ ترتديه ..

● كيف حاله الآن؟!

● أنا في طريقي إليك الآن.. سنذهب سوياً..

● سأنتظرك لكن لا تتأخر..

● بالتأكيد..

في غضون دقائق كانت ماريان قد وصلت المستشفى.. لقد أخبروها أنه في غرفة العمليات، وما أن خرج الطبيب
حتى أسرع إلىه ...

● أخبرني يا دكتور.. كيف حاله !؟

● لا تقلقي رجاءاً.. هو بخير وسيتم نقله لغرفة العناية المركزة حالاً..

● ما مدى خطورة أصابته !؟

● لقد دخل في غيبوبة، ولا نعلم متى سيستفيق منها، عذراً

غادر الطبيب من أمامها، وقفت أمام غرفته تتأمله وهو نائم.. همست لنفسها..

● عمي.. لا تتركني رجاءاً، لا تحسبني قوية بما يكفي لمواجهة هذا العالم.. أنا أستند عليك، أنت من قمت

بتربيته ونشأته.. قمت بمساندتي ودعمي، أرجوك يا عمي لا ترحل، أنا أضعف مما تتخيل بدونك..

رن هاتفها فأخرجها من تفكيرها، أنه هيثم مرةً أخرى.. لقد أوصلها للمستشفى منذ قليل وذهب هو للمحطة..

● مرحباً يا هيثم..

● كيف حال الأستاذ ثروت الآن !؟

● بخير.. شكراً لسؤالك..

● لا تقولي هذا مجدداً..

سكت للحظة ثم أردف..

● متى ستأتين للمحطة !؟

● لا أعلم، ربما لن أتي.. سأكون بجانب عمي هنا..

● أذن لن نقوم بتغطية أحداث اليوم !؟

ضربت بيدها على رأسها، لقد تذكرت أن اليوم هو أول أيام انتخابات مجلس الشعب..

● حسنًا.. سأكون في المحطة في خلال ساعة من الآن..

● حسنًا.. سننتظرك ...

أغلقت المكالمة وهي تنظر لعمها بقلق، تتمنى لو أنه يكون بخير..

وصلت ماريان المحطة صباحًا.. كان الجميع متواجد هنا وبنشاط، أخذت تبحث عن هيثم لكنها لم تجده، ناداتها أحدها..

● ماري.. صباح الخير..

● صباح الخير ..

● الاستاذة شيرين تريدك في مكتبها ..

زفرت ماريان، يبدو أنها لن تتخلص منها ولو ليوم واحد..

● حسنًا..، ألم ترين هيثم!؟

● لقد رأيته منذ ساعة تقريبًا، ذهب ليقوم بتغطية الانتخابات ..

قطبت ماريان حاجبها في دهشة ...

● ماذا..!؟ بدوني!؟

● لقد أرسلته الأستاذة شيرين.. رفض هو في البداية لكنها أجبرته بأن يصطحب إحدى المراسلات هناك..

● حسنًا.. شكرًا لك ..

توجهت ناحية مكتب شيرين وفي عقلها سؤال واحد فقط.. لماذا فعلت هذا؟!، أطرقت باب مكتبها وسمح لها بالدخول ..

● كيف ترسلين هيثم لتغطية الانتخابات بدوني؟!، ألا تعلمين أنه يعمل معي؟!؟

رفعت شيرين رأسها لترد عليها ببرود..

● لقد علمت بحادث عمك، أظن بأنه عليك أن تكوني بجانبه ..!

قطبت حاجبيها مجددًا بعد أن راودها الشك للحظة ..

● لكن كيف علمتي بحادث عمي؟!؟

● من هيثم.. لقد أخبرني بهذا..

● لكنك لم تتصلين بي وتخبريني بهذا!..

حدقت إليها شيرين ولم تعقب عليها.. أكتفت بالصمت، أردفت ماريان ..

● حسنًا أريد طاقمًا آخر لتغطية الانتخابات في مكانٍ آخر ..

هزت شيرين رأسها نافية ..

● ليس هناك طاقمًا متاحًا الآن.. لقد قمت بتوزيع الجميع منذ ساعة، الجميع في موقعه الآن..

أشتت ماريان رائحة أستغلال شيرين للفرصة، عمها ليس موجودًا ..!

● ماريان!..، أنتي في إجازة لمدة يومين، لا بد وأن تكونين بجانب عمك ..

حدقت بها ماريان في غضب قاطبة حاجبيها، تدرك ما ترمي إليه شيرين، أعطتها إجازة لمدة يومين حتى يضيع عليها فرصة تغطية الانتخابات، تسعى لأخفائها عن الساحة، أستدارت وخرجت من مكتبها ولسان حالها.. لو كان عمي موجودًا لما كان يسمح بحدوث هذا..

كانت تبكي بداخلها.. تخشى مواجهة محتملة قريبة!، كانت تصرفاته هذه الأيام توحى بأنه يتجهز للقائها.. لا تعلم ماذا كان سيقول بالضبط لكنه سيحدث قريباً.. قريباً جداً، ما حدث معها منذ يومين بدد كل أحلامها.. لم تتخيل أن الأمور ستنتهي بهذه السرعة.. كانت تختبئ كلما أمكنها هذا!..

أما عمر فقد مرت تلك الأيام الماضية وهو يتدرب على الخطوة.. كانت خطته بسيطة جداً.. التخلص من خجله أمام آسية وترتيب كلامه لها.. أصبح أفضل قليلاً لكنه دائماً ما يراوده شعور بأنه سينسى كل كلامه الذي يتدرب عليه أمامها لكن أحمد دائماً ما كان يشجعه ويحمسه على ذلك، لقد حانت تلك الخطوة التي تأخرت كثيراً..، يُردد في نفسه الحوار الذي يتوقعه بينهما، لقد أصبح مستعداً.. عليه مواجهتها اليوم مستغلاً حماسه تلك وألا سيفقد ثقته في نفسه مجدداً..

في ذلك اليوم فضّل عمر الانفصال عن صديقه من بداية اليوم، يريد التركيز، ظل يبحث عنها أو عن صديقتها أماني في أرجاء الكلية.. بعد نصف ساعة من البحث والصعود والنزول وجدهن أخيراً، وعندما لاحظته أماني من بعيد همست لصديقتها ثم تركتها وحيدة.. لقد لاحظ هو ذلك..، تشجّع وتقدم نحوها.. وقفت وهي تنكس رأسها أرضاً.. تقدّم نحوها حتى وقف أمامها مباشرة، كان سيصبيه التوتر لكنه عزم على إطلاق أول كلمة وبعدها لن يستطيع أيقاف نفسه.. سيُجبر نفسه على عدم الخجل..

● آسية.. صباح الخير..

ردت عليه التحية بعد ثواني من التردد الذي ظهر عليها..

● صباح الخير..

أكمل كلامه فوراً..

● كنت أود الحديث معك في أمر هام، أمر يهمك شخصياً..

رفعت رأسها ونظرت إليه وكأنها تعرف مسبقًا ما يريد عمر التحدث بشأنه، لاحظ عمر أن وجهها يبدو جامدًا.. لم يكثر لهذا خشية أن يفقد تركيزه، أكمل عمر كلامه عندما لم يجد أجابةً منها..

● هذه المرة لن أتكلم عن شيء يخص الدراسة، أردت أن أعترف بحبي لك منذ أن تقابلنا أول مرة..

فرح عمر بعد نطقه لجملته الأخيرة تلك.. لقد تجاوز الأصب، أكمل كلامه..

● نعم.. لقد أحببتك ولن أخجل من قولها هذه المرة، وبدون مقدماتٍ طويلة.. أريدك أن تكونين بجانبني دائمًا..

مازالت آسية تتجنب النظر في عينيه، لكن عمر وبشبات يفرغ ما في قلبه..

● تعلمين جيدًا أنني لا أتسلى.. ولأبرهن على ذلك عليك أن تعلمين أنني قد تحدّثت مع أهلي بشأن ارتباطنا، وقد وافقوا، هم يثقون دائمًا في خياراتي بالحياة، لذلك وقبل اتخاذ أي خطوة قررت أن أتأكد من شيء، موافقتك!
!..

قالها عمر وهو ينتظر جوابها.. واثق تمامًا بأجابتها، لكن ما أقلقه هو صمتها.. حتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة سوى رد التحية فقط.. لاحظ أيضًا تجنب النظر له من بداية حديثه..

● آسية.. هل أنتي بخير!؟

نظرت إليه ثم هزت رأسها إيجابًا، كرر سؤاله عليها..

● هل تقبلين الزواج بي!؟

و هنا نطقت أخيرًا بعدما أبعدت نظرها مرة أخرى عنه..

● لا.. لن أقبل..

قالتها والدموع تسربت إليها فجأة، أي صاعقة هذه التي نزلت على عمر!؟، تمر الثواني وهو يحرق إليها لا يستوعب ما قالت.. ليس هذا ما كان يخطط له أو يتوقعه.. كان من المفترض أن يكون سؤاله روتينيًا فقط..!، نظرت هي إليه فوجدته غارقًا في صدمته، أما هي فقدت سيطرتها على دموعها أمامه، حتى أنه أدرك نظراتها الباكية إليه فتراجع خطوتين للوراء ثم التفت وغادر منكسرًا.. لم ينطق بكلمة أخرى بعد رفضها، أما هي فتسمرت

مكانها لدقائق تتابع خطواته المنكسرة والخائبة، حتى ما أن أختفى من أمامها كلياً أدركت أنها تقف بدموعها وسط صديقاتها.. أسرعتم مسح دموعها وتحركت من مكانها بحثاً عن صديقتها أمانى..

أصبحت أيامه بلا معنى خاصةً بعد ما حدث مؤخرًا، فسابقًا كانت أيامه المتبقية له في الجامعة تمر سريعة.. لم يكن حينها قد صارحها بالحقيقة وقد شعر بتسرب الوقت، أما الآن فتكاد أيامه لا تتحرك إطلاقًا.. أيامه قد أصابها الملل والفتور ..!

أنعزل عن الجميع وكلما كان يخلو بنفسه تخونه ذاكرته بتذكيره لما حدث في ذلك اليوم.. لقد كانت تسير الأمور على ما يرام.. ماذا حدث أذن؟!، غير معقول أن كل ما عاشه كان وهمًا ..!، يستحيل أن تكون العلاقة التي كانت تربطهم ببعضهم هي مجرد علاقة أصدقاء جامعة.. حتى لو فهم الأمور على نحوٍ خاطئٍ منذ البداية.. هل فهم صديقه أحمد كل هذه العلاقة بالخطأ أيضًا!؟

حتى أمني صديقتها أبتعدت عن أحمد هذه الأيام، هو متأكد من أنهن يخفين سرًا ما..، فكر قليلًا.. عندما كان يصارحها كانت تظهر آسية وكأنها تحمل همًا على عاتقها.. كانت حزينة.. كان من المتوقع أصلًا أنه كان سيتحدث معها في أمر علاقتهما ببعضهما قريبًا ومن المتوقع أيضًا انها كانت تتوقع ذلك ..!، كانت نظراتها هي وصديقتها توحيان بأنهن كانتا تنتظران خطوته الأولى في شأن علاقته بآسية.. تذكر أيضًا بأن تصرفاتهن مؤخرًا كانت غريبة لكنه لم يهتم لهذا بسبب انشغاله بالخطوة التي كان يعدها مسبقًا..

على كل حال لقد أنتهى الأمر ولم يعد التفكير في الأمر أمرًا هامًا.. لقد أنتهت علاقتهما.. أنتهت دون أن يعلم سبب رفضها.. حتى أنه لم يهتم ليعلم سبب رفضها.. لم يعد الأمر مهمًا بالمرّة.. لقد أنتهى كل شيء..

حينها قرر ولأول مرة في حياته أن يكتب مذكرات خاصة به.. ستكون بدايتها سيئة.. لكن لا يهم طالما أنه سيفصح للورق عما بداخله، لقد رأى أن الكتابة هي ملجأه الوحيد الآن للهروب من واقعه..

مذكرات عمر..

" كانت ملكة على عرش قلبي.. فلم يعجبه القدر ذلك وقرر أن يثور علينا ويفرق بيننا ويعزلها عن عرشها..، وكأنني مثل الجميع لا بد وأن أحظى بقصة حب أولى في حياته وتفشل.. كنتُ أظن بأنه يمكنني تغيير هذه القاعدة

لكن ما حدث هو أنني كالجميع.. فشلت أيضاً، سأحاول نسيانها رغم معرفتي أنني لن أستطيع ذلك.. لن أستطيع لأنها كانت مصدر سعادتي.. سعادتي أرتبطت بوجودها في حياتي..

برحيلها.. رحل كل ما هو جميل في حياتي.. أصبحت حبيس نفسي فقط، لقد رحلت بعدما سرقت مني مفتاح سعادتي.. لقد سرقت نفسها مني.. "

هل بذلك يحاول طردها من أفكاره..؟!، لا لا.. هي من نوع الضيف الثقيل الذي لا يخرج حتى لو لمحت له بطرده، لا يظن بأن فكرة المذكرات تلك جيدة.. لقد كان يفكر في طريقة للتخلص من التفكير.. لكنه لم يُفلح..

كانت أيامه مضطربة وعادت علاقته السيئة مع أخيه أدهم، امتحانات آخر العام قد أقتربت وهو قد عاد لأهماله كل شيء تقريباً.. أصبح أما حبيس غرفته أو في المقهى وحيداً أو معه أحمد..

رن هاتفه أثناء وجوده بالمقهى، صديقه أحمد.. لا يريد سماع موساةً منه، رن هاتفه مرةً أخرى..

● أحمد .. كيف حالك؟!

كان يستمع له بتركيز، قطب عمر حاجبيه من غرابة ما يسمع، بدأ يدرك الأمر كله..

● بالطبع هذا منطقي.. كيف لم نفكر في هذا من قبل؟!، حسناً لنتقابل غداً..

أغلق عمر هاتفه وهو يفكر بالأمر.. كان هذا منطقياً، لقد علم سبب رفض آسية له..!

ليس هناك أسوء من أن يظن أحدهم أنك سيئاً كنت أنت بالنسبة له كل ما يملك... قضت أيامها الأخيرة وهي تعاتب نفسها.. تُعذّب ضميرها.. لماذا لم تخبره بالحقيقة كاملة؟! لماذا أكتفت برفضه فقط؟!، تلعن حظها دائماً.. لا تعرف لماذا أختار القدر أن يكون توقيت اعتراف عمر بحبها له هو نفس التوقيت للأمر الذي حدث معها.. فكرت كثيراً وتساءلت.. كيف يفكر بها بعدما حدث؟! هل يظن أنها كانت تتلاعب به وبمشاعره؟، أم أنه يتفهم بأن هناك سبباً قوياً جعلها تفعل ما فعلت؟!، هي لم تكن بخير حينها.. لاحظت في أيامه الأخيرة أنه كان يتجنب النظر إليها.. هل بذلك يحاول نسيانها؟! هذا منطقي.. سيحاول نسيانها بعدما أنتهت علاقتهم ببعضهم، لكنها لم تكن لتفضل أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة..

و لما بلغها النعب أقصاه من التفكير قررت أن تواجهه.. قررت أن تُصحح له ظنه، لا بد وأن تخبره بسبب رفضها له.. لعل وعسى يبقى ما حدث بينهما سابقاً في طي الذكريات الجميلة.. أخبرت صديقتها أمانى على عزمها مصارحته وبالطبع أيدت أمانى هذه الخطوة.. لا بد أن تواجه عمر وتصارحه هي بنفسها بكل شيء..

كانت تبحث عنه قبيل محاضرة اليوم.. ترددت على كل الأماكن الذي كان يجلس فيها مؤخراً بعد ما حدث بينهما، رن هاتفها.. كانت صديقتها أمانى تخبرها بمكان عمر بعد أن أخبرها أحمد سراً دون أن يعلم عمر.. توجهت لمبنى الكلية الشرقي وصعدت للطابق الرابع.. لقد رأته من بعيد هو وصديقه أحمد.. كانا يسيران ببطء، أسرع لتلحق بهما في آخر الممر..

● عمر..

التفت عمر وأحمد إليها، ظهر أحمد وكأنه قد تفاجأ بالأمر فقرر أن يتركهما ليتحدثا بمفردهما، نادى عليه وهي تتوقع أنه سيلحق بأحمد ويتجاهلها، لكنه لم يفعل.. ظل واقفاً مُبعداً نظراته عنها.. أصابها التوتر فجأة، رغم أنها كانت تستعد لمواجهة وأخباره بالأمر إلا أن التوتر قد نال منها لأنها كانت تتوقع أنها ستعاني في جعله يفهم الأمر منها.. لكن أستجابته السريعة تلك تؤكد لها بأن عمر مازال يبحث عن السبب، سارت بضع خطواتٍ نحوه إلى أن وقفت أمامه..

● عمر، أريد التحدث معك قليلاً.. أيمكنني هذا!؟

لاحظت فتور عينه عنها كعادة الأيام الأخيرة، رد عليها بجفاء ..

● لقد وقفت لأسمعك ..

● لمعرفة سبب ما حدث، أليس كذلك!؟

أجاب عليها عمر بنظرة صامتة هي الأولى له منذ فترة طويلة.. نظرة مفادها أنه يرغب لمعرفة السبب، أكملت هي كلامها ..

● أكاد أجزم بأنه ليس هناك فتاةً بالعالم تملك عقلاً وترفضك لو تقدّمت لخطبة أحداهن...، بل جميعنا كفتيات نرغب بمثل شخصيتك هذه.. جميعنا نرغب بشابٍ ذو خُلق ليرتبط بنا ونكون له شريكاً في الحياة، شابٌ ليس كالبقية ممن يملكون قلوباً تسع لكل فتيات العالم.. إلا أنا..

نظر إليها عمر قاطباً حاجبيه.. يتعجب من استثناء نفسها.. أكملت هي ..

● إلا أنا ممن يمتلكن أباءً يرغموهن على زواج أحد بعينه ولا يأبوا لأرائهن..

ساد الصمت للحظات ثم أستطردت حديثها ..

● أنت دائماً ما تعرف أخبار ومعلومات عني لا أعلم كيف تصل إليك.. بالتأكيد تعرف كيف تكون شخصية أبي

..

لحظات أخرى ساد فيها الصمت، أبعاد عمر نظره ليستجمع أفكاره، تكلم أخيراً ..

● أعلم ذلك.. أعلم بشخصيته الصعبة.. أعلم أنه قد فرض عليك الزواج بأبن عمك لأنه من تقاليد عائلتكم زواج الأقارب فقط، أعلم كذلك أنك ضعيفة لا تقوي على مواجهته أو رفض هذه الزيجة.. أعلم أنه لو بيدك الأمر لرفضتي الأمر كله

تتابعه في دهشة.. يعلم أيضًا ظروفها.. فرحت لأنها أخيرًا علمت بأنه لم يظن بها سوءًا، أما هو فسنحت له الفرصة ليخبرها بآخر ما تمنى قلبه أن يخبرها قبل أن يخرجها من حساباته..

● أنا حزينٌ فقط لأنك الوحيدة التي سكنت قلبي وعقلي معًا، بل الوحيدة التي أحببتها، لقد أنتهت الأمور على نحوٍ سيءٍ..

رغم ألم ما يقوله في قلبها إلا أنها ابتسمت.. أبتسمت لانه لم يظن بها سوءًا..

● أنت رائع كالعادة يا عمر..

هنز عمر رأسه متفهمًا ثم أكمل هو..

● دائمًا ما كنت أتمنى لك السعادة.. معي أو بدوني، ستظلين الأجل بالنسبة لي..

بدأت الدموع تتسرب من عينيها.. كانت تمنى مثل هذا الكلام في ظروف أفضل من هذه، لكن تسيير الرياح بما لا تشتهي السفن، ظهرت أبتسامة الندم عليها..

● من سعيدة الحظ تلك التي ستحظى بك يومًا ما؟!، لا بد وأنها ستكون أسعد فتاةً بالعالم، بالتأكيد سأحسدها

...

سادت لحظات الصراحة بينهما، في هذه المرة كان عمر يُفرغ ما كان في قلبه، يعلم أنها المُقابلة الأخيرة.. لذلك عليه التحدث بما أراد التحدث به دومًا..

● لن أبحث عن مغامرة جديدة، لقد أكتفيت.. أعرف قلبي جيدًا.. سيرفض قبول غيرك.. لقد ورطني بكِ وسيرفض الرحيل معي.. سينحاز لكِ لأنه لا يؤمن بعباداتٍ أو تقاليد.. سيذكرني بكِ دائمًا.. أنه يعرف أنه أحبكِ أنتي فقط.. في النهاية الأمر سيكون زواجًا تقليديًا لي.. بدون ذلك القلب..

حاولت آسية تمالك نفسها من الأنهيار.. دموعها تهرب منها وهي تحاول السيطرة عليها..

● لم يخب ظني بك أبداً يا عمر.. شكراً لك على كل شيء.. كنتُ قلقة حيال هذا الحوار معك.. كنت قلقة من أنك تظن بي سوءاً، لكن الأمر غير ذلك.. كالعادة تفاجئني.. على كل حال أتمنى لك التوفيق في حياتك..

كانت تهتم بالرحيل إلا أن بدا على عمر أنه سيتكلم، نظر إليها عمر...

● أيمكنني أن أطلب شيئاً أخيراً!؟

بدا عليها السعادة والأهتمام معاً..

● بالطبع يمكنك ذلك..

أبعد عمر نظره والتفت بنصف جسده وكأنه سيختم بكلامه ثم يرحل..

● أرجوكِ ساعديني على نسيانك، دعينا نتعامل كأصدقاء لا أكثر على الأقل حتى تنتهي تلك الأيام المتبقية لنا

في الجامعة..!

رحل عمر بعيداً عنها تاركاً آسية خلفه منكسرة، أراد أن يختم بكلماتٍ قاسية لتجد هي مبرراً لنسيانه كذلك..

أحياناً لا يجدي استخدام القوة نفعاً لهزم العدو..، عندما يكون عدوك بالغ القوة فأن ما يحتاجه ليسقط هو عدة ضربات ضعيفة في مكان ما بجسده، حينها سيجد العدو نفسه متألماً وضعيفاً بهذا الجزء من جسده بالذات.. سينهار تدريجياً، وبذلك تكون أنت من قد شكلت نقطة قوة لك بنفسك.. أو بمعنى آخر.. لقد أضعفت عدوك، الذكاء والعقل هما من ينتصران في النهاية..

كان هذا التوقيت مثاليًا لها لتوجيه ضربتها التي ربما تكون قاضية.. جعلها تختفي عن الساحة الإعلامية قبيل تخرجها بفترة حتى ما أن تخرجت بعد عدة شهور لن تجد تلك العروض الأجنبية التي كانت تتلقاها وتكتفي بالحلم فقط بالعمل هنا في القناة معها.. ستكون مُجبرة على العمل هنا دون تكبر..

كانت شيرين تشعر بنشوة الانتصار أخيراً على ماريان.. لقد أستغلت حالة ثروت المرضية ومنعتها من تغطية الانتخابات، لقد نسي الجميع ماريان، كانوا يعتادون رؤيتها في الأحداث الهامة لكن الآن لا..

وصلت المحطة باكراً، لم يرق أحدهم بألقاء التحية لها.. كانوا يتظاهرون بأنهم مشغولون، توجهت لمكتبها مباشرة.. أسترخت قليلاً ثم رفعت سماعة الهاتف لتطلب قهوتها، لاحظت وجود ورقة ما على مكتبها.. تناولتها وقرأت ما فيها، قطبت حاجبها في تعجبٍ مما تقرأ..، رفعت سماعة الهاتف مرة أخرى..

● أخبر ماريان بأني أنتظرها في مكنتي..

أغلقت الهاتف وانتظرت قدوم ماريان ...

الجميع أستقبل ماريان بحفاوة بعد غياب على غير عاداتها.. الجميع أيضاً يبدو مستاءً بقرار ماريان، الجميع علم بأنها قدمت أستقالتها صباح اليوم وهي موضوعة على مكتب شيرين تنتظر توقيعها، الجميع يظن بأن شيرين لن تتردد لحظة واحدة في قبول أستقالة ماريان..

بعد أن رحبت بالجميع.. جلست مع هيثم الذي كان أكثر المستائين برحيلها ..

● سنفتقدك يا ماريان..

بدا عليها الأستياء هي الأخرى بسبب استيائه ..

● أنا أيضاً سأفتقد العمل معك يا هيثم.. أعلم بأنه قرار صعب لكن كان لابد من أتخاذة.. لكنني أعدك بأني سأعود..

أبتسم بعدما سمع وعدها، يعلم أن ماريان لا تُخلف وعداً ..

● و أنا سأنتظر وعدك هذا يا ماري..

قاطعتهما أحدهن ..

● ماريان.. الأستاذة شيرين تنتظرك في مكتبها..

التفتت لهيثم مرة أخرى بأبتسامه مفادها أنها لابد أن ترحل الآن، صافحته بوداع ثم توجهت لمكتب شيرين ..

طرقت الباب ثم أذن لها بالدخول..

● ماريان؟! صباح الخير..

● صباح الخير ..

جلست قبالة شيرين، التفتت شيرين من وراء مكتبها لتجلس أمام ماريان..

● أخبريني أذن.. ما هذه؟!

مدت شيرين إليها ورقة، أكتفت ماريان بالنظر إليها فقط ..

● هذه أستقالتي..

● و لماذا يا ماريان؟!

● ليس لي مكان هنا يا شيرين..

● أهذا له علاقة بعدم تغطية الانتخابات البرلمانية!؟

● ليس هذا فقط يا شيرين، لقد رفعت الراية البيضاء أمامك.. أنا أستسلم..

أرسمت أبتسامة على وجهها لاحظتها ماريان لكنها لم تُعقب، مالت ناحيتها شيرين ..

● ماريان.. عليك أن تفهمي الأمر جيدًا، الأمر لا يتعلق بحربٍ بيننا كي تستسلمين.. كل ما في الأمر أنك مازلت طالبة وتعلمين أنك تزاولين المهنة دون ترخيص ولا تملكين حقوق الصحفيين لو تعرضتي لأزمة ما.. الجميع يعلم أن عمك هو من يقوم بحمايتك، الأمر الثاني يا ماريان هو أن هناك من يريد أن يأخذ فرصته ليبرهن على موهبته لكن ما يُعيقهم هو وجودك يا ماريان.. وأظن بأن الأولوية ستكون لهم بالطبع ..
لم تبدي ماريان اهتمامًا بكلامها..

● حسنًا وها هي أستقالتني أمامك يا شيرين..

تناولت شيرين قلمها ووقعت على موافقتها على استقالة ماريان ..

● عليك أن توضحني الأمر لعلمك يا ماريان، سيظن أنني أنا من قمت بطردك من المحطة ..

أخذت ماريان استقالتها من شيرين ثم قامت وتوجهت للخروج ..

● لا تقلقي يا شيرين.. عمي هو من أخبرني أنني لا بد وأن أستقيل أولاً من العمل هنا كي أستطيع العمل هناك، هذا شرطهم بالطبع ..

قطبت شيرين حاجبيها لا تفهم شيئًا..

● ماذا تقصدين بالعمل هناك!؟

ظهرت ماريان وكأنها تفاجئت بسبب عدم معرفة شيرين بالأمر، كانت السخرية واضحة جدًا في وجهها..

● ألا تعلمين بالأمر يا شيرين!؟، كيف يُعقل أن جميع من يعمل هنا يعلم بالأمر وأنتي لا!؟

أمالت شيرين رأسها في عدم فهم، نظراتها تعني أن تسأل ماريان بصمت.. ما هذا الذي لا أعرفه!؟، أكملت ماريان عندما رأت ملامح وجهها..

● لقد قُبلت بعرض الـ " BBC " يا شيرين .. !، وبعدها أنهى دراستي في الجامعة بعد شهرين سألتحق للعمل هناك ..

حدّقت بها شيرين غيرُ مصدقة لما تسمعه، وكأن لسان حالها كيف ومتى حدث هذا؟!، أكملت ماريان ..

● لا أعلم كيف أشكركِ يا شيرين؟!، كنتِ أنتي السبب في هذا ..!، أختفائي أثار العديد من التساؤلات، شرحت الأسباب فكانت فرصة مثالية للتعاقد معي، أستمعت لكل العروض وأخترت أفضلهم بالطبع، بالطبع أنتي لم تقصدي أن يحدث كل هذا ولكن سرت الأمور عكس ما كنتي تخططين له ..

مازالت شيرين غارقةً في صدمتها، أكملت ماريان ..

● كان عمي سيوقع بنفسه إلا أنني فضلت أن أشكركِ بطريقتي الخاصة ..

نظرت ماريان في ساعتها لتهم بالرحيل ..

● لقد تأخرت الآن لا بد وأن أخبرهم بأنني أستقلت رسمياً من هنا ..

أرتسمت أبتسامه على وجهها ..

● ثم سألقي بيان على صفحتي على الفيس بوك أعرب فيه عن شكري لكِ يا شيرين، لا تنسي أن تتمني لي مزيداً من التوفيق رجاءً ..

خرجت ماريان ومازالت شيرين غارقةً في صدمتها .. لقد جعلت ماريان تنتصر في النهاية بطريقةً ما عكس ما كانت تخطط له ..

للمفاجأة نوعان أما أن تكون سارة وسعيدة تلك التي يتمناها الجميع أو تكون سيئة وحينها فقط تُسمى صدمة.. تلك الصدمة كقيلة أحياناً بتحويل أحدهم من شخصٍ ساذج آمن بخياله المريض الذي يوحي له بأن الدنيا ستبتسم له دائماً إلى ذلك الشخص الذي نضج عقله وعلمه أن يتوقع الأسوأ قبل الأفضل وأن يكون حذرًا في كل خطوة يخطوها بحياته.. السعيدة منها فقط سُميت بأسمها " مفاجأة " والسيئة أرتبطت باسم آخر.. " صدمة " ..

تساءل في نفسه.. من أين جاء بذلك الجفاء الذي ظهر به أمام آسية؟!، منذ أسابيع فقط كان يخطط للتخلص من خجله عندما يحادثها في موضوع أرتباطهم ببعض، لكن ما حدث له مؤخراً كان كفيلاً بأن طباعه تتغير فجأة..

مرت أيام منذ آخر مرة رأى فيها آسية.. كان يتجنب رؤيتها ولو صدفة.. يحاول محوها من ذاكرته ولو بدا هذا مستحيلًا.. كان يريد أن تمر أيامه في الجامعة سريعة حتى لا يراها مجددًا.. ليس لأنه يكرهها.. لا لا.. يريد فقط نسيان ما كان جميلًا بينهما ذات يوم.. كان يحاول دخول مبنى الكلية من بابٍ آخر غير الرئيسي والجلوس في أماكن بعيدة عن الأنظار.. كل هذا لتمر تلك الأيام سريعة وليتها تمر هذه المرة..

وصل أحمد وعمر للكلية هذا الصباح وكان يسرعان لحضور المحاضرة الأخيرة لهم قبل امتحانات آخر العام وكعادة الأيام الأخيرة الماضية فضّل الدخول من بابٍ آخر، وبدلاً من أن يصعدا لمكان المحاضرة وقف عمر فجأة..

● أحمد.. أصعد أنت للمحاضرة وأنا سألحق بك..

قطب أحمد حاجبيه في استغراب..

● الآن؟!، ولكن..

قاطع عمر ...

● لن أتأخر يا أحمد.. سأمضي هذه الأستمارة من مكتب شئون الطلاب وسألحق بك..

هز أحمد كتفيه وصعد بسرعة ليلحق بالمحاضرة..

وصل أحمد للطابق الرابع حيث القاعة التي ستحتضن المحاضرة الأخيرة.. في نفس الوقت الذي كانت آسية وأماني تنزلان من الطابق الخامس في طريقهن للقاعة.. أحمد لاحظ أن أستاذ المادة قد دخل القاعة وأغلق الباب ورائه.. أسرع ورائه وكان سيطرق الباب ليستأذن بالدخول لكنه سمع صراخ أحدهن فجأة بالقرب من القاعة فقدت آسية توازنها وهي تنزل الدرج وسقطت من أعلى الدرج حتى أصطدم رأسها بحافة آخر درجة في السلم.. صرخت أماني ونزلت الدرج بسرعة للأطمئنان على صديقتها التي وضعت يديها على رأسها متألمة بدون أن تصدر صوتاً.. أسرع أحمد باتجاه الصوت الذي صرخ فوجد في نهاية الممر عند مدخله أماني وهي تحاول أن تستغيث بأحدهم لأنقاذ آسية..

صرخت أماني عندما وجدت أحمد..

● أحمد.. أنقذني أرجوك.. آسية لا تنطق..

كان شعور أحمد حينها لحظي.. كان يريد أن يظهر عمر الآن ويرى ما حدث لكن صراخ وبكاء أماني جعله يصحو من غفلته.. حمل آسية على يديه ودخل بها المصعد وتبعته أماني لينزلا بأسية للوحدة الطبية بالكلية..

في اللحظة ذاتها التي دخل فيها أحمد وأماني المصعد كان عمر قد وصل للطابق الرابع من على درج السلم.. تنهد عندما علم بأن المحاضرة قد بدأت بالفعل.. طرقت الباب وأذن له الدكتور بالدخول، جال بنظره وسط أصدقائه باحثاً عن أحمد لكنه لم يجده.. وسع مجال بحثه للقاعة كلها فلم يجده أيضاً، ولاحظ أيضاً عدم وجود أماني أو آسية، لقد رجح في عقله أنه ربما فضل أحمد مقابلة أماني عن حضور المحاضرة الأخيرة أما آسية ففضلت هي الأخرى عدم الحضور..

انتهت المحاضرة الأخيرة وغادر عمر القاعة مع زملائه.. أخرج هاتفه ليتصل بأحمد فوجد أن هناك ما يزيد عن العشرين مكالمة فائتة جميعها من أحمد.. لم يسمع رنين هاتفه لأنه كان صامتاً، أتصل به.. رد أحمد وصوته يبدو مضطرباً...

● عمر.. أين أنت الآن؟! ..

رد عليه عمر ...

● لقد أنتهت المحاضرة الآن لكن لماذا ...

قاطعته أحمد في اضطراب ...

● عمر.. تعالي بسرعة لمستشفى سوهاج العام.. آسية في خطر..

صُدِم عمر.. فقد النطق وزادت ضربات قلبه، حاول أن يظهر صوته لأحمد ...

● خطر؟!، ماذا حدث يا أحمد؟! ..

حاول أحمد أن يتصنع الهدوء في صوته..

● ستعرف كل شيء لاحقاً يا عمر، تعالي لهننا وستعرف كل شيء..

أغلق عمر الهاتف وأسرع لينزل، خرج من باب الكلية وهو يجري بسرعة، عقله يعمل بسرعة ويفترض أحداث تمت أو ستتم، لقد نسي ذلك العاشق تكبره وعناده وظهرت حقيقته التي حاول نسيانها ..، عشقه وحبه لآسية..

كان يظن أنه يحاول نسيانها.. كان يفكر في كيفية نسيانها، سخر من نفسه.. محاولة نسيانها هي بحد ذاتها تفكيرٌ فيها، ولمجرد سماعه فقط بأن آسية في خطر نسي أنه كان يحاول نسيانها.. كان عقله يستبق الأحداث ويتوقع الأسوء..

وصل عمر في وقتٍ قياسي.. وقت يستطيع من خلاله أن يتيقن بأنه كان يعيش في أكذوبة تسمى " نسيانها "، عندما وصل للطابق الثالث حيث العناية المركزة كان قد وجد أحمد وأماني يقفان ويتحدثان والهم بادياً على وجهيهما.. أسرع عمر باتجاههما وعندما وقف أمامهم سألهم ..

● ماذا حدث بالظبط !؟

أنتظر عمر أجابةً من أحدهما لكنه لم يلقي منهما سوى الصمت، تبادل أحمد وأماني نظراتٍ مقلقة وهذا ما زاد من توتر وعصبية عمر..

● فليخبرني أحدكم ماذا حدث !؟، كيف حال آسية !؟

تكلم أحمد أخيراً ..

● سقطت أماني من على الدرج في مبنى الكلية وأصطدم رأسها بأخر الدرج وأغميَ عليها ..

تنفس عمر الصعداء، أرتاح عقله من تفكيره في الأسوء، لقد ظن أنها على وشك الموت أو حدث لها شيءٌ أسوء من هذا.. التفت لأماني التي كانت تبكي..

● أماني.. لا داعي لأن تبكي.. ستكون الأمور بخير.. لا تقلقي ..

التفتت أماني لأحمد وكأنها تقول له أن عمر لا يعلم بشيء، تركتهما وأبتعدت عنهما، لقد فهم عمر من نظرتها تلك لأحمد أن هناك شيء ما لا يعلمه ..

● أحمد.. ما الذي يجري هنا ولا أعلمه؟!، لماذا تبكي أمانى هكذا!؟

نكس أحمد رأسه لثوانى، كان يحاول أن يقولها بلطفٍ له..

● بعد أن أصطدم رأسها بآخر الدرج تألمت قليلاً ثم أغمي عليها، أسرعتُ بها للوحدة الطبية بالكلية وهناك اتصلوا بالأسعاف، وصلنا هنا في غضون ربع ساعة تقريباً، وبعد أن قام الطبيب بفحصها أخبرنا أن أغمائها هذا قد يطول بعض الشيء و...

توقف فجأةً عن الكلام مما جعل عمر يقطب حاجبيه انتظاراً لتكملة كلامه، أكمل أحمد وهو يحاول جاهداً أن يقولها بلطفٍ لكنه لم يُفلح ..

● ولقد أُصيبت آسية بالشلل!..

نزل الخبر كالصاعقة على عمر، لا يعلم كم مضى من الوقت وهو يحرق له غارقاً في صدمته، شعر ببرود يسري بجسده، لم تتحملة قدماه فجلس بالمقاعد التي كانت خلفه، حاول استيعاب الأمر، جلس أحمد بجانبه وأريت على كتفه محاولاً تهدئته ..

التفت عمر ناحية أمانى التي وقفت بعيداً أمام إحدى الغرف، توجه نحوها وتبعه أحمد، وعندما اقتريا كلاهما من الغرفة التي تقف أمامها أمانى خرجت منها امرأة تبدو في الخمسين من عمرها، التفت عمر لأحمد فهز أحمد رأسه أيجاباً.. لقد فهم عمر أن هذه المرأة هي والدتها..

لقد لاحظت والدة آسية أن أحدهم أتى لتوه، عندما وصلت للمستشفى بناءً على اتصال أمانى بها لم تجد سوى أحمد الذي حاول أنقاذ أبنيتها آسية، لكنها تعرف هويته.. لاحظت الوجوم على وجهه.. لا بد وأن يكون هذا عمر..

تقدم عمر وصافح والدة آسية، ثم فاجأته بسؤال لم يتوقعه ..

● أنت عمر، أليس كذلك!؟

أكتفى عمر بهز رأسه أيجابًا فقط محدقًا بها، لقد لمحت هي في عينيه نظرة تساؤل.. كيف عرفته؟!، التفتت نحو الواجهة الزجاجية لغرفة أبنتها لترى أبنتها ممددة ويبدو على وجهها الألم وهي في عالمٍ آخر، أبتسمت بحزن وألم ..

● دائماً ما كانت تحكي لي أسرارها وكنت أنت أحد أسرارها يا عمر.. لذلك لا تتعجب من معرفتي لك..

لقد كان الحزن بادياً على وجهه، كان أول من فكر في كيفية أخبار آسية بعجزها هذا.. !

ظلت الأمور على حالها أسبوع كامل، أسبوع ظلت فيه آسية في عالمها الخاص مغشيةً عليها، أحمد وأماني وعمر يترددون يوميًا على المستشفى للأطمئنان عليها لعل وعسى أن تستفيق من غيبوبتها وتتدارك ما فاتها من الامتحانات العملية..

لقد عاد أخيها يوسف من سفره فور سماعه بالحادثة التي تعرضت لها آسية.. كذلك والدها الذي كان يتردد عليها كلما سنحت له الفرصة، أما ابن عمها فقد زارها مرةً وحيدة كان لا يبدو عليه علامات التأثر أو القلق بتلك الحادثة التي تعرضت لها شخصيةً في حياته من المفترض أنها تكون خطيبته!! لكنه بعد هذه الزيارة اليتيمة كان يكتبني بالاتصال فقط..

كعادة الأيام الأخيرة ترددوا جميعًا على المستشفى بعدما أدوا الامتحان العملي الأخير.. عمر وأحمد كانا يجلسان خارج الغرفة كالعادة.. والدة آسية وأماني تجلسان مع آسية في الغرفة

تحركت أخيرًا.. تدريجيًا عادت آسية لواقعها بعد غيابٍ عن وعيها لأيام.. احتضنتها والدتها في الوقت التي خرجت أماني فيه من الغرفة لتبشر عمر وأحمد بالخبر، لا إراديًا ففزا كلاهما من مكانهما ولكن فجأة توقف عمر وأمسك بذراع أحمد يستوقفه مما أثار دهشته.. سأله أحمد..

● ماذا!؟

توقف أحمد في مكانه وهو يتعجب من قرار عمر بعدم تفضيله للدخول الآن، متى الوقت المناسب برأيه!؟
أما في الداخل فكانت المشاعر مختلطة ما بين الفرحة بأستفاقة آسية وما بين القلق والترقب في اللحظات القادمة.. كيف ستستقبل خبر عجزها!؟

كانت والدتها تحتضنها والدموع تنهمر منها فرحة..

● حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي ..!

كادت آسية أن تختنق لكنها كانت تتحمل ..

● الحمد لله يا أمي، أنا بخير ..

قالتها في أنهاك واضح ثم نظرت لأماني والتي حضنتها بشدة أكثر من والدتها، دمعت عينيها بعيداً عن نظر آسية، حاولت طرد دموعها بسرعة بمزاحها معها ..

● أفتقدناك يا غبية، حمداً لله على سلامتِك ..

● شكراً يا صديقة الغبية، هل يمكنني التنفس قليلاً!؟

أفلتت آسية نفسها من أماني بحركة مزاحية، أسندت ظهرها للوراء في أنهاك واضح ..

● منذ متى وأنا هنا لكي تكون هذه الفرحة بأعينكم!؟

ظهر بخاطر أماني فجأة عدم وجود عمر في الغرفة .. رغم أنها أبلغتهم بذلك، لكنها أدركت ما قرره عمر .. هذا ليس الوقت المناسب فعلاً لدخوله أو الظهور أمامها .. اللحظات القادمة ستكون صعبة خاصة مع وجوده هنا ..! أجابتها والدتها بعد أو وضعت يدها على شعر أبنيتها ..

● هذا اختبارٌ من الله وعلينا اجتيازه، لا داعي للقلق يا آسية ..!

تعجبت آسية من كلام والدتها .. ماذا تقصد باختبار الله!؟، لاحظت أماني تعجبها فأجابتها نيابةً عن والدتها ..

● أنتي هنا منذ أسبوع وستخرجين حالما تتحسن حالتك ..

صُدمت آسية مما سمعته، عملت على القيام من سريرها لكنها لم تستطيع .. أستوقفها جسدها فجأة .. تعجبت لأنها غير قادرة على التحرك لكنها ظنت أنها قد تكون مازالت مجهدة .. في هذه اللحظة نظرت أماني ووالدة آسية لبعضهما في توجس .. لحظة الحقيقة ستكون قاسية على الجميع هنا ..

زفرت آسية وفكرت بصوتٍ مسموع ..

● قد فاتتني الامتحانات العملية وبالطبع لن أستطيع اللحاق بأول مادتين على الأقل.. سنةً أخرى في تلك الكلية الملعونة؟!، ماذا فعلت يا ربي ليكون حظي هكذا!!؟

دخل الطبيب بعد أن علم بأنها بخير..

● أذن ما سمعته صحيحًا.. لقد تخلصت المهندسة آسية من غيوبتها أخيرًا..

تنهدت آسية وردت عليه في حسرة..

● نعم تخلصت من الغيبوبة ولم أتخلص من الدراسة في تلك الجامعة، لقد فاتتني الامتحانات يا ربي!..

التفتت آسية للطبيب لتسأله..

● هل يمكنني اللحاق بامتحانات آخر العام؟!، أريد الخروج من هنا بسرعة رجاءً..

● مع أنني كنتُ أفضل مكوثك هنا لوقتٍ أطول لمتابعة حالتك إلا أنني سأسمح لك بالخروج الليلة، وليكن في حسابك أننا سنبدأ علاجك قريبًا، وبصراحة أسرني كثيرًا تلك الأبتساماة على وجهك يا آسية.. قليلون فقط من يقابلون عجزهم بأبتساماة هكذا.. سيسهل هذا من علاجك بالتأكيد!..

جملته الأخيرة تلك كانت كافية بشرح سبب الصمت الذي ساد المكان فجأة! ما كان يخشاه الجميع قد حدث.. حانت تلك اللحظات الصادمة، لذلك قد يتم سماع دقائق قلبهن جميعًا..

أما آسية فقطبت حاجبيها في عدم فهم.. من هؤلاء الذين يقابلون عجزهم بأبتساماة؟!، وما هذا العلاج ولماذا؟!، منذ أن أستفاقت وهي لم تعلم ماذا حدث أصلاً معها.. سألت الطبيب ..

● ما علاقة ما تقوله بي يا دكتور؟!، وعلاج ماذا الذي سيكون سهلاً؟!..

نظر الطبيب لأماني ولوالدة آسية..

● لقد ظننت أنكما قد قمتما بأخبارها بشأن عجزها!..

للحظة لم تستوعب آسية ما قيل أمامها، ثم جاء بخاطرها فجأة عدم قدرتها على تحريك نفسها خاصةً نصفها السفلي.. حاولت تحريك قدميها لكنها لم تستطيع ولم يتحركا.. التفتت للطبيب محدقةً به متمنية أن ما يجول

بخاطرها ليس صحيحًا أو أنها قد فهمت الموضوع كله خطأ.. لكن كيف يكون قد فهمت خطأ وقد بدا على والدتها القلق والخوف وكذلك الحال بالنسبة لصديقتها أمانى؟!، سألته..

● شلل!؟

بدا على الطبيب الأسف..

● آسفٌ يا آسية، ظننت أنكِ تعلمين بهذا..

لم تشعر بشيءٍ بعدها.. لقد سافر عقلها بعيدًا، أرتمت على ظهرها تحديق بالسقف في شروء.. بدأت الدموع تغزوها وأنغمرت في البكاء بعدها، حاولت أمانى تهدئتها لكنها لم تتحمل صدمتها وأغميَ عليها مرة أخرى..

عمر وأحمد يراقبان الوضع من خارج الغرفة.. كان عمر حزينًا لما يحدث، لقد أشفق عليها.. تمنى لو يزيح حزنها عنها، تمنى أن يتخلى عنها الجميع ويقف هو فقط بجانبها..!

كان من المفترض أن تخرج من المستشفى منذ عدة أيام ولكن حالتها النفسية أجبرتها على البقاء لعدة أيام أخرى، لم تصبح آسية تلك الفتاة المبهجة والمرحة والمشاكسة.. أصبحت يائسة وحزينة بل وصل الأمر الى إنها تعد وتحصي أيامها المتبقية في الحياة.. أصبحت تنتظر أجلها..

أنتهت الامتحانات وأنتهت الدراسة معها للجميع باستثناء آسية التي لم يهملها الأمر على الإطلاق فهي لم تعد تهتم لأمر تلك الحياة بعد ما حدث لها.. سافر أخوها للعمل في الخليج، ولم ترى ابن عمها قد زارها ليطمئن عليها ولو مرة بل يكفي فقط بأرسال أمنياته بالشفاء لها!، أبيها منشغل دائماً في عمله وقد يمر أيام دون زيارتها.. أما والدتها وأماني فكانتا معها طوال الوقت في غرفة العناية المركزة، أحمد وعمر خارج الغرفة.. أحمد يدخل بين الحين والآخر ليطمئن عليها وكلما دخل أحمد تتذكر آسية عمر وعن تخليه عنها هو الآخر حتى في مثل تلك الظروف، الجميع يعرف ان عمر لم يتخلى عنها وانه متواجد منذ بداية الأزمة لكنه لا يستطيع الدخول بعد ..!

في منتصف الليل تسهر آسية ووالدتها كالعادة يتحدثان معاً لملئ الفراغ فقط ..

● أتعرفين يا أمي.. بعد الحادثة التي تعرضت لها لم تعد تهمني حياتي أو أي شيء فيها لكن ما يؤلمني حقاً أن كل من كانوا حولي تركوني الآن.. أخي يوسف سافر ولم يعد يهتم، أبي منشغل دائماً، حتى ابن عمي لم يزورن.. تنهدت بعد أن بدأت الدموع تظهر بعينيها ..

● لا أظن أنه سيرتبط بفتاة عاجزة مثلي.. أنتي وأماني فقط تسانداني، أحيانا أحمد كذلك ..

سكتت للحظة ثم قالت ..

● لا أريد شيئاً من أحد، لا أريد أن يشفق عليّ أحد ..

قاطعتها أمها وهي ترمي لشيء ما..

● هناك أحدهم لم يتخلى عنك هو الآخر !..

نظرت آسية لوالدتها بتعجب قاطبةً حاجبها في شك ...

● ماذا تقصدين !؟

ردت والدتها وبأبتسامةً تملو وجهها لعلها تفهم ما تقصد ..

● بالتأكيد هو من تفكرين به طوال الوقت .. هو أول من جاء ببالكِ، لم يتخلى عنكِ لحظةً واحدة .. هو الذي

فعل ما لم يفعله أبن عمك أو ما يُلقبونه بخطيبك !..

تساءلت آسية في نفسها .. أيعقل أن يكون هو ؟!، هي تشعر بوجوده لكنها ظنت ذلك لأنها لم تعتاد على فراقه

بعد، هل حقًا لم يتخلى عنها هو الآخر !؟

قاطعت والدتها تفكيرها ..

● عمر معكِ منذ البداية ولم يتخلى عنكِ، هو معنا طوال الوقت ولا يغادر المستشفى سوى لتأدية الامتحان أو

للراحة من عناء اليوم في البيت، شأنه شأن أمانى أو أحمد، لكنه فضّل عدم الظهور أمامكِ الآن .. على الأقل هذه

الفترة فقط ..

بدا الأمر طبيعيًا بالنسبة لآسية، أحساسها منذ البداية كان صادقًا .. عمر لم يتخلى عنها لكنه لا يريد الظهور الآن

بسبب ما حدث في آخر حديث بينهما

أنصت لباقي حديث والدتها ..

● تحدّثنا في وقتٍ أنتي كنتي نائمةً حينها، كان يلوم نفسه لأنه قرر ذات يوم أن يبتعد وحاول نسيانكِ بالرغم أنه

يعلم جيدًا أنه قد تم خطبتك .. لقد وقف بجانبك في الوقت الذي أنشغل فيه البعض بحياته فقط ..

أسندت آسية ظهرها للوراء وحدقت بالسقف .. كانت تفكر في كلام والدتها .. كانت تفكر في عمر .. تساءلت ..

لماذا لم يتخلى عنها هو الآخر !؟، لم تعلم ماذا تريد أصلًا .. أن يتخلى عنها ويكون هو كغيره أم أن لا يخلى

عنها وبذلك سيكون واضحاً أنه يُشفق عليها.. لا تعلم كم من الوقت مر لكي تجد أن والدتها قد نامت بجانبها،
هي أيضاً قد أرهاقها التفكير فنامت..

كان من المفترض أن يكون أول من يدعمها ويقف بجانبها في محنتها لكنه كان أول الراحلين عنها، لم يزورها قط سوى تلك المرة اليتيمة يوم الحادثة التي تعرضت لها ..!، كان هذا في عُرف الجميع أنه قد قر فسح خطبته بها، بالتأكيد هذا سيؤثر عليها نفسياً.. ليس لأنها تحبه أو شيء هكذا فهي لم تطيقه من الأساس لكن مغزى الرحيل عنها هو من سيشعرها بالعجز الحقيقي..

لذلك كان على الجميع أن لا يسمحوا بأن تتدهور حالتها النفسية، كان هناك من أبدى أستعداده التام للوقوف بجانبها حتى شفائها حتى لو بدا هذا صعباً أو مستحيلاً..

كان الجميع يقف خارج الغرفة عدا والدة آسية.. كانوا يخططون لإعداد مفاجأة لآسية بدخول عمر والأطمئنان عليها كأعلان عن عودة العلاقات بينهما.. الجميع يريد أن يجعل آسية تفهم أن عمر مازال يحبها وأنه مُصر على الوقوف بجانبها ومساعدتها عكس من كان يلقبونه بخطيبها هذا الذي لم يهتم بالأمر من الأساس، دخلت أمانى غرفة آسية بالمستشفى فيما ظل عمر وأحمد في الخارج ينتظران إشارة أمانى لهما بالدخول، وبمجرد دخول أمانى مبتسمة شعرت آسية بشيء غير طبيعي سيحدث وربما حدثها حثها بأنها سترى عمر اليوم بعد أن حدثتها والدتها عنه بالأمس، جلست أمانى بجانب آسية في الجهة المقابلة لوالدة آسية ونظرت إليها بأبتسامه غريبة ..

● كم ستدفعين لي مقابل أخبار سارة!؟

وحيث أن آسية كانت تنتظر خبر واحد جيد منذ الحادثة عدلت من وضعيتها على السرير لتجلس وعلى وجهها الترقب، قالت لأمانى بترقب..

● أرجوكي.. أنا أستمع!..

أمسكت بهاتفها قامت بفعل شيء فيه ثم تركته، التفتت إليها لتخبرها بالخبر الأول ..

● أولاً لقد أخبرنا الطبيب بأن حالتك مستقرة ويمكنك الخروج الليلة..

أرتسمت البهجة على وجه آسية لكنها فكرت للحظة في أنها للمرة الأولى ستواجه العالم بعجزها هذا، لكن ما قطع تفكيرها هو صوت والدتها عندما سألت أمني ..

● والثاني؟!!

● أما ثانيًا فهناك من تودين رؤيته ..

التفت الجميع نحو باب الغرفة التي كان يقف عليها عمر وأحمد، دخل أحمد أولاً وألقى التحية وسعاده برؤية آسية بخير لكن الجميع قد لاحظ جمود تعابير وجهها خاصة عندما دخل عمر بالذات.. لم تبدي أي سعادة أو أمتعاضٍ حتى.. أما عن عمر كالعادة لم يلاحظ هذا لأنه وبكل بساطة كان يخطط للكلام بعينه سيقوله لها.. وكان يُركز فقط على ألا يفقد منه أي شيء، دخل ميتسماً ولم يبالي بنظرات آسية الجامدة ..

● بدايةً.. حمدًا لله على سلامتك ..

تجاهل عمر عدم ردها على تحيته هذه وأعتبرها أنها خجلت، وهكذا ظن الجميع أيضًا، أكمل عمر كلامه ..

● سمعت بخير خروجك اليوم، وكنت سه ...

● ماذا تريد؟!!

قالتها آسية بحدة، للمرة الثانية آسية تقاطع عمر عندما يرتب كلامته لها، أندهش الجميع من سؤالها المفاجئ هذا.. أرتبك عمر وكان يستعد ليرد عليها لكنه لم تسمح له بأن يتكلم مرةً أخرى..

● أنت أكثر من يعلم أنني لن أكون مسرورة برؤيتك مجددًا في حياتي يا عمر.. فلماذا تظهر مجددًا؟!، جئت لتساعدني أم لأنك قد أشفقت عليّ؟!!

علا صوتها فجأةً بعصبية..

● لا أريد أشفاقًا من أحد.. سأعيش حياتي المتبقية هكذا إلى أن أرحل ..

الجميع في حالة ذهول مما تقوله آسية.. لا أحد توقع هذا أن يحدث.. أما عمر فلا يمكنني وصف حالته مجدداً، أكملت آسية عتابها بعدما هدأت قليلاً ..

●أذهب يا عمر.. لا تتقمص دور البطل أو الطيب وترتبط بفتاة عاجزة.. نحن هنا ليس في فيلمًا رومانسيًا هنديًا.. أذهب وحاول نسياني وعش حياتك طبيعيًا وتزوج بفتاة تحبها وتحبك..
أشاحت بنظرها بعيداً عنه..

●أرجوك.. لا أريد مساعدتك أو حتى رؤيتك مجدداً..

أدار عمر ظهره وخرج مسرعاً مصدوماً.. تبعه أحمد الذي عمل على تهدئته، فيما نظرت أماني لآسية نظرت عتاب وخرجت مسرعة هي الأخرى لتلحق بعمر لتوضح الأمر له وعندما لحقت به نادته ثم وقفت أمامه..

●عمر..، أعلم أن ما حدث كان غير متوقعاً.. يبدو أننا قمنا بذلك في الوقت الخطأ..، لم يكن عليك أن تظهر لها في بداية أزمتهما لكننا جميعاً لم ندرك هذه المشكلة، أرجوك ألتمس لها العذر فهي ليست على مايرام وأعلم أنك لو فكرت في الأمر قليلاً فأنتك ستدرك حالتها جيداً وتلتمس لها العذر..

ظل عمر صامتاً ولم يتكلم وعندما أدرك أن ليس هناك كلام أخر ستضيفه أماني تركها وهم بالخروج من المستشفى وتبعه احمد لتهدئته، أما هي فعادت لغرفة آسية مرة أخرى..

بدأ الجميع يتوافد لحضور حفلة التخرج الخاصة بكلية الأعلام، لم يبدأ الحفل رسمياً ولكن لا بأس من بعض الموسيقى الهادئة حالما يصل كبار ضيوف الليلة من شخصياتٍ جامعيةٍ كرئيس جامعة القاهرة ونائبه وأساتذة في كلية الأعلام مثل عميد الكلية وبعض الأساتذة.. أعلاميون وشخصياتٍ عامة مثل المذيعة الشهيرة شيرين عبد النور.. كان منظمو الحفل ينتظرون هؤلاء الضيوف لأحياء الحفل رسمياً..

و عند أكتمال الحضور تقريباً بدأ ضجيج الأغاني استعداداً لبدء فقرات حفلة الليلة، صعد أحدهم على المنبر لتقديم الحفل..

● بسم الله الرحمن الرحيم " وما توفيقي إلا بالله " صدق الله العظيم ...

أيها السادة الحضور أهلاً ومرحباً بكم في حفل تخرج الدفعة العشرين لكلية الأعلام جامعة القاهرة وخير ما نبدأ به حفلنا هذا الليلة هو بعض آيات كتاب الله عز وجل.. القرآن الكريم..

جاء أحدهم ولعشرة دقائق متواصلة ظل الجميع ينصت لآيات القرآن، مرةً أخرى صعد مُقدم الحفل المنبر..

● و لأن حفلنا سيطول هذه الليلة فقد قررنا البدء من الآن..

بدأت الأنوار تنطفئ في القاعة وبدأت الشاشة العملاقة تعرض مشاهد لفتاة ما تمسك ميكروفوناً.. تلتف الكاميرا لتقف أمامها.. ويتم تثبيت الصورة وعرض معلوماتٍ عنها ...

ماريان مجدي.. تحتل المرتبة الأولى بين طلاب الكلية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.. تحب العمل الميداني والمغامرة، تعمل في قناة " **exclusive news** " ، وتعد أصغر مراسلة ميدانية في مصر والشرق الأوسط..

ثم يتم عرض مشاهد متتالية ومقطعة لماريان وهي تعمل كمراسلة ميدانية..

● نحن الآن نقف أمام القصر الرئاسي و...، لكن آخر الأخبار التي وردت ألينا هو أن...، والآن يا شيرين نحن في الطائرة الخاصة بالقوات المسلحة لتغطية تظاهرات اليوم المطالبة ب...

ثم ظهر صوت مُقدم الحفل فجأة مع رجوع الأضواء مرةً أخرى للقاعة ..

● نقدم أليكم الآن .. ماريان مجدي ..

ظهرت ماريان في آخر القاعة وسط صخب كبير وحفاوةً من الجميع لها.. لقد صنع لها زملائها ممرًا خاصًا على الجانبين لتمر هي وسطهم من آخر القاعة حتى وصلت لكبار الضيوف.. تسلمت شهادتها الرمزية ثم وقفت على المنصة لألقاء كلمتها، كان الجميع يعرفها بلا استثناء.. تلك ماريان التي تظهر في البرامج الأخبارية من مختلف الميادين والأحداث في مصر..

سكتت للحظات ثم بدأت كلمتها والسعادة تغمرها وكذلك الخجل وكأنها لأول مرة ستواجه جمع غفير من الناس..

● النجاح قرار.. ولقد أردتُ النجاح، ووصلت للقمة وليس معنى وصولي للقمة يعني أنني نجحت، النجاح هو الحفاظ على القمة التي سعيت دائمًا لأعتلائها يومًا.. الأمر لم يقتصر فقط وصولي للقمة.. فمازال الطريق أمامي طويلًا، لذلك منخطئ من يظن أن الوصول للقمة فقط هو النجاح..

تبدو فكرة النجاح فكرةً صائبة.. لكنه ليس لمن تمنى فقط فجميعنا يتمنى النجاح لكن قليلٌ منا من ينجح.. النجاح لمن عمل وعمل باستمرار ..

سكت للحظات قليلة ثم ظهر على وجهها الأمتان ...

● أود أن أشكر الجميع.. جميعكم كان له دوره الخاص في حياتي.. الجميع كان سببًا ما في ما وصلت إليه الآن..

أبي وأمي قاما بتربيتي على مبدأ النجاح والوصول للقمة وأن لا أضع سقفاً لطموحاتي ..

عمي ثروت الذي تحدى الجميع بي وكان يثق في موهبتي الذي طالما هو قرر تنميتها عندي..

شيرين ...

توجهت الأنظار كلها ناحية شيرين.. حتى شيرين نفسها كانت تنتظر أن تدم فيها ماريان أو تنتقدها..
أكملت ماريان..

● شيرين.. الأشهر هنا في الساحة الإعلامية قامت بتدريبي ووثقت في ذلك وكان لها دورًا عظيمًا فيما وصلت إليه!..

حدقت شيرين بماريان.. لم تتوقع أن تمدحها بعد كل ما فعلته معها، كذلك ثروت الذي كان مندهشًا لما قالته ماريان.. لم تكونان على ما يرام سابقًا.. فلماذا فعلت ذلك؟!، أما والديها فكانا بيتسمان.. لم يعلما أبدًا بما كان يحدث بين ماريان وشيرين..

● أصدقائي.. الذين كانوا لطيفين معي.. لم يكن الحقد بيننا.. ساعدنا بعضنا ولم نبخل عن بعضنا بشيء.. أيام قليلة وستنتهي امتحانات آخر أعوامنا معًا.. أيام قليلة وسنفترق.. كل في طريقه الذي رسمه لنفسه أو الذي لم يرسمه أيضًا..

أتمنى التوفيق للجميع وبالتأكيد سنلتقي قريبًا..

كان الجميع يصفق بحرارة بعد انتهاء كلمتها.. قامت هي بمعاينة والديها ومن بعدهم عمها..

● كانت حركة ذكية منك يا ماري..

● كان عليّ أن أفعل ذلك يا عمي قبل خوض أي تحدي جديد..

توجهت ناحية شيرين التي كانت تنتظرها، قامت بمصافحتها..

● أنا آسفة يا ماريان..

تلك الأبتساماة التي لم تفارق وجه ماريان..

● لا داعي لذلك الآن، لكنني أيضًا لم أكذب.. كان لكِ دورًا هامًا في حياتي وفيما وصلت إليه أنا، لذلك شكرًا لك..

قامت شيرين بمعانقتها، تركتها ماريان لتغطية الحفلة ..

كانت ماريان تعقد لقاءً صحفيًا مع كل طالب أو طالبة تخرج لألقاء كلمة بمناسبة التخرج.. كانت الأجواء مريحة هذه الليلة.. هذه الليلة لن ينساها الجميع !..

عادت لبيتها بعد فترة ليست بالقصيرة ولكنها عادت هذه المرة عاجزة.. كانت في الأسابيع الماضية سجينة غرفة ما في المستشفى لكنها لم تكن سوى أسابيع قليلة فقط وقد أصبح الأمر مملاً بالنسبة لها.. فما بال القادم من أيام أو شهور وربما سنين؟!، مهلاً.. ماذا لو كان هذا العجز لازمها طوال عمرها؟!، لن تتحمل هذا البؤس أبداً!
!..

كل هذا كان يدور ببالها عندما عادت للبيت أخيراً، بالها الذي أصابه العجز أيضاً.. لقد توقف عقلها عند التفكير في هذا الأمر فقط.. أسئلة تراودها من الحين للآخر، لماذا تخلى عنها الجميع هكذا؟!، أين والدها من هذا كله؟! أيهمه عمله أكثر من تلك الظروف التي تمر به أبنته؟!، ما الذي فعلته بمن أحبها فعلاً وقرر مساعدتها والوقوف بجانبها؟!، لمتى سيدوم هذا العجز أصلاً؟!!

و بعد أن حملتها والدتها وتشاركت أمانى معها في نقلها لسريرتها وما أن أطمأنت عليها حتى خرجت من الغرفة لتدبر شئون بيتها الذي تم هجره طوال الأسابيع الماضية.. كانت فرصة لتنفرد أمانى بأسية في الحديث معها..

● لم يكن عليك أن تفعلني هذا مع عمر يا آسية.. لم يكن ليستحق هذا!..

أشاحت آسية بوجهها بعيداً لتتجنب نظرات صديقتها القاسية...

● ستعرفين في الوقت المناسب لماذا فعلت هذا!..

بدت على أمانى الحيرة والشفقة معاً، أي سبب هذا الذي يجعل آسية أن تطرد عمر بهذه الطريقة؟!، لقد وقف بجانبها طيلة الوقت ولم يتخلى عنها كما فعل خطيبها.. عمر لا يستحق رد آسية العنيف هذا!..

قطع تفكيرها صوت والدة آسية من الغرفة الأخرى.. لقد رن الهاتف منذ لحظة مضت وها هو صوتها يرتفع لكن لا أمانى ولا آسية أستطعتا أن تفسرا كلامها.. ظنت آسية أن والدتها تعاتب زوجها على غيابه المتكرر هذه الأيام حتى يكاد لا يظهر أساساً وخاصةً في مثل تلك الظروف.. خروجها من المستشفى ومواجهتها للعالم الخارجي أول مرة بعجزها هذا تطلّب حضوره على الأقل لكنه لم يفعل!..، لكنها فجأة سمعت صوت صراخ والدتها، أسرع

أمني تلقائيًا لخارج الغرفة لمعرفة سبب صراخ والدة آسية ..!، فيما ظلت آسية على سريرها عاجزةً عن الحركة.. للحظةً واحدة تساقطت دمعاً يتيمةً على وجهها بسبب أحساسها بالعجز لأول مرة ..!، لكن سرعان ما أستعادت وعيها لواقعها مجددًا ولاحظت قرب الكرسي المتحرك من سريرها.. مدت يديها لتقرّبه إليها لكنها لاحظت دخول أمني غرفتها.. كان وجهها شاحبًا يبدو عليه التوتر مع سماعها في نفس الوقت لصوت نحيب والدتها خارج الغرفة ..!

و ما أن دخلت أمني الغرفة بوجهها الشاحب هذا، حدقت آسية بها بنظرة تساؤل عما يحدث خارجًا.. ومع صمت أمني المخيف الذي أستمّر للحظات أنزعجت آسية ..!، بادرت هي بالكلام..

●ها.. تكلمي يا أمني ماذا حدث؟!، لماذا أمني تبكي!؟

كان التردد واضحًا بجلاء على وجه صديقتها..

●أنه والدك يا آسية ..

أتسعت عيني آسية وكأنها قد علمت الباقي، صراخ والدتها وأضطراب صديقتها بهذا الشكل.. مع غياب والدها في ظروف كهذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا تمت لو أنها تمادت فقط في تفكيرها السلبي.. سألتها في توتر..

●والدي؟!، ماذا به؟!؟

أزدردت أمني ريقها بصعوبة ثم أكملت وقلها يخفق بقوة..

●لقد تعرض لحادث.. وتوفي..

و بحركة غير واعية لكنها مألوفة أعتادت عليها آسية في الفترة الأخيرة عند سماعها للأخبار السيئة، نامت آسية على ظهرها في غياب عن وعيها من أثر الصدمة.. لحظات وتراكت الدموع في عينيها ثم أطلقت صرخةً مؤلمة وعالية جعلت والدتها تأتي مسرعةً محاولةً تهدئتها.. حاولت والدتها بمساعدة أمني من تهدئتها لكن فشلنا في

ذلك .. لم تتحكم آسية في نفسها وأستمر هذا الوضع للحظاتٍ مغمضةً عينيها في بدء لغياب وعيها تدريجيًا رغم
أحاساسها بما يجري حولها !..

كان محققاً من قال أن المصائب لا تأتي فرادى، عجز دمر حياتها بالكامل.. وفاة والدها.. حالتها النفسية التي تزداد سوءاً بمرور الوقت وكذلك فترات المصائب الأخرى مثل أنها لم تُكمل دراستها.. منذ وفاة والدها وهي مازالت نائمة.. نعم أنه ذلك الخمول والأنعزال أعلاناً عن وصول الحالة النفسية للصفر، فقد وجدت النوم سبيلها الوحيد للهروب من واقعها المؤلم..

أمني أصبح يومها كله تقريباً مع آسية ووالدتها لتلبية احتياجاتهم، أما عمر وأحمد فأصبح وجودهم أعتيادياً وضرورياً وكان جميعهم أصبحوا عائلة واحدة..

و لأن هذا أسوأ ما قد يحدث لها فقد أعتادت على مثل هذه الأخبار وعندما بدأت تدرك واقعها جيداً وتعتاد على حالتها الجديدة كان يومها يقتصر بين نومها أو الجلوس صامتة دون التفكير حتى في شيء..!، فلا شيء يعد يثير أهتمامها في حياتها بعد ما حدث معها، حتى تلك اللحظة التي تم كسر روتين حياتها الممل في أيامها الأخيرة الماضية.. لحظة سماح أمني بدخول عمر فجأة ليعيد لحظاتٍ قد حدثت سابقاً في المستشفى قد يراها الجميع أن الوقت ليس مناسباً لمواجهة أخرى نظراً للعواقب الوخيمة التي قد تنتج عن هذا..!، فقد أجبر عمر أمني على الاستئذان للدخول وعندما دخل فعلاً أستقبل نظرات آسية..!، تلك النظرات القاسية التي يشوبها الغضب، ثم ما أن سححت الفرصة للإنقضاض عليه فعاتبته من جديد بغضب..

● أنت مرةً أخرى!؟

ثم بدأت دموعها تنطلق من جديد منذرةً بأنهارها مجدداً..

● لماذا الجميع ضدي!؟، ألا تفهمون ما أعانيه!؟، أتركوني وشأني أرجوكم!..!

قالتها وهي في قمة أنهارها، فقاطعتها عمر هذه المرة بشجاعة وأجبر الجميع على الأنصات له.. حتى آسية نفسها..

● هذه المرة دعيني أكمل كلامي ثم نرى ما لديك، أنا هنا ولن أغادر.. لن أتركك لتعاني وحدك..

تفاجأ الجميع من كلامه، أكمل ما جاء لأجله..

● أنتي في مأذوق كبير ولا بد من وقوف الجميع بجانبك وأول هؤلاء الناس.. أنا !..
قطعت آسية كلامه..

● و أنا لا أريد مساعدة أحد وخاصة أنت !..

قاطعها عمر مجددًا وكأنهما في مبارزة كلامية ...

● لست أنت من يقرر ذلك.. شأتي هذا أم أبيتي سأقف بجانبك وأساعدك حتى تشفين بأذن الله ..

أبتسمت آسية بسخرية..

● أشفى !؟، أتعرف ما مشكلتك يا عمر !؟، أنك تتصنع الأمل، سأظل هكذا طوال عمري وأنت سيصيبك الملل قريبًا وسترحل كالبقية ..

أغمضت عينيها للحظة لتلتقط أنفاسها، أكملت كلامها..

● أعلم جيدًا يا عمر أنك شخص طيب لكنني أيضًا لا أحب الشفقة، أكمل حياتك بعيدًا عني وأستمع بها قدر ما تشاء، صدقتي لن أنفعلك أنا ..

قالت جملتها الأخيرة ولم تستطع السيطرة على دموعها، وكأنهما يتحادثان بمفردهما عزم عمر لأفراغ ما في قلبه حتى بوجود والدتها..

● لا أقول ذلك لأشفق عليك كما تظنين.. أنا فقط أثق بالله.. طالما هو موجود يبقى الأمل موجودًا وحيث أنه موجودًا دائمًا معنا فسيبقى الأمل كذلك، واثق من قدرة الله على شفائك، سأبقى معك..

عمّ الصمت الغرفة، والدتها وصديقتها تترقبان ردها..، أكمل عمر عندما طال الصمت ...

● أمنحني فرصة واحدة وسأثبت لك أنني سأكون معك دائمًا، لن أتخلي عن مساعدتك أبدًا، ستشفين يومًا ما.. أنا أو من بهذا.. كما أن حياتي بدونك ليس حياة.. لقد أكتشفت هذا عندما أدركت أن علاقتنا قد انتهت بسبب خطبتك..

خرج عمر على الفور بعدها في أرتياح.. لأول مرة يفرغ ما في قلبه دائماً دون أن يخجل!، والدة آسية وأماني كانتا مذهولتين مما حدث، أستلقت آسية على سريرها بعد خروج الجميع وظنت أن النوم سيتأخر كعادته وأنها ستبدأ رحلة التفكير فيما حدث معها منذ قليل.. ستفكر في كلام عمر، لكن العجيب أنها وجدت نفسها قد أستيقظت فجأة.. نظرت في الساعة بجانبها فوجدت أنها قد نامت فعلاً لساعاتٍ طويلة، ظلت جالسة على سريرها سارحةً بخيالها فيما حدث بالأمس.. لقد نامت لساعات بمجرد أطمئنانها أن عمر لن يتخلى عنها، فكرت كيف كان هو قاسياً في حديثهم الأخير قبل الحادثة، ظهرت أبتسامه على وجهها لحظة دخول أماني الغرفة..

● مستحييل.. آسية تبتسم!؟

أطلقت آسية ضحكةً خافتة من تهكم صديقتها، ردت عليها بهدوء..

● ربما ليس لي مزاج اليوم للبكاء والنكد..

واصلت أماني تهكمها عليها..

● حسناً.. يبدو أن لك مزاج أيضاً للمزاح..

جلست أماني بجانبها وسألتها في ترقب..

● و الآن أخبريني.. ماذا حدث!؟، تركتك ساعاتٍ قليلةٍ فقط منذ يوم أمس.. ماذا حدث لينقلب مزاجك هكذا

!؟

ردت آسية..

● فكرت أن أسعد نفسي قليلاً.. فكرت في أن أحيا من جديد..!، سوف أتعامل مع عجزى هذا..

ظهرت أبتسامهً ماكرة..

● حسناً.. يبدو أنني أكتشفت نقطة ضعفٍ أخرى لك.. عمر..

خطر ببالها سؤال ..

● أذا لماذا فعلتي كل هذا معه منذ البداية!؟

● لسبيين يا ذكية.. أولهما أنني كنت أريد أن أعلم أن كان يحبني حقاً أم أنه يشفق عليّ، أن كان يحبني سيتقبلني كما أنا.. وأن كان يشفق عليّ فمجرد أن أغضب بسبب وجوده فكبريائه سيمنعه من مواصلة دعمه ومساعدته لفتاةً عاجزةً مثلي..

رفع أمانى حاجيها في دهشة من ذكاء آسية..

● هكذا أذن.. قمتي بأعداد الخطة وتنفيذها بمفردك، كل هذا جميل لكن قبل ليلة أمس من المفترض أنك قد تأكدتي من حبه لك، فلماذا رفضي مساعدته ليلة أمس!؟
ردت عليها آسية..

● وهذا السبب الآخر.. أردتُ التأكد هل سيواصل دعمي ويبقى معي أم أنه سيميل بسرعة..

ردت أمانى أستكملاً لكلام آسية..

● وهكذا تقدرين مدى حبه لك!..

هزت آسية رأسها موافقةً لكلام صديقتها، ثم أكملت..

● لذلك فقد علا شأنه عندي، أعتقد بأنني محظوظةً به..

سُرت أمانى بكلام صديقتها أكثر منها، أبتسمتا لبعضهما وظلا يتسامران طوال اليوم حتى منتصف اليوم إلى أن نامت آسية وفي مخيلتها أنها ستبدأ حياةً أساسها وقوامها عمر..

لم تكن تتخيل أن يصل بها الحال أنها لتحبها هكذا، ولم تعد تفكر في النيل منها، بل كانت تفكر في كيفية تعويضها عما فاتها، كانت مخطئة في التعامل معها، ولم يكن هناك داعي أصلاً لذلك الصدام الذي كان يحدث بينهما، لكنها تساءلت عن سر هذا التحول في شخصيتها المفاجئ؟!، هل بسبب ما قالته في حفل تخرجها؟!.. ربما..، لكن ليست هذه المشكلة، المشكلة أنها كانت تهاجمها بلا داعي، كانت تعاني صعوبة الاعتراف أن ماريان أفضل منها فعلاً.. لقد أكتسبت حب الناس لصالحها..

كانت شيرين تقف بجوار ثروت في صالة الأنتظار بمطار القاهرة الدولي، كانوا ينتظرون ماريان لتوديعها قبل خوض مغامرتها الجديدة في لندن لكنها تأخرت..، يبدو بأنها كانت تحاول توديع زملائها في القناة قبل السفر، لكنهما أخيراً لاحظاً قدوم ماريان من بعيد.. كانت تبدو مهمومةً وشاردة!!..

أما عن ماريان فكانت تشعر بالضيق، كانت تريد توديع عمها لكنها لم تجده في أماكنه المألوفة.. لا مكتبه أو بيته حتى هاتفه مغلق.. همت بالبحث عن شيرين لتسألها عن مكان عمها ثروت لكنها أختفت هي الأخرى وكأنهما أتفقا على ذلك في وقتٍ كانت تحتاج لتوديعهم، لكنها لاحظت أنها ستتأخر على ميعاد طائرتها، لا مفر أذن.. عليها التوجه للمطار وانتظار طائرتها..

و عند دخولها صالة الأنتظار لاحظت أحدهم وهو يشير إليها بيده، أنه عمها.. أرسمت الفرحة علي وجنتيها وأسرعت نحوه بعد أن تركت حقيبتها.. عانقته في حرارة..

● هكذا تكون الأمور منطقية، لم أكن لأسافر دون توديعك يا عمي..

أربت على ظهرها، أبعدها عنه قليلاً..

● ليس وداعاً يا ماري.. أسمها إلى اللقاء..

● طبعاً إلى اللقاء يا عمي..

التفتت إلى شيرين التي لاحظت وجودها للتو بجانب عمها، تبادلنا الأبتسامة ثم تعانقتا، ثم قالتها شيرين بسخرية..

● سأفتقد الشجار معك يا ماري..

هزت ماريان رأسها نافية..

● لا.. لا أعتقد بأننا سنتشاجر ثانية، لكن أن أردتي ذلك فلا مانع لدي أن أبقى هنا لتتشاجر..!

واصلت شيرين تهكمها..

● لا ليس الآن.. عليك بتحقيق حلمك أولاً ثم ترجعين لتتشاجر كالعادة، حسناً يمكنني أن أصبر قليلاً..!

ضحكنا ثم جاء النداء بأن الطائرة على وشك الأغلاق.. أخرجت شيرين هاتفها وفتحت الكاميرا وألتقط ثلاثتهم بعض صور ال " سيلفي "، ثم ودعتهم ماريان وداعاً أخيراً ثم توجهت لطايرتها..

ركبت طايرتها وأستقرت بمقعدها، كانت سعيدة ومتحمسة لمغامرتها الجديدة، تناولت هاتفها وفتحت صفحتها على ال " الفيسبوك "،.. أبتسمت عندما وجدت أن شيرين قد أشارت إليها بصورتها معاً التي تم ألتقاطها منذ قليل وعليها تعليق ..

" حظاً موفقاً يا ماري.. "

منشور كان في دقائقه الأولى يملك عشرات الإعجابات والتعليقات.. كلها تتمنى حظاً موفقاً لها..

مرت الأيام وتبدلت الأحوال، وأصبحت تنتظر مجيئه كل يوم.. في كل مرةً هو يأتي إليها كانت تمنى النفس في أن يقضي وقتٍ أطول معها لأنها كانت تدرك أنه قريباً لن ينتظم في المجيء إليها بسبب إجراءات ألتحاقه بالقوات المسلحة ومن ثم تأدية الخدمة العسكرية.. خاصةً بعد أن ظهرت نتيجة الكشف الأول أنه سيخضع لكشف طبي آخر في القاهرة بعد أيام..

في الفترة الأخيرة كان يتم الإعداد لبدء علاج آسية وقد أوصى عدة أطباء بتكملة علاجها في الإسكندرية.. هناك أطباء أكفاء في هذا المجال والأماكنيات متوافرة عن الصعيد، كان أمر السكن هناك سهلاً خاصةً بعد أن عرض عليهم عمر أن يسكنوا في شقتهم التي اشتراها والده منذ سنواتٍ في الإسكندرية للمصيف كل عام وبالطبع قبلها أستئذن عمر من والده بعدما شرح له حالتها ووافق فوراً بل ورحب بذلك أيضاً مما أزاح عن والده آسية مصاريف السكن..

كانوا جميعهم بالغرفة..، كان عمر يتحدث مع والده آسية بشأن استعدادات السفر، كانت ممتنةً له فعلاً بسبب دعمه المستمر نحوهم ...
أعطاهم قسامةً ورقية ..

● هذا رقم والدتي.. أن واجهتكم أي ظروف ولم أكن أنا معكم عليك أن تتصلي بها وتطلبين المساعدة..

● حسناً يا عمر.. أشرك مرةً أخرى..

التفتت لأماني وسألته ..

● هل تودين تجهيز الحقائق معي !؟

أبتسمت أماني وفهمت قصدها.. تريد أن تترك عمر وآسية بمفردهما يتحدثان قليلاً.. حيث أنها وجدت سعادة أبتنتها في الحديث مع من فضّل عجزها عن جمال الأخريات !..

أصبحتا بمفردهما.. كلاهما ينتظر الآخر أن يتكلم أو يبدأ بالحديث.. بادرت آسية بالكلام..

● أشكرك يا عمر على كل شيء..، لا أعرف كيف أرد لك الجميل ..

قطب عمر حاجبيه في أنزعاج ..

● جميل..!؟

سكت للحظات أظهر لها ضيقه الشديد بما قالت ..

● لماذا تعتقدين حتى الآن أنني أشفق عليكِ أو أنني أصنع معروفًا!؟

أسرعت آسية بالرد عندما لاحظت ضيقه ..

● لا أقصد مضايقتك، لكنك تقف بجانبني وأقل ما يمكنني فعله هو أن أشكرك فقط..

أظهر القليل من التسامح ..

● لا تفعلي ذلك مرةً أخرى، تعلمين مكانتكِ عندي وأظن أن ما أفعله طبيعي جدًا!..

التفت حوله ليتأكد من أحدًا لا يسمعه.. أخفض صوته بعد أن اقترب برأسه فقط نحوها ..

● هل يمكنني أن أخبرك أنك أصبحتي كل حياتي.. كل ما أملك.. حتى كل ما لا أملك!؟، قلتها مرةً سابقًا وها

أنا أقولها ثانية.. أحبك !

أحمر وجهها خجلًا وترددت في النظر لعينيه مباشرةً وعجز لسانها عن الرد بعد تلك الكلمات.. حتى هو شعر

بخجلها.. تعجبه ملامح الخجل التي تظهر على وجنتيها.. أخبرها كذلك أنه سيسافر معهم لترتيب الأمور معهم

في الإسكندرية قبل رحيله للقاهرة للكشف الطبي الخاص به ..

رجع عمر البيت متأخرًا ليتجهز هو الآخر للسفر، لن يحتاج لحقائب.. سفرًا ليوم واحد في القاهرة ثم سيرجع

بعدها، وما أن دخل غرفته حتى دخل أخوه ورائه..

● ماذا تفعل!؟

رد عليه عمر بأقتضاب ..

● كما ترى.. أتجهز للسفر

فاجأه أخوه بسؤال ..

● من تلك الفتاة التي ستسكن في شقتنا بالأسكندرية!؟

أدرك عمر بأن أخيه يرمي لشيء ما..

● و لماذا تسأل!؟، ستساعدنا مثلًا!؟

لم يجب أدهم بشيء، أكمل عمر كلامه ..

● أظنك تعلم بكل شيء ولا داعي للتحقيق معي ..

أتجه أدهم ناحية الباب وفتحته وقيل مغادرته الغرفة التفت لعمر مجددًا..

● أنا لا أحقق معك، فضلت أن أخبرك أنني سأسافر الأسكندرية الأيام القادمة، أظن لو أنني وجدت أحدهم

هناك سيتم طرده ..!

تبع كلامه بابتسامة مأكرة ثم خرج وأغلق الباب ورائه، غادر وقد ترك عمر في حيرة من أمره، لا يستطيع أن يخبر

آسية ووالدتها أن أخاه سيسكن في الشقة أو أن يمنع أخاه من السكن هناك ..!، لا يعلم أن كان تهديد أخاه هذا

حقيقياً أم مجرد عنادٍ فقط ..!

مضت أيام سافرت خلالها أسية للإسكندرية للعلاج.. كان وداعًا حارًا من أمانى لها.. فها هي ستبتعد عنها لفترة لا يعلمها إلا الله.. لو كان الأمر بيدها لسافرت معها تساندها خاصةً في تلك الأيام التي سيغيب عمر عنهما لكنها على كل حال فتاةً صعيدية ولا بد من ملازمة أهلها، أما عن عمر فأنتهى من الكشف الطبي والذي أظهر لياقته الجيدة للالتحاق بصف الضباط الاحتياط، كان أمامه أسبوعًا كاملًا قبل الالتحاق رسميًا بالقوات المسلحة، أذن سيبتعد كثيرًا ولن يراها لأسابيع قادمة.. ما أصعب ان تبتعد العين عن يراه القلب قريبًا..

والآن قبل الالتحاق بفترة التدريبية..

منذ أن سافر معهم كان يومه هناك يقتصر نهارًا على الذهاب برفقتهم للطبيب لمتابعة جلسات العلاج وليلاً يساهم هو في التخفيف عن تعبها طوال النهار في العلاج وإدخال السرور لقلبها حين يقترح عليها الخروج للتنزه على الكورنيش أو التجول في شوارع الإسكندرية..

يدفع عمر كرسيها المتحرك في سعادة من حديثهم طوال نزهة كل يوم، كل متعة الدنيا تلخص في الحديث مع من تحب، أما والدتها فكانت تفضل السير لوحدها أمامهم أو خلفهم..، في الليلة الأخيرة فضّلت والدتها أن تكون بالبيت لأعداد العشاء وتجهيز حقيبة عمر قبل رحيله لأداء الخدمة العسكرية فجر اليوم..

في هذه الليلة الهادئة الغير اعتيادية في الإسكندرية يدفع عمر كرسيها وبعد صمت دام لدقائق كثيرة أقترحت أسية أن يجلسا على كافيتريا تطل على الكورنيش، طلبا من النادل مشروبات ثم أستمر الصمت لدقائق أخرى أيضا لاحظ فيها عمر لمعان عيني أسية مع إبتسامة تكاد تكون مختفية.. كان يظهر عليها التفكير والشرود، قاطع عمر صمتها هذا..

● هناك أحدهم يريد أن يقول شيئًا لكنه يتردد !..

تنبهت أسية إلى عمر الذي كان قد لاحظ شرودها، أقترب عمر إليها ..

● لم تعجبك نزهة الليلة !؟

هزت آسية رأسها نافية ..

● لا.. ليس الأمر هكذا، ولكني لا أعلم أيضًا ..

ظل عمر يتربحها لتقول المزيد لكنها هزت رأسها لتبحث عن كلمات فلم تجد، هزت كتفيها في حيرة من أمرها..،
عمر على يقين إنها تريد أن تقول شيئًا، قرأ في عينيها وحيرتها ذلك ولا يحتاج لان تتكلم هي كي يعرف ذلك،
أسند ظهره للوراء وأظهر تمرده ليحثها على أن تتكلم..

● حسنًا.. أنا أنتظر ..!، ها أنا أستمع إليك..

أبعدت وجهها باتجاه الكورنيش خجلًا..

● وجودك جانبي هوّن عليّ مشقة العلاج.. كيف يمكنني تحمل هذا في غيابك !؟

التفتت إليه فقرأت في عينيه حيرته، قرأت أن لو بيده الأمر لما تركها الآن..، خطر ببالها سؤال كانت تريد أن
تسأله أياه منذ أن أحبته فعلاً ..

● عمر.. هل أحببت قبل ذلك !؟، أعني قبل أن نلتقي !؟

إذن هذا ما كان يجول بخاطرهما، أبتسم عمر ثم أجابها ..

● هذا يعتمد على فهمك لمعنى الحب ..!

قطبت آسية حاجبيها في عدم فهم، أكمل عمر لتوضيح ما يقصد..

● الحب هو أن يتفق القلبان ليصبحا قلبًا واحدًا.. عقلاً واحدًا أيضًا، وبهذا المنطق فأنا لم أمر بتجربة عاطفية

قبل أن ألتقيك ..!

سألته هي ..

● و ماهو المنطق الثاني برأيك !؟

● المنطق الآخر هو أنني فعلاً أحببت قبل أن ألتقيك..

نظرت هي مرة أخرى ناحية الكورنيش نادمةً على سؤالها هذا.. كان من الأفضل أن تقف عند المنطق الأول..
أكمل عمر كلامه..

● أحببت عندما كنت في المرحلة الابتدائية.. كانت هناك فتاة في صفي، كان شعورًا صادقًا حينها، أصدق شعور وأصدق حب يكون لدى الأطفال.. على نياتهم يتحابون ..!، لكن بالطبع أنا الآن في شعورٍ أصدق معك!
!..

أرسمت ابتسامةً عريضةً على وجهها، أكمل عمر ليختم كلامه في هذه النقطة..

● هناك منطقٌ أخير.. الحب من طرفٍ واحد، والأدهي من ذلك أنه كان من طرفي أنا..، لكن أيضًا هذا المنطق كان في سن المراهقة وقبل أن ألتقيكِ مباشرةً كنت قد أنتهيت للتو من تجربة حبٍ فاشلة.. كان طبيعيًا على كل حال!
!..

زادت إبتسامتها حتى كادت تقفز من كرسيها لولا أن قدمها تأبى ذلك الان ..

كانت ترتشف قهوتها في المقهى التي اعتادت أرتياده صباحًا طيلة الشهرين الماضيين، كانت تفكر في الفارق بين عملها هنا في لندن وهناك في القاهرة.. هناك فارق كبير، هناك في القاهرة الأمور تبدو مثيرة.. الأحداث ساخنة باستمرار، لكنها رجحت السبب الرئيسي في هذا الفارق لـ "ثورات الربيع العربي" كما يسمونها.. ليست مصر فقط الأحداث فيها مثيرة.. بل المنطقة بأكملها، أما هنا في لندن تبدو الأمور هادئة نوعًا ما.. ونادرًا ما يحدث أمرٌ مثير.. مظاهرة محددة بتوقيت معين.. احتجاجٌ ما.. قرارات سياسية هامة.. زيارات لشخصيات هامة..!

تحدثت مع شيرين بهذا الشأن فنصحتها أن تقدم طلب بنقلها للقناة الناطقة باللغة العربية وسيكون من السهل حينها أن ترجع مصر مثلًا لتغطية الأحداث فيها لصالح شبكة الـ "BBC" .. أقتنعت بالنصيحة ونجحت فعلاً في الانتقال للقناة الناطقة بالعربية لكنها لن تغادر لندن إلا للضرورة القصوة لتغطية حدثٌ جلل في مكان ما بالعالم أيًا يكن..

جذب أنتباهها ضجةٌ ما تحدث بالخارج.. تطلعت لما يحدث بالخارج من الحوائط الزجاجية للمقهى.. من يجلس بالمقهى خارجًا يرمي شيئًا ما في الأرض ويلتقطونها أناسٌ آخرون.. من يجلس ويرمي بالشيء يضحك بهستيرية ومن يلتقط هذه الأشياء يبدو عليهم الاستسلام، لم تولي الأمر أي أهمية.. صحيح يبدو أنه غريبًا لكن ليس هامًا بالتأكيد، لكنها غيرت رأيها عندما لاحظت أحد الشباب اللذان كان يجلسان أمامها قام وقد أرتسمت على وجهه علامات الغضب.. يبدو أن ما يحدث خارجًا هامًا ومثيرًا ويبدو أيضًا أن هذا الشاب يعرف قصة ما يحدث..

لم تتردد ماريان في تتبعه..، لقد فهمت الأمر عندما صاح هذا الشاب غضبًا في أحد الجالسين بالخارج.. أخرجت كاميرتها الصغيرة من جيبها وبدأت بتصوير ما يحدث..

خرج هذا الشاب من المقهى غاضبًا لما يحدث بالخارج، الأمر لا يحتمل السكوت أكثر من هذا.. يبدو الأمر مهيئًا أكثر من أي وقتٍ مضى، لقد كانت الجماهير بالخارج تُلقي بالعملات المعدنية في الأرض ليلتقطها اللاجئون السوريون بكل ذلٍ وهوان، يلقون هذه العملات بكثير من السخرية.. يتعمدون أذلال هؤلاء اللاجئين،

أما عن هؤلاء اللاجئين فلا سبيل لهم إلا أن يقبلوا بهذه المهانة.. يتسابقون لإذلال أنفسهم مقابل ألتقاط ما يرميه هؤلاء الناس من عملات تكفيهم ليوم أو يومين وربما تكفيهم الساعات القليلة القادمة فقط..

وقف بين هؤلاء وهؤلاء.. التفت لتلك الجماهير وصاح فيهم غاضباً..

● توقفوا.. توقفوا أرجوكم

توقف الجميع عما يفعلونه ليروا ما في جعبته، أكمل هو..

● لماذا تعاملونهم هكذا؟!، لماذا تتعمدون أذلالهم!؟

لم يتلقى سوى همهمات منهم، بعضهم بدأ يفكر فيما كان يفعله والبعض الآخر يستمع له بلامبالاة وسخرية..

● ماذا أصابكم..؟!، أهذه ما تدعونها الإنسانية لديكم؟!، هؤلاء الناس فروا من الجحيم في بلادهم وأستغاثوا

بكم ثم هكذا تعاملونهم!؟

قال أحدهم بسخرية..

● وها نحن نساعدهم؟!، أليس ذلك أفضل من لا شيء!؟

قطب هذا الشاب حاجبيه..

● لا هذا ليس أفضل من لا شيء، أفضل أن أموت جوعاً على أنكم تقومون بأذلالني هكذا..!

ساد الصمت للحظات في المكان بالرغم من هذا الكم من الناس الحاضرين، أكمل هو كلامه..

● كان بإمكانكم مساعدتهم.. لا أن تقوموا بأذلالهم هكذا، ماذا ستخسرون لو قدمتم إليهم هذه العملات

بطريقة لائقة كمساعدة لهم!؟

تفاجأ هذا الشاب عندما وجد أحدهم أتى من خلفه وأمسكه من ذراعه، تكلم بالعربية..

● هل أنت تملك المال الكافي لمساعدتنا جميعاً!؟

حدّق به الشاب مندهشاً من سؤال الرجل هذا، عندما طال صمته أكمل الرجل كلامه..

● إذن أنت لا تقوم بمساعدتنا كذلك.. على العكس تمامًا.. أنت تقوم بألحاق الضرر بنا.. أرجوك نحن لا نريدك أن تدافع عنا هكذا.. لا نريد مساعدتك، أرحل رجاءً..

بدأت عيني الرجل تفيض بالدموع.. لا تعرف أن كانت هذه دموع الذل والهوان أو دموع الحسرة..

● نحن هنا لا مأوى لنا ولا عمل أيضاً، من أين نأتي بمالٍ نسد به رمق جوعنا؟!، لا سبيل سوى أن نرضى بالذل والهوان كما ترى..!، أرجوك أرحل ودعنا نعيش ليومٍ واحدٍ حتى..

لا يصدق هذا الشاب ما يسمعه.. ألجمه لسانه، لا يعلم أن كان عليه أن يتناقش مع هذا الرجل في أمر يخص قوت يومه أو أن يدافع عنهم..!، أخرجه صديقه من شرود ذهنه عندما أربت على كتفه، أقنعه صديقه بالانسحاب فوراً.. وأنسحبوا فعلاً من المكان كله..

كان حدثاً يستحق تسليط الضوء عليه، عادت ماريان للمقهى وعملت على كتابة تقريرها عما حدث.. ستقوم بمساعدة هؤلاء اللاجئين بطريقتها الخاصة.. ستقوم بجذب أستعفاف الناس ليتم الضغط وبقوة على المنظمات الحقوقية والحكومات لمساعدة هؤلاء الناس بدلاً من أذلالهم هكذا..!

لقد عانى خلال الشهرين الماضيين ألم الأبتعاد عنها.. تملكه القلق عليها في كل لحظة، أحياناً يُخَيِّل إليه أنها اقتربت من الشفاء تماماً.. كان يحلم بذلك، لكنه أخيراً حصل على أجازة ليطمئن عليها، صحيح أنها أسبوعاً واحداً فقط منهم يومان للسفر لكنها كانت كافية ليطمئن عليها..

قرر أن يتبع ما فعله آخر مرة قبل سفره، أن يسافر الصعيد أولاً ليطمئن والديه عليه ثم يسافر ليقضي ما تبقى من أجازته مع آسية ووالدتها هناك في الإسكندرية..

لأول مرة يغيب عمر كل هذه الفترة عن أسرته.. لهذا كان متوقفاً ترحيباً كبيراً خاصةً أنه قد أعلمهم بموعد عودته الليلة، لكنه عند وصوله للبيت شعر بوجود أجواءٍ قلقة بالبيت ولا يعرف لماذا تملكه هذا الشعور فجأةً..!، صعد للطابق الثاني من البيت وعند دخوله الشقة وجد والدته جالسة واضعةً وجهها بين كفيها ووجهها لا يُبشر بخيرٍ أبداً..!، حتى بعدما لاحظت وجوده لم تتحرك للترحيب به، حينها أدرك عمر أن مصيبةً ما قد حدثت وهو لا يعلم عنها شيئاً.. بالتأكيد هذه المصيبة سببها أدهم، قطب حاجبيه عندما تذكر مرض والده.. هل تسبب أدهم بشيء لوالده؟!

● أمي.. ماذا حدث؟! هل أنتي بخير؟!، هل والدي بخير؟!

رفعت والدته وجهها عن يديها وأتكات للوراء وقالت بصوتٍ يملكه الحيرة والقلق..

● أدهم ليس هنا، غائبٌ عن البيت منذ يومين ولا نعلم عنه شيئاً، لم نجده حتى الآن..!

حاول عمر أستيعاب كلام والدته، أكملت هي كلامها..

● فعلنا كل شيءٍ يمكننا فعله.. بحثنا عنه في كل مكان.. اتصلنا بأصدقائه في الشركة لكننا لم نجده في أي

مكان ولا أحد يعلم مكانه..!

للحظة فهم عمر كل شيء، فكر في تهديد أخيه له من قبل حينما أخبره أنه سيسافر الإسكندرية ويتردد من في الشقة..!، عمر نفسه صُدم من هذا التفكير بالذات، بسرعة أخرج هاتفه وبحث في الأرقام عن رقم آسية حتى

عشر عليه أخيراً، فأتصل بها في الحال ويأتيه الصوت.. " الرقم المطلوب مغلق أو... "، عاود الاتصال مرةً أخرى لكنه مغلقاً أيضاً.. حاول الاتصال برقم والدتها لكنه مغلق هو الآخر، لا شك في الأمر أذن.. لقد نفذ أدهم تهديده وسافر الأسكندرية وطرده آسية ووالدتها من الشقة وبطبيعة الحال قامتا بأغلاق هواتفهن أو غيرتا أرقامهن لتجنب رؤيته مجدداً!..

كفى أذلاً.. يعطوننا مأوى ثم يطردوننا منه!..، هكذا تخيل عمر ردة فعلهم بعدما طردهم أدهم من الشقة، لاحظت والدته توتره الشديد بعدما أخبرته عن اختفاء أخيه!.. خاصةً أنه كان يضرب يده بعصبية في الحائط بعدما كان يحاول الاتصال بأحدهم..

● ما الذي يغضبك هكذا؟!، أتعلم مكانه!؟

رد عمر بغضب..

● بالطبع.. أعرف مكانه جيداً، أبنك في شقتنا بالأسكندرية وطرده آسية ووالدتها من هناك.. وها هي هواتفهن مغلقة أو ربما غيرن أرقامهن حتى لا أتمكن الاتصال بهن..

كان شعور والدته حينها يشوبه الأختلاط ما بين الراحة بمعرفة مكان أبنها والصدمة مما فعله.. والهرج الشديد والخجل من والده آسية، لم يتمهل عمر كثيراً.. قرر أن يسافر الآن دون راحة..

أرهقته ساعات السفر كثيراً خاصةً التفكير الذي أستنفذ كل طاقته وهدوءه، حقاً أنه لا يعرف ماذا سيفعل هناك.. كيف سيكون ردة فعله عندما يجد أخاه فقط في الشقة!..، هل ستصل الأمور إلى حد الشجار بينهم؟!، هذه المرة سيكونان بمفردهما.. لن يكون معهما والديهما هذه المرة ليُفضوا شجارهم هذا!..، ثم ماذا بعد الشجار معه؟! هل سيعيد هذا آسية ووالدتها للشقة مثلاً؟!، أين يبحث عنهما أصلاً!؟

ها هو وصل الأسكندرية منذ نصف ساعة تقريباً.. وصل العمارة أخيراً والغضب يسيطر عليه متيقناً بأن اللحظات القادمة لن تمر مرور الكرام ولن تكون الأمور بخير أبداً، صعد الدرج بسرعة وصولاً للطابق الرابع حيث شقتهم، وقف أمام باب الشقة لاهثاً يحاول استعادة أنفاسه، طرق الباب بعنف وواصل طرقه هذا حتى سمع صوت خطواتٍ قادمة، وما أن أنفتح الباب حتى اتسعت عيناه من المفاجأة.. وقف لحظات ليتدارك الأمر..

● عمر؟!، حمدًا لله على سلامتكم.. تفضل..!..

قالتها والدة آسية بعد أن فتحت له الباب، سعدت كثيرًا برجوع عمر أخيرًا، كان يبدو عليها النعاس لكنها مسرورة بقدمه، أذنت له بالدخول..

دخل عمر والشروود باديًا على وجهه.. أدهم ليس هنا وآسية ووالدتها هنا..!، ماذا يعني هذا؟!، أسئلة كثيرة دارت بعقله باحثًا عن أجاباتٍ منطقية، اقترحت والدة آسية عليه أن تعد له الفطور لكنه لم يسمعها، اقتربت منه وأرابت على كتفه..

● عمر..!، هل أنت بخير؟!..

نظر إليها في شروود وألجمه لسانه عن الرد، بماذا يجيبها؟!، هل يخبرها بعدم رغبة أخيه بوجودهما هنا في الشقة؟!، أم يشغل بالهم بمشاكل أسرية لا شأن لهم فيها..!، عندما لاحظ أنتظارها لأجابةً منه رد عليها..

● أخي مختفي منذ يومين ولا أحد يعرف مكانه..!، ظننته قد أتى لهننا وتفاجأ مثلًا بوجودكن!

ثم تذكر شيئًا حين التفت إليها..

● لقد اتصلت بكن كثيرًا ليلة أمس لكن هواتفكم كانت مغلقة..!، أين كنتم؟!..

● كالعادة ذهبنا صباحًا للطبيب لأجراء جلسة العلاج فأغلقتنا هواتفنا قبلها، وعندما أنهينا خرجنا لنتنزه كعادة كل يوم ونسينا أننا قد أغلقتنا هواتفنا في الصباح، ثم عندما رجعنا كان الأرهاق باديًا علينا بجلاء..!، خلدنا للنوم ولم نشعر بشيء بعدها..

هنز عمر رأسه متفهمًا، لقد ارتاح باله من عناء التفكير في احتمالات البحث عنهن في الأسكندرية..

و كأن القمر غادر سماؤه وقرر أن يظهر نهارًا بتواضعٍ على الأرض، خرجت آسية من غرفتها بكرسيها المتحرك متجهةً نحو الصالة لتتفاجأ بوجود مصدر سعادتها الأول في هذا العالم..!، أرسمت الأبتسامة على وجهها وقد زادت من وجه القمر نورًا، وكالعادة بدأ الترحيب يتخذ مسارًا آخر، ساعة من الأبتعاد عن الحبيب تعادل حياة.. وكم من حياة يحيها المرء..

للحظة أدرك عمر أنه لم يلحظ أي تغييرٍ يُذكر في حالة آسية ..!، قطب حاجبيه في عدم رضا، تعجبت هي من تغيير ملامحه هكذا فجأة عندما كان ينظر إليها ..!، ألقت على نفسها نظرةً سريعة لعل أن تكون ملبسها غير مناسبة مثلاً أو أي شيء غير طبيعيِّ هنا ..!، لكنها لم تلحظ شيئاً يستحق تغيير ملامحه هكذا..

● ماذا؟!، لماذا أنزعجت هكذا فجأة؟!

أبعد وجهه عنها في سخط، وكأنه لا يريد أخبارها بشيء يجرح مشاعرها ..!، وهي لا تفهم شيئاً ..!

كانت والددة آسية قد تركتهما يتحدثان بينما هي تجهز الفطور ..!، عندما خرجت للصالة وجدت جمود الحديث بينهما فتساءلت ..

● ماذا حدث؟!، تبدوان كالمتخاصمين ..!

هزت آسية كتفيها في حيرة، بينما عمل عمر على إنهاء هذا الجدل ..

● لا أقصد جرح مشاعركِ يا آسية، لكنني لم ألحظ أي تغيير قد طرأ في حالتكِ ..

تفهمت آسية قلقه ..

● لا تقلق يا عمر ..!، الطبيب أخبرنا بأن العلاج سيطول كثيراً، المسألة ليست سهلة كما تظن ..

هز رأسه متفهماً، لم يكن راضياً عما يحدث، لكنه فكر للحظة .. ماذا لو يقدم طلباً لعلاجها على نفقة القوات المسلحة مستغلاً أنه سيكون ضابطاً بالجيش فور أنتهاء فترة تدريبه؟!، لكن ما قطع تفكيره رنين هاتفه .. أنها والدته، يا ألهي .. لقد نسي مشكلة أخيه ..

● نعم يا أمي .. لا ليس هنا كذلك .. سأضطر للبحث عنه هنا في الإسكندرية لعل وعسى أن أجده قبل أنتهاء

أجازتي .. حسناً أتصلي بي لو كان هناك أي تطورات .. سلام ..

كان بادياً عليه القلق والحيرة ..!

عمر.. مضى عليه أسبوع أجازته سريعاً همّ فيه بالبحث عن أخيه في المستشفيات وأقسام الشرطة ولم يجده..!،
أنتهت أجازته وسافر مجدداً ليستأنف فترة تجنيده ..

آسية.. تستأنف علاجها الروتيني في ملل دون تطور ولو طفيف حتى في حالتها، أما عن باقي وقتها فكان أغلبه
تهاتف صديقتها أمانى التي تصارحها هي الأخرى بأن العلاقة بينها وبين أحمد تطورت كثيراً و فقط مسألة وقت كي
يتقدم لخطبتها وفعلاً لم يمر يومان حتى أخبرتها بأنها قد تمت خطبتها رسمياً من أحمد، فرحت كثيراً لصديقتها
لكن عزّ عليها نفسها.. عاجزة ولم تستطع أن تتزوج هي بمن أحبته ..!

الشيخ محسن وزوجته.. يعيشان أتعس أيامهما، فبعدهما حُرماً لسنواتٍ عديدة من الأنجاب رزقهما الله بأدهم ثم
من بعده عمر، سافر بعدها الشيخ محسن للسعودية حين جائه عقد عملٍ هناك وأنتهز الفرصة ليؤمن مستقبل
أولاده، وحين رجع وجد أبنائه قد تأثروا بالأحداث السياسية للبلاد من بعد ثورة يناير وأصبحت عدوان في أسرةٍ
واحدة، اختلفوا كثيراً وتشاجروا أكثر، والآن قد عادوا مرةً أخرى وحيدين لا عمر ولا أدهم ..!

بعد شهورٍ عدة عاد عمر وقد أنهى فترته التدريبية في الجيش وأصبح من الآن ضابطاً احتياطياً في القوات
المسلحة، كان ينتظر هذا بفرغ الصبر ليقدم طلباً رسمياً لعلاج آسية على نفقة القوات المسلحة لكنه قُبِلَ
بالرفض ..!، وحين حصل على أجازته تلك أقتصر طريقه وسافر للأسكندرية مباشرةً هذه المرة، لم يرجع للشقة
فور عودته ولكنه فضّل أن يجلس على الكورنيش قليلاً.. كان مهموماً وحزيناً، منذ تلك الحادثة التي تعرضت لها
آسية وهو يشعر بأنها قد أصبحت مسؤلاًً منه، أعتمد على الجيش في الأنفاق على علاجها لكنهم رفضوا، لم
يشعر بمرور الوقت إلا عندما هبطت الأمطار عليه ..!، حين وصل للعمارة كان الليل قد أنتصف.. صعد الدرج
وصولاً للطابق الرابع وعلى وجهه أرسمت علامات الحزن والخيبة ..!، طرق الباب ففتحت له والددة آسية
كالعادة، لاحظت عليه الأستياء وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها على كتفه، رحبت به وأدخلته، جلس في الصالة
كعادته وهي تبعته، سألته ..

● عمر.. هل أنت بخير؟!، لماذا تبدو مهموماً هكذا!؟

لم يأتيها الرد وكأنه لم يسمعها، تزايدت قلقها لكنها ظنت أنه مهموم بسبب اختفاء أخيه حتى الآن..

● عمر.. أعلم أن لا جديد فيما يخص أخيك.. أتصل بوالدتك باستمرار للأطمئنان عليها لكنها تبدو حزينة جدًا بسبب اختفاء أخيك المفاجيء، ربما يكون قد سافر ولم يخبركم، حدثتني والدتك مرارًا عن أدهم وأفعاله.. شخصيته صعبة وغريبة وغير مستبعد أنه قد سافر ولم يخبركم.. هذا وارد..
ساد الصمت أيضًا للحظات، هز رأسه وبدأ متفهمًا لكلامها..

● ليس أمر أخي ما يُشغل بالي..!، كلُّ مسئولٍ عن تصرفه، وأعتقد أن أخي اختار أن يختفي فجأة بأرادته وسيظهر في أي وقت، ما يشغل بالي أمرٌ آخر..
تعجبت والدة آسية من كلامه، إن لم يكن يُشغل باله أمر أخيه فماذا به أذن؟!، أرجع عمر ظهره للوراء وأكمل أفرغ همه لها..

● كنتُ أظن بأنني قادرًا على تحمل مسؤولية آسية والسعي وراء علاجها، سعيت فعلاً لكن العلاج بهذه الطريقة غير مجدي.. الوقت سيطول كثيرًا والمصاريف قد لا تكفي..!
قالها وقد أرتسمت أبتساماً تهكمية على نفسه، حاولت هي التخفيف عنه..

● الصبر يا عمر الصبر، أنا لم أياس من روح الله بعد ولن أفعل، كذلك الحال أنت وقفت بجانبنا ولم تبخل بشيء عتًا، فلماذا تلوم نفسك أذن؟!
● و نعم بالله..

أعتدل في جلسته ثم أكمل كلامه..

● قدمت طلبًا للقوات المسلحة لعلاج آسية في مستشفياتهم على نفقتهم أو الحصول على مميزات.. وافقوا في البداية لكنهم عندما علموا أنها ليست من أهلي رفضوا طلبي.. لا بد أن تكون قريبتى من الدرجة الأولى.. هذا شرطهم..

فاجأتها جملته الأخيرة تلك، قريبته من الدرجة الأولى؟! عادةً القرابة من الدرجة الأولى تكون أما والدته ، أخته ، أبنته أو زوجته.. وحيث أن الخيارات الثلاثة الأولى غير متاحة.. فماذا لو كان ...، قاطع عمر تفكيرها حين أكمل كلامه بنبرته الحزينة والراجية..

● كنتُ أود مساعدتها، كنت أود سرعة علاجها وشفائها لكن كُتب علينا روتين العلاج الحكومي!..

عملت والدة آسية على إضافة المرح في حديثها مع عمر ...

● أتعرف يا عمر.. في مصر سُمعة المستشفيات والمدارس الحكومية أسوأ من سُمعة الراقصات!..

تعالت ضحكة عمر فجأة، لم يعهد أن والدة آسية ترمي بالنكات هكذا!..، سعدت هي كذلك لأخراج عمر من مزاجه السيء، أبتسمت ثم أتجهت ناحية المطبخ لإعداد العشاء له قبل النوم.. لاحظ عمر أبتسامتها تلك لكنه ظن أنها ممتنة فقط لما يفعله هو مع أبنته أو بسبب حبه لها، لكن الحقيقة غير ذلك، تلك الأبتسامة كانت لفكرة قد حضرتها فجأة وتفكر فيها بجدية!..

خلد عمر للنوم.. في حقيقة الأمر هو لم ينم طيلة هذه الليلة ..، لم يستوعب الأمر الذي عرضته عليه والدة آسية!..، لقد عرضت عليه الزواج من آسية!..، فكر كثيرًا في هذا الأمر ووجد أن ما عرضته عليه كان من الطبيعي أن تفكر به والدة آسية.. فهي تريد الأسراع من علاج أبنته وكذلك حبهما لبعضهما وبذلك ستضرب عصفورين بحجرٍ واحد..

كان عمر ينظر لهذا الأمر من منظور مختلف، كيف سيقنع والديه بزواجه من آسية!؟، أولاً الوقت ليس مناسبًا بسبب أنشغال الجميع بأختفاء أدهم حتى تلك اللحظة، ثانيًا والديه لن يقتنعا بزواجه من فتاة عاجزة.. فلتتوقف حدود المساعدة لهذا الحد!..، سكن وبعض المساعدات المالية وأطمئنان لكن أن يصل الأمر لزواجها فستكون هنا المشكلة!..، هذا من جهة والديه..

لكن هناك أمرٌ آخر لم يفكر فيه أحد، كيف سيكون رد آسية عندما يُعرض عليها الأمر؟! هل ستتقبل الأمر بسهولة؟! أم ستعتبره إشفاقٌ ووهم؟!، أم سيكون زواجًا عن اقتناع أنه يحبها فعلاً؟!!

فكر في الأمر كثيرًا وقد أتخذ قراره ..!

بعد عدة أسابيع من أستئناف عمر لخدمته العسكرية.. أستيقظت آسية صباحًا وقد أجتاحتها رغبةً ملحّة في رؤية عمر!.. لا تعلم لماذا تأخر كل هذا الوقت في التجنيد هذه المرة!..، كان من المفترض أن يظهر أمس أو اليوم، لكنه لم يرجع حتى الآن!..، وكعادة يومها الذي أصبح رتيبًا بالفعل.. صباحًا ذهبت للطبيب لأستكمال جلسات علاجها الرتيب أيضًا.. بعدما أنتهت لم يكن لديها الرغبة في التنزه اليوم وفضّلت رجوعها للبيت باكراً هذه الليلة.. ربما عدم رؤيتها لعمر كل هذا الوقت كان سببًا أقوى من رتابة علاجها!..!

عندما دخلت آسية ووالدتها الشقة كان الظلام الحالك يسود المكان على غير العادة!..، لكن عندما أضيئت الأنوار فجأة كانت أولى مفاجآت الليلة بانتظارها!..، أتسعت عيناها من الفرحه حين وجدت أمانى بانتظارها وكادت تقفز من مكانها من الفرحه.. أسرع أمانى نحوها وعانقتها في حرارة.. لقد أشتاقت الصديقتان لبعضهما كثيرًا، أخيرًا ظهرت توأمة روحها..!

●أفتقدتك يا غبية!..!

قالتها آسية بأبتسامه باكية بعدما ضربت صديقتها على ظهرها بعدما عانقتا بعضهن مازحة، ردت أمانى بنفس الأشتياق ..!

●أردت أن أكون أول من يقول لكى كل عام وأنتى بخير!..!

تذكرت آسية أن عيد ميلادها اليوم، فبدلاً من أن تفرح فقد أضافت بعض الكآبة لهذه المناسبة..!

●قبل عامٍ من الآن كنت أستطيع المشي وكنت أجري هنا وهناك، كنت أسرع عندما أتأخر عن المحاضرة، لكن الآن..!

قاطعتها والدتها ..

● لكنّ الآن أنتي تتعرضين لأختبارٍ من الله.. لابد أن تنجحي في هذا الاختبار، أن الله لطيفٌ بعباده وأحرص عليهم من أنفسهم، الحمد لله على كل شيء..
أكملت أمانى ...

● دعك من كلامك الفارغ هذا.. لن أدعك تفسدين هذه الليلة، ما رأيك أن نطفئ الشموع الآن لنبدأ سهرتنا؟! ظهر عمر فجأة ويده كعكة الميلاد.. لقد كانت الفرحه مضاعفة هذه المرة.. أخيراً عمر ظهر لها، لقد أفتقدته طيلة الأسابيع الماضية، كان ظهوره بحد ذاته عيد ميلادٍ لها..

● كل عامٍ وأنتي بخير يا آسية، في السنة القادمة ستكونين على ما يرام وأراهنك على هذا..
أزداد جمالها حين تبسّمت، شعرت بالخجل بسبب نظرات والدتها وأمانى لها ..

● ماذا لو نطفئ الشموع الآن؟!

ألتف الجميع حول كعكة الميلاد وبعد ترديد طقوس أعياد الميلاد أنسحت والدة آسية للمطبخ داعيةً أمانى لمساعدتها في أعداد عشاء الليلة، أدركت آسية أن مفاجآت الليلة لم تنتهي وأن ما يحدث الآن ليس مجرد رغبةً من والدتها في تركهما بمفردهما ليتحدثا فقط.. قلبها يُحدثها بأن هناك شيئاً آخر ينتظرها، تتبععت نظرات عمر المترددة إلى أن تكلم أخيراً ..

● منذ عامٍ مضى كنتُ أخطط لأن أحادثك بشأن زواجنا لكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ..!، عدت خائباً ويائساً.. بعدها بأيامٍ تتعرضين لحادثٍ ليتخلى الجميع عنك إلا من كنتي أنتي حياتي ..!، لكن تلك السفينة التي أرغمتها الرياح للجريان في طريقٍ لا تشتهيهِ قد تكون سلكت طريقاً أفضل من ذلك الطريق المعتاد الذي خسرتهُ ..!، الآن عدتُ مجدداً لأعرض عليكى عرضٌ قد رفضيه سابقاً.. هل تتزوجيني؟!

حينها كان شعورها مختلطاً.. تشعر بالسعادة المفرطة، كانت تبكي داخلياً من الفرحه وظهر هذا في لمعان عينيها، لكنها لم تتحرك ساكنة، رغم أنها كانت تنتظر هذا مجدداً منه إلا عندما فعلها هو مجدداً فكرت في رفضه مجدداً ..!، لا تريد الأشفاق بأي صورةٍ كانت

أما عن عمر ففكر في أنها قد تظن أنه إذا أقرح عليها أن يتزوجها ذات يوم وهي في تلك الحالة فإنه بذلك يُشفق عليها، عندما ساد الصمت بينهما للحظات أيقن بأنها داخلياً تفكر هكذا، أسرع لتوضيح الأمر..

● على أية حال لن أترك لك مجالاً للرفض هذه المرة.. لن أسمح بأن تفكري بالأمر حتى ..!، يوماً ما ستكونين بخير وتجربين ورائي غاضبةً حين تكتشفين أنني قد أعدتُ للبيت الفوضى بعد أن أنتهيتي من ترتيبه للتو.. هكذا يفعل الزوجين دائماً!..

قال جملته الأخيرة مازحاً مما أعاد رسم الأبتسامة على شفيتها ..!، ضحكت رغم تلك الدموع التي أعلنت ضعفها هذه المرة، للحظة جال بخاطرها سؤال.. لماذا يفعل عمر هذا معها؟!، الأمر يتعدى مجرد الأشفاق عليها أو المساعدة فقط ..!، يحبها حقاً.. هي تريد تصديق هذا على كل حال حتى لو لم يكن كذلك!..

كانت والدتها وأماني تطلان برأسيهما من باب المطبخ وتستمعان لما يجري بينهما في الخارج.. تبسيمان وتترقبان رد آسية، حين طال الصمت بينهما وفي نفس الوقت التي كانت تفكر آسية في الرد عليه سبقتها أماني بزغاريد الفتيات تلك معلنةً عن موافقتها على الزواج بدلاً عن آسية!..

كانت تلك المفاجأة الكبرى التي تنتظرها الليلة، دقائق وقد كان المأذون في الشقة لعقد قرانهما.. تمت الزيجة فعلاً معلنةً عن حياةً جديدةً لكليهما.. حياةً لا يدري أحداً تفاصيلها القادمة بعد!..

- ٣٣ -

لقد أنتهت اليوم أخيراً من تغطية لسلسلة من الحلقات عن موضوع اللاجئين السوريين في مختلف الدول الأوروبية، سافرت لعواصم تلك الدول ورصدت حالاتهم وكتبت تقاريرها عن المخيمات السورية التي أصبحت وطنًا بديلاً لهم في تلك الدول ..!، لقد رصدت معاناتهم وعلى عكس ما كان يقدمه الأعلام الأوروبي عن المعاملة الحسنة لهؤلاء اللاجئين.. رصدت هي الحقيقة كما تعودت أن تقولها وتبرزها دائماً!..، السوريون يتم معاملتهم بذل ومهانة..

كان صوت ماريان مسموعاً ويصل بسرعة للناس والمشاهدين، فمثلاً عندما كانت على الحدود المجرية الصربية تعرض أحد السوريين للأعتداء من قبل مُراسلة تلفزيونية مجرية حين كان يحتضن هذا الرجل ابنه ليحميه من تدافع

اللاجئين، في البداية لا أحد كان يعلم بهذا لكن عندما قررت ماريان نشر ذلك الفيديو كانت تتق بأن الفيديو سينال أستعطاف الكثيرين ..!، وكما قررت أن تكون فعلاً.. لقد ساهمت في نقل حقيقة ما يحدث للعالم، بعدها قامت العاصمة الأسبانية مدريد بأستضافة هذا الرجل السوري وأبنة الذي تم الأعتداء عليهما من هذه المراسلة وأستضافهم رئيس نادي ريال مدريد الأسباني لكرة القدم حينها وأعتنى بهم بل وحصل على عملٍ هناك، لقد أصبح العالم كله تقريباً يعرف هذا الرجل وأبنة، فماذا فعلت تلك المراسلة التلفزيونية بحقها إلا أنها تسببت في طردها من القناة؟!!

كانت قد قررت أن تتناول وجبة العشاء مع صديقتها التي تعمل ضمن طاقمها سارة تغيان بعد عشاء يومٍ طويل، أعجبت كثيراً بشخصيتها خاصةً أنها مغربية.. ساعدتها كثيراً في أعداد تلك الحلقات الكاملة التي تتكلم عن اللاجئين في أوروبا ورصد معاناتهم ..

كانتا تجلسان في المقاعد الخارجية لمطعم كازان التركي في شارع ويلتون بلندن حين بدا لماريان بالذات أن هناك أمراً ما غير طبيعياً يحدث أو سيحدث هنا ..!، ربما لأن حدسها الصحفي جعلها تشعر بشيء غير طبيعي ..!، لاحظتها سارة عندما توقفت ماريان عن الحديث معها فجأة.. تنظر لشيء ما قاطبةً حاجبها ..!، لكن الغريب أن ليس هناك ما يُلفت الأنتباه ..!

● ماري.. ماذا بكِ؟!!

لم ترد ماريان، كررت سارة نداءها بصوتٍ أعلى..

● ماااري.. هل أنتي بخير؟

التفتت إليها ماريان وكأنها للتو سمعتها، التفتت مرةً أخرى لما كانت تنظر إليه وهي تسألها..

● أترين ذلك الرجل الذي يقف هناك؟!!

التفتت سارة ناحية الرجل الذي أشارت عليه ماريان..

● ماذا به؟!!

● ألا يشير الريبة؟!

تعجبت سارة من سؤالها خاصةً أنها لم تلاحظ شيئاً..

● يشير الريبة لمجرد أنه ذو لحية ويبدو مسلماً مثلاً من أصولٍ عربية؟!

التفتت إليها ماريان متفاجئة من طريقة تفكيرها!..

● أنا لم أقصد ما فهمتيه يا سارة، لماذا تفكرين بهذه الطريقة؟!

ظهر الضيق والحزن على وجه سارة فجأة!..، ردت بخجل..

● و أنا لم أقصد مضايقتك يا ماريان، كل ما في الأمر أن ديننا ليس سيئاً.. ليس كل ملتحي أرهابي وليس كل مُنتقبة يُثار من حولها الشكوك..

سكتت للحظة بدت فيها متأثرة ثم أكملت..

● الأسلام بريئاً من تلك الجماعات والمنظمات التي أساءت لدينا!..، بسببهم أصبح الناس حتى من عموم المسلمين ينتابهم الشك حول رجلٍ ذو لحية!.. هل يتبع تنظيم أرهابي أم له نشاطات مشبوهة؟!، أصبحت المنتقبة محل سخرية وأشمئزاز من الجميع!..، ديننا أبسط وأرقى من ذلك بكثير.. نحن لسنا أرهابيين يا ماريان وهذا الذي يستخدموه ليس ديننا، ديننا رحمةٌ للعالمين وليس هلاكاً لهم ...

كان صوتها يخالطه الألم والحزن والغيرة على دينها، اقتربت منها ماريان لتوضح ما كانت تقصده..

● سارة.. لماذا تقولين مثل هذا الكلام؟!، أنا لم أقصد أن أرح في الإسلام أو أي شيء من هذا القبيل، صدقيني لم أقصد أن أضايقك، ما أقصده هو أن تحاولين التركيز في تصرفات هذا الرجل الذي..

فوجئت ماريان وسارة أن الرجل اقترب عندما همّت ماريان بتوضيح الأمر أكثر، شعرت سارة بالأرتياب نحوه كذلك!..، تصرفات الرجل غير طبيعية.. يلتفت يميناً ويساراً وهو يمسك بسترته وهو ينوي فتحه!..، نظرنا لبعضهما في شكٍ وأرتياب.. هزت ماريان كتفيها إشارةً أن هذا ما تقصده!..، ظل الوضع هكذا وهما تترقبانه بحذر وعندما أزدحم المكان فجأةً ظهرت أبتسامهً مآكرة على وجه ذلك الرجل ثم أطلق صيحته بصوتٍ عالي

سمعه الجميع من حوله.. " الله أكبر " ثم فتح سترته!..

لقد توقف الزمن عند هذه اللحظة.. كان الجميع منبطحًا على الأرض متيقنًا بأن اللحظة القادمة سيكون ميتًا عندما يُفجر هذا الأنتحاري نفسه، لكن فجأة بدلًا من أن يسمع الجميع صوت الانفجار كآخر ما سيسمعه في حياتهم.. سمعوا صوت أحدهم يطلق ضحكاتٍ عالية بصورة هستيرية!..

تبادل الجميع الضحكات عندما علموا جميعًا أن هذا برنامجًا ساخرًا " توك شو " وأن هذا الرجل قد أوقعهم جميعًا في فخٍ ساخر " مقلب " .. قام الجميع ونفضوا التراب من على ملابسهم وقد عادت الحياة لقلوبهم بعدما فزعوا منذ قليل، إلا ماريان وسارة فظلتا هكذا على الأرض مصدومتان مما حدث.. خاصة سارة التي لم تستوعب الأمر بعد ..!، تساءلت في نفسها.. ما الذي جعلها تنبطح أرضًا منتظرة موتها بعد لحظات؟! أهى كلمة " الله أكبر "؟! أم لحية هذا الرجل وهيئته العربية؟!، أم جميعهم؟!، أنهم يسخرون منا كمسلمين ..!، ربما يبدو برنامجًا ساخرًا في النهاية لكنه وبصورةً ما صُدّر للعالم كله أن كلمة الله أكبر لا تستخدم سوى في العمليات الأرهابية التي يقومون بها هؤلاء الجماعات حتى هي صدقت هذا وأنبطحت أرضًا.. هؤلاء الأوغاد.. ماذا فعلوا بديننا..

في سوهاج وفي إحدى أكبر قاعات المناسبات (الأفراح) تجمعت أعداد غفيرة لعائلي العروسين وأصدقائهم، العروسان أحبا بعضهما حين كانا زميلين في الجامعة وتطورت العلاقة بينهما وكلاً منهما يكن الأدب والأحترام للآخر، هي فتاة ريفية.. قد أحسن والديها تربيتها، أكملت تعليمها الأساسي ثم إنتهت بكلية الزراعة لتحقيق أمنية أهلها في إدارة أراضيهم الزراعية وكذلك إضافة لقب " باشمهندسة " قبل إسمها، دخلت الجامعة ورأت ما رأت من إختلاف الحياة في قريتها وحياة الجامعات.. لم تعجبها الحياة الجامعية لذلك فضّلت الأنعزال ولكنها تعرفت على صديقة عمرها حتى بات من يراهن يتيقن بأنهم أختين أو على الأقل تجمعهن صلة قرابة..

أما هو فقد ألتحق بهذه الكلية بسبب فيروس التنسيق الذي يصيب طلاب الثانوية العامة عادةً.. دخل كلية زراعة مرغماً، لكنه تقبل وضعه هناك حين رآها لأول مرة بعد عامين منذ إلتحاقهما بالكلية.. كان يجيد التعامل مع الفتيات، لكنه حين رآها لأول مرة تاب عن حياته المراهقة وفضلها هي فقط عن باقي الفتيات التي عرفهن، أحبها وبعدها تخرّج من الجامعة عانى في البحث عن وظيفة حتى عثر على واحدة فتقدم لأهلها لزواجها..

و في مشهدٍ مهيب ورائع تم زفاف أماني على أنغام الدبكة اللبنانية الرائعة وبنفس الطريقة تم زفاف أحمد كذلك وما أن وصلا لمسرح الرقص حتى ألتف أصدقاء أحمد وأماني حولهما ليتراقص الجميع، وما أن أنتهت أغاني الترحيب بهما حتى أظلمت القاعة كلها ثم تم أضائتها تدريجياً بعد ثواني معلنةً عن ضيوفٍ آخرين أشتاقت لهم أصدقاء الكلية !..

في البداية غلب على الحاضرين الشفقة حين رأوا عمر وهو يدفع آسية على كرسيها المتحرك في الممر الطويل ولم يختلف الحال كثيراً بالنسبة لأصدقاء الكلية الذين لم يروها منذ ذلك اليوم التي تعرضت فيه هي لتلك الحادثة، بدت أنيقة وأكثر أشراقاً رغم ما يعصف بداخلها من آلام، كان يحزنها نظرة الاستعفاف تلك التي يبديها الحاضرين هنا لكن كل هذا تبدد حين رأت أصدقائها يتهافتون ويتسابقون إليها أشتياقاً لتلك الفتاة الشقية والمزعجة، يالها من أيام ولت دون رجعة، حين كانت تشاكس زميلاتها بخفة دمها المعهود، لكنها أيام قد أنتهى

زمانها وها هي الآن تجلس على كرسي متحرك عاجزة تنتظر تهافت صديقاتها إليها، وياله من أستقبالٍ حافل كان
أعظم وأروع من زفاف العروسين، وبعد ليلةٍ صاحبة سعد الجميع فيها مع العروسين.. أنفضّ الجميع..

لم يكن من الطبيعي أن يظهر مجددًا بعد يومين فقط من سفره.. كان باديًا عليه القلق والتوتر والعجلة من أمره حين وصل للمستشفى صباحًا، دخل عمر الغرفة التي تتم بها علاج آسية.. لم تختفي علامات الدهشة والحيرة على وجه آسية ووالدتها التي كانت تتابع الطبيبة وهي تحاول أن تجعل أبنيتها أن تُحرك أطراف قدميها فور دخوله فهمت الطبيبة أن عليها الخروج وتوقف جلسة العلاج مؤقتًا، أتجه عمر ناحية آسية وقام بتقبيل رأسها ثم جلس بجانبها فتبسّمت والدتها من حب صغيريها ..!، لكن سرعان ما تنبّهت آسية من زي عمر الرسمي على غير العادة ..!

● لم أعهد أن أراك بالزي العسكري ..!، أهنالك خطبٌ ما ؟!

أمسك عمر يدها وقبّلها ثم نظر لوالدتها التي تنتظر لتفهم ما يحدث ..

● أنا لستُ في عطلة ..

نظر لساعته ثم أكمل ..

● سأسافر بعد نصف ساعة في مهمةٍ ما تابعة للقوات المسلحة، فضلت أن أطمئنكم وأعلمكم بالأمر ..

قطبت آسية حاجبيها في ضيق، ثم سألته ..

● إلى أين ياعمر ؟!

● سنسافر أسبانيا..، هناك مناورات مشتركة بين جيشي البلدين، لا تقلقي سأعود قريبًا ..

و كأن خاطر آسية ووالدتها واحدًا .. كلتاها لم تصدقا عمر في كل كلامه ..!، يتكلم وهو يحاول تجنب النظر

إليهن مباشرةً، هل هي حقًا مجرد دورة تدريبية أم غير هذا ؟!

● متى ستعود ياعمر ؟!

● لم يتم أخبارنا بشيء سوى أننا سنذهب في مهمة تدريبية، الشيء الأهم الآن هو أنني عندما أعود أريد أن ألاحظ تقدمًا في علاجك يا آسية..

● لا يهمني العلاج، ما يهمني هو أنت..

قاطعها عمر وقد بدا عليه الاستعجال..

● و أنا لا يهمني سوى علاجك..

قام من مكانه وقبل رأسها مجددًا وهم بالخروج لكنه التفت إليهن وقد تصنّع أبتساماً على وجهه..

● أستودعكم الله..

لوح إليهن بيده ثم خرج بخطى سريعة نحو الدرج إلا أنه فوجئ بأن والدته آسية تناديه، التفت إليها مندهشًا..

● عمر.. أخبرني الحقيقة..

فهم عمر أن والدته آسية تشك بأمره، لم يعتاد المراوغة أو الكذب لذلك قد ظهر جليًا لها أو لآسية أو كليهما أنه يكذب بخصوص هذا الأمر، حاول المراوغة مجددًا..

● لقد أخبرتك أنني سنقوم بمناورات مشتركة مع..

قاطعته في حزم..

● عمر.. أنا لست آسية لأصدق كلامك هذا..!

أبعد عمر نظره عنها، تأكدت أنه يخفي شيئًا ما..

● ليس تدريبًا كما أخبرتنا، أهي مهمة خطيرة!؟

لم يستطع عمر المراوغة هذه المرة، رد بلهجة يملؤها الغلبة على أمره..

● ليست آمنة وليست خطيرة..!، لقد تم اختياري ضمن كتبية مصرية ستسافر اليمن للمشاركة في التحالف

العربي هناك، ستوكل ألينا بعض المهمات البسيطة، مشاركتنا ستكون رمزية ولن يتم الاعتماد علينا هناك..

بدا عليها القلق هي كذلك، ظهر قلقها جلياً على وجهها بصورة تكاد تكون مبالغة، لاحظ عمر توترها هذا بالأضافة لتأخره عن زملائه..

● لم أكن أريد أن أخبركم بهذا، لم أكن لأريد أن أحملك ما ليس بوسعكم أن تحملوه، لا تقلقي، لن نتأخر وسنكون بأمان..

أقترب إليها أكثر ليهمس لها..

● أرجوكي لا داعي لأن تخبريها بشيء كهذا..، أريد أن تواصل تقدم حالتها ولا أريد أن يؤثر تأخيري لو حدث على تقدمها بالعلاج !..

سأرجع في أسرع وقت ممكن بأذن الله، هي مسألة وقتٍ فقط..

هزت رأسها أيجاباً لتؤيده في إخفاء الأمر على آسية حتى لا يؤثر هذا على علاجها، لكنها لم تستطع إخفاء قلقها عليه، أستدار عمر وغادر المستشفى مسرعاً، ظلت هي واقفة لدقائق لتحاول من تهدئة نفسها قليلاً قبل الدخول لغرفة آسية مجدداً، دخلت وقد تصنعت الأبتسامة لتطمئن أبنيتها بأن الأمور بخير !..

هبطت الطائرات العسكرية المصرية في مطار عدن، نزلت منها الكتيبة المشاركة في التحالف العربي باليمن، كانت مصر قد أرسلت كتيبة مكونة من مائة جندي برئاسة اللواء صفوت الدكروري بصفته مستشاراً عسكرياً، هذا بالأضافة لمساعديه من الضباط الأحياط.. مصطفى سراج وعمر محسن..، كان اللواء صفوت يثق بهما كثيراً لذلك رشحهم معه عندما أسندت إليه المهمة..

مصطفى تخرج من كلية الطب بتقدير أمتياز مع مرتبة الشرف غير أنه أظهر براعةً طبية في سنة التخرج لذلك تمسكت به القوات المسلحة وعينته ضابطاً أحياطياً شأنه شأن عمر الذي أكتسب الشخصية العسكرية خلال تلك الشهور القليلة الماضية.. كذلك هو الآخر قد أظهر براعةً قتالية في التدريبات من أجادة استخدامه للسلح بمهارة وتركيزه التام في تدريبات استراتيجيات المعارك والحروب..

عند نزول الكتيبة أرض المطار ركبوا سياراتٍ تابعة للتحالف حتى وصلوا بعد ساعات لمكان المعسكر الخاص بهم، كان المكان المجهز لهم يليق بمكانة الجيش المصري الذي يميل دوره في هذه المهمة إلى العمل الاستخباراتي عنه القتالي..

في الأسابيع التي تلت سفر عمر مع الكتيبة المصرية كانت والدة آسية تتابع نشرات الأخبار في اهتمامٍ مبالغ فيه حتى أدهش ذلك آسية ..!، فليس في أسرتها من يتابع السياسة أصلاً لا من قريب ولا من بعيد وكأنهم منعزلين عن كل العالم.. فكان لديهم جميعاً قناعة بأن السياسة قدرة ..

في كل ليلة تندمج آسية مع إحدى المسلسلات وكانت والدتها تنتهز وجود الفواصل الاعلانية لتغيير القناة لمتابعة قنوات الأخبار مما أثار الشك والريبة في نفس آسية ..!، وعندما تحاول أن تستفسر من والدتها عن سر اهتمامها بنشرات الأخبار في الفترة الأخيرة تجد أنها تتهرب والدتها بحجة ما ..!، لكن ما كان يطمئنها هو اتصال عمر بها كلما سنحت له الفرصة ليطمئن عليها ..!

بعد أشهرٍ من تواجد الكتيبة المصرية باليمن بدأت تتحول مشاركتهم الرمزية إلى مشاركة فعلية في التحالف بعدما جائتهم الأوامر بتنفيذ عدة مهمات قتالية بسيطة ومحدودة خاصة بعدما أصبحت شوكة الجماعة الحوثية متينةً في ظهر الشعب اليمني، وخلال هذه الأشهر قلت الاتصالات تدريجياً بين عمر وآسية حتى انقطعت تماماً في الأسبوعين الماضيين ..!

في وقتٍ متأخر من الليل كانت آسية مُلقاةً على سريرها في غرفتها بالمستشفى.. لقد أرهقها التفكير.. لماذا انقطع عمر فجأةً عن الاتصال بها؟!، لم يعد يهتم أم أنه لا يجد فرصة للاتصال بها؟!، أم تراه قد أصيب في التدريبات مثلاً؟!!

أفرعها الاحتمال الأخير فأنفضت من مكانها وما أن اعتدلت في جلستها حتى لاحظت والدتها وقد غفوت في مكانها وهي جالسة ممسكةً بجهاز التحكم.. التفتت آسية للتلفاز لتجد أن والدتها كانت تشاهد نشرة أخبار كعادة الأسابيع الأخيرة!..

سياسةً مرةً أخرى؟!، لم يعد الأمر مريحًا على الإطلاق..، حتى أنها ليست شئون داخلية كي تجذب أنبائها بهذا الشكل!..، أمور وأحداث تحدث في الوطن العربي.. ماشأننا نحن بها؟!، تساءلت في نفسها.. هل هي قلقة بشأن أخاها مثلًا؟!.. أخاها؟!، كادت تنسى أن لها أخًا من الأساس.. حتى أنه لم يفكر في الاتصال بها ولو مرة واحدة!..، تفكير تفكير تفكير.. أرهقت نفسها بالتفكير في كل شيء ولم تنال من هذا سوى أن حياتها تُسرق!..، قررت أن تسعد نفسها!..، لذلك قررت أن تفكر بإيجابية.. عمر بخير لكنه مشغول قليلًا وعندما تسنح له الفرصة لن يتردد وسيتصل، تتشوق لترى ردة فعله عندما يجدها قد تحسنت ولو قليلًا.. لقد أستطاعت أخيرًا أن تحرك أطراف قدميها..

تنبهت حين وجدت والدتها قد قامت من غفوتها وهمّت بمتابعة الأخبار مرةً أخرى بأهتمام واضح!..، حينها أعادت آسية التفكير في سر تحول والدتها الغريب.. فقامت بنصب فخ بسيط لها..

● أمي!..

لم ترد والدتها عليها بسبب أنشغالها الشديد بما يُعرض على التلفاز.. حاولت آسية أن تفهم حقيقة ما يُعرض على التلفاز لكنها لم تجد صلة بين بما يحدث في اليمن ومتابعة والدتها لهذه الأخبار!..، مهلاً.. ماذا لو كان لعمر صلةً بما يحدث؟! يبدو الأمر غريبًا جدًّا!..، فكرت في هذا الأمر بجديّة، تذكرت شيئًا.. عندما قام عمر بتوديعهما وخرج من غرفتها تبعته والدتها لترجع لغرفتها بعد دقائق والقلق بادياً على وجهها.. لكنها فكرت في أن ربما والدتها قلقة فقط من سفر عمر لا أكثر كونه سيتركهم، لكن ماذا إن كان عمر لم يخبرها بالحقيقة!..

● عرفتُ ما دار بينكما قبل أن يغادر عمر المستشفى حينها..

التفتت إليها والدتها فجأةً غير مصدقة لما تسمعه من أبنيتها!..، هذه الحركة جعلت آسية تتيقن أن لعمر دورٌ قادم في فخها هذا، نظرت للتلفاز ثم أكملت كلامها بلهجةً واثقةً وهي تأمل أن ينجح فخها..

● عمر لم يسافر أسبانيا كما قال...، حينها كان يريد أن يُطمئنني فقط...

مازال وجه والدتها جامدًا بسبب دهشتها.. أبعدت وجهها عن أبتها لتتحكم في قلقها الذي كان واضحًا عليها، هنا عزمت آسية على مواجهة والدتها ومعرفة حقيقة ما يحدث..

● أذن صحيح؟!، عمر لم يسافر أسبانيا كما أخبرني!؟

عادت تعابير الدهشة لتسيطر على وجه والدتها بقوة، أدركت أنها وقعت في فخ آسية، تساءلت آسية في شك..

● هل له علاقةً بما يحدث في اليمن؟!، هل سافر اليمن!؟

ساد الصمت بينهما للحظات ثم هزت والدتها رأسها أيجابًا، وكأنها كانت تنتظر تلك الصدمة وتغيرت ملامح وجهها ليكسوها القلق هي الأخرى واضعةً يدها على قلبها لتهدئة نبضاته المتسارعة!..

جذب أنتباههن بداية البرنامج السياسي المشهور للمذبة شيرين عبد النور ...

" الحوثيون هم جماعات شيعية مسلحة مدعومة من الدولة الإيرانية الشيعية للتدخل في شؤون اليمن، حينها أستشعرت المملكة السعودية خطر تلك الجماعات وكذلك زيادة نفوذ الإيرانيين في المنطقة الخليجية عامة، وعلى أمنها القومي خاصة.. فكونت تحالفًا عربيًا لوقف تلك الجماعات وردعها عن نشاطاتها المسلحة ضد الشعب اليمني ولوقف تهديهم لأمن الخليج العربي...، تزايدت نشاطات تلك الجماعات الإرهابية إلى أن وصل الأمر لأختطاف الرئيس اليمني نفسه وحجزه في مكانٍ مجهول وأستولوا هم على الحكم مدّعين بأن لهم أحقية حكم البلاد في ظل عدم تواجد رئيس!..

متى سينتهي الصراع في اليمن؟!، اليوم سنتكلم عن الشأن اليمني.. معي في الأستديو الخبير الأستراتيجي ... "

في هذه اللحظة أستشعرت آسية ووالدتها الخطر المحدق بعمر.. بدأت آسية بحذف تفاعلها بأن عمر بخير وأن أنقطاع اتصالاته تلك هو مجرد أنشغال، ليس أمامها سوى أن تنتظر لترى ما تحمله الأيام القادمة لها!...

فتحت عينيها في أرهاق واضح بعد ذلك الأمس المتعب والمرهق بالنسبة لها، توجهت صوب النافذة وأزاحت الستار وتطلعت على شروق الشمس هذا اليوم، لم يرغب عن بالها ما حدث معها بالأمس ..!، كانت تظن بأنها قد حققت حلمها عندما جاءت لهننا لكن يبدو بأن هناك من يريد مضايقتها ..

راحت تتذكر ما حدث ..

كانت أول الواصلين لمدينة مانشستر لتغطية أنفجار قد أستيقت على أثرها هذه المدينة ..!، عندما بلغت المحطة بتلك المعلومة قامت بتجهيز الطاقم الخاص بها مسرعةً صوب هذه المدينة، كانت الشرطة قد سبقتها وأتفوا بمكان الحادث لمنع دخول أو خروج أي أحد حالما تنتهي التحقيقات، حاولت ماريان الحصول على أية معلومات لكنها فشلت ..!، أنتظرت بالقرب منهم لعلها تصل لفكرة أو حيلةً ما للحصول على معلومات لكنها في النهاية لم تتمكن سوى الحصول على معلومة كانت بديهية عرفها الجميع وهي أن الحادث عمل أراهبي وليس نتيجة ماس كهربي أو شيئاً هكذا، ما جعلها مستاءةً أكثر هو أن رجال الشرطة كانوا يتساهلون قليلاً مع المراسلون الآخرون عداها هي وبالطبع فشلت في استقطاب أي معلوماتٍ حصرية من هؤلاء الرجال وفي نفس الوقت لم تستطع لتسأل أحد المراسلين عن معلوماتٍ عن الحادث ..

جذب أنتباهها خروج أحدهم من ذلك الملهى الليلي الذي حدث فيه الانفجار وكان يبدو مختلفاً عن الجميع .. حاولت اللحاق به قبل ركوب سيارته لكنها فشلت مرةً أخرى .. زفرت بسبب تواصل فشلها اليوم لكنها لم تستسلم بعد، قررت أن تتعد عن مكان الحادثة أصلاً وتتبع هذا الرجل .. تركت طاقمها وتتبع هذا الرجل بعدما أوقفت سيارة أجرة لتتبعه ..، توقفت السيارة ونزل منها هذا الرجل ودخل مبنى ما .. أحدث هذا الرجل زحاماً ما في مدخل المبنى، نزلت أيضاً ماريان وتتبعته ووقفت أمام المبنى .. " الطب الشرعي " ..

تمكنت بطريقةً ما من التسلل لداخل المبنى وسط هذا الزحام .. فوجدت أمامها مباشرة غرفة تبديل الملابس فدخلتها وسرقت معطفاً طيباً لتتجول بحرية داخل المبنى، بحثت عن هذا الرجل محاولاً أن تتخفى بقدر الأمكان

وألا تثير ضجة في بحثها عنه حتى لمحتة فعلاً في إحدى المختبرات، التفتت حول نفسها باحثَةً عن مكانٍ يمكنها الانتظار أو الاختفاء فيه، لم يكن هناك مكاناً أنسب من دورة المياه ..!

كانت دورة المياه في آخر الرواق ويمكنها رؤية الداخل والخارج من ذلك المعمل الذي دخله الطبيب، لكن ما هو صعبٌ بالنسبة لها هو أنتظارها بالساعات ربما بالداخل أو دخول أحدهم لدورة المياه، ظلت بالفعل ساعاتٍ أرهقتها كثيراً للحصول على معلوماتٍ حول منفذ الهجوم الأرهابي، لاحظت وجود تحركات على باب المعمل فعلمت أنه بعد لحظات سيخرج التقرير ربما، خرجت من دورة المياه وأقتربت من المعمل وأنخفضت لتمثل أنها تقوم بربط حذائها ..!، أثناء ذلك سمعت أحدهن وهي تقرأ أسم منفذ الهجوم بعد جمع وتحليل جزءاً من أشلائه ... " لون دوغ " أميركي الجنسية ..!

أسرعت ماريان لتهرب من هذا المكان فوراً بعد أن أنفردت بهذا الخبر...، في حقيقة الأمر كانت تريد الهرب لسببين.. حتى لا يلاحظ وجودها أحد ولتكون أول من ينفرد بهذا الخبر قبل تسريه، نزلت الدرج بسرعة وعندما كان يقابلها أحدهم كانت تخفض رأسها وتسرع أكثر في النزول عندما يحاول تذكر أحدهم أين رآها أو من تكون هي ..!، وصلت لمدخل المبنى وألقت بالمعطف الطبي وهمت بالهرب إلا أن أحد رجال الأمن تمكن من الإمساك بها.. حاولت أن تشرح له الأمر لكنه أصر على اعتقالها، كانت تنتظر معجزة وقد حدثت بالفعل.. أنفجاراً آخر بالقرب من المبنى هزّ المكان كله.. أنشغل الجميع بذلك الانفجار وتمكنت هي من الهرب ..!

بالطبع لم تفوت فرصة تغطية ذلك الانفجار أيضاً.. أتصلت بصديقتها سارة وأخبرتها عن مكانها لتغطية الحدث الجديد، في غضون لحظات كان الطاقم كله في مكان الحادث الجديد..

في اللحظة التي كانت ماريان تُلقي بالخبر الذي أنفردت به ظهر على الشاشة شريطاً أحمر لخبرٍ عاجل من السلطات الإنجليزية تفيد بأن الحادث كان أرهايبياً وليس لسببٍ آخر وأن منفذ الهجوم من أصل تونسي يدعى " وليد أزارو " ..، بالطبع عندما أخبرها المذيع بأن ما أعلنته السلطات الإنجليزية مخالفاً لما تحصلت عليه من معلوماتٍ أعتضت وأكدت صحة معلوماتها حول هوية منفذ الانفجار الأول في الملهى الليلي ولم يكن من المنطق أن تفصح عن مصدر معلوماتها، بالطبع كان الهجوم ضارياً على السلطات الإنجليزية على مواقع التواصل

الأجتماعي بسبب ألساق تهمةً كهذا لأسمًا عربيًا مسلمًا ..!، لكن المذيع فهم أن القناة وقعت في مشكلة تضارب الأخبار وأنهى تغطية ماريان للأنفجارين عمومًا..

كانت التاسعة مساءً حين وصلت ماريان للمحطة لفهم ما يجري ..!، وصلت لمكتب السيد ويلسون مدير المحطة..

● ما الذي يجري هنا سيد ويلسون!؟

رد عليها بسؤال..

● ما الذي تفعلينه أنتي يا ماريان!؟، لقد تسببتِ بمشكلة للقناة ولنفسكِ أيضًا ..!

أخرج ورقة من مكتبه ثم عرضها عليها، أكمل كلامه..

● لقد تم إصدار أمر باعتقالك ..!، لقد تسللتِ لمبنى الطب الشرعي دون إذن وقمتي بآنتحال شخصية طيبةً هناك ..!

قطبت ماريان حاجبها في تساؤل..

● كيف علموا بكل هذا!؟

● الكاميرات يا ماريان، أنسييتي أمرها!؟

زفت ماريان.. لقد نسيت أنه من الطبيعي وجود كاميرات في هذا المكان تكشف عن هويتها، أكمل ويلسون..

● ليس هذا فقط يا ماريان، الأتهام الأخير لكِ هو ضلوعكِ في التخطيط لذلك الانفجار الذي حدث بالقرب من مبنى الطب الشرعي..

قاطعته طرق أحدهم على الباب، أنها الشرطة أتت لتنفيذ أمر اعتقالها، أصطحبها المستشار القانوني للمحطة إلى قسم الشرطة، بعد ساعاتٍ من التحقيق معها تم أخلاء سبيلها ..!، وصلت لشقتها فجرًا وهي تترنح بسبب الأرهاق الذي نالته اليوم، ثواني وكانت قد غرقت في نوم عميق ..!

ما قطع تفكيرها رنين هاتفها، أنه السيد ويلسون..

● ماريان..؟!؟

سكنت للحظات ثم ردت عليه بصوتٍ مرهق..

● و من ستكون غيري برأيك؟!؟

أطلق ضحكةً خافتةً ...

● تبدين مرهقة، أم مازلتِ غاضبةً مما حدث بالأمس؟!؟

● ماذا أبدو برأيك؟!؟

● كلاهما..؟!؟

زفرت ماريان في ضيق، مزاجها لم يسمح لأن تتحمله..

● حسنًا.. ماهو سبب أتصالك سيد ويلسون؟!؟

● مهمةً جديدةً..

● أين..؟!؟

● العراق ..

لحظات الصمت كانت كفيلة بشرح الذهول التي بدت عليها ..!، لم تستوعب ماريان بعد ما قاله.. هي تنتظر منه أن يخبرها بأنه يمزح، سأله..

● لماذا تصمتين؟!؟

● ظننتك قلت العراق!..

تنهد ويلسون ثم أكمل..

● أصغي أليّ جيّدًا يا ماريان، أعلم أن حلمك كان العمل بقناة عالمية وها قد تحقق على الأغلب عندما عملتي معنا، لكن صدقيني حلم كل صحفي أو مراسل أخبار هو نقل خير القرن، بمعنى.. قد تتغير حياتك بسبب خير ما ..!، ولا أظن أن هناك مكانًا ما مليئًا بمثل تلك الأخبار التي قد تتغير حياتك بسببها لأفضل ما يكون.. خاصةً أنك موهوبة وتستطيعين تميّز تلك الأخبار المميزة..

تساءلت ماريان في نفسها.. ما هذا العبث؟!، يحاول أفناعتها بطريقة غبية..

● و لماذا العراق بالذات؟!، يمكن أن أرجع مصر.. فما زالت الأحداث هناك مثيرةً أيضًا!..

● لكن ماذا إن أخبرتك بأن هناك حروبًا ستقام بالعراق قريبًا؟!، سيتم تحرير محافظات العراق من تنظيم داعش قريبًا، أظن بأنك أكثر من تستحقين تغطية هذه الأحداث هناك..
سكت للحظات ثم أستطرد..

● و ربما يحدث شيئًا غير مألوفًا كما تحبين، ألم تعشقين تلك الأحداث الاستثنائية أثناء تغطية الأخبار؟!،

لم يتلقى جوابًا منها سوى الصمت، عمل على إنهاء المكالمة..

● حسنًا..، سأمنحك بعض الوقت للتفكير.. اليوم راحة لكِ عدا لو حدث شيئًا طبعًا.. فكري بالأمر وسأنتظر ردك، إلى اللقاء..

أغلقت ماريان الهاتف، يبدو كلامه منطقيًا، لكنها تحتاج لوقتٍ فعلاً للتفكير بالأمر، الأمر ليس بهذه البساطة لتقرر الآن!..

لم يكن من السهل عليها أن تعلم بوجوده في بلد ذات أرض خصبة للمعارك والقتال خصوصًا إن الاتصالات بينهما قد إنقطعت منذ فترة ليست بالقصيرة، كان قد مر على خطف الرئيس اليمني أسبوعين كاملين سرت فيها الاخبار على وتيرة واحدة وهي معارك بين الجماعة الحوثية وجيش التحالف العربي ...

كانت حالتها النفسية السيئة سبب قوي لتراجع تطور علاجها، إنتابتها أفكار سودوية حول مصير عمر هناك.. لا يمكنها أن تتخيل كيف ستكون حياتها بدون عمر إن أُستشهد في إحدى هذه المعارك.. لمن تحيا إذن؟!، هو الحياة بالنسبة لها.. هل يمكن للمرء أن يعيش دون حياته؟!، تريد أن تهب حياتها له كما وهب حياته لها!.. عادت بذاكرتها للوراء قليلاً ...

في الحافلة في طريق عودتهم للقاهرة بعد حضور حفل زفاف صديقيهما في سوهاج إنطفأت الأنوار في الحافلة ونام ركابها إلا منهما فقد بدا عليهما الأستمتاع بالليلة السالفة.. تبادل آسية بالكلام بعد صمت دام لدقائق..

- أتذكر حين سألتك عن سعادة الحظ التي ستظفر بك يوما ما!؟

نظر عمر إليها مبتسمًا، أكملت هي..

● حينها كنت أتعس خلق الله، سأتزوج رغماً عني والأتعس من ذلك كانت ستكون فتاة غيري هي من ستفوز بك

!..

رد عمر بتهمك..

- بالطبع فأنا فارس أحلام كل فتاة، ألا ترين وسامتي !!

- نعم فارس أحلامي أنا وأنا من فزت بك في النهاية ومن تقترب منك سأفترسها أو أقتلها بلا رحمة..

عقدت ذراعيها أمامها، فضحك عمر..

- أنا أستحقك، أنا من فزت بكِ وليس أنتِ ..!

ملأت وجهها ابتسامة خجولة، داهمتها لحظة صمت أطلت بعدها آسية على وجه عمر فوجدته هائم في النظر
لشيء ما أعجبه، فطلت برأسها هي الأخرى في إتجاه ما ينظر هو فوجدته ينظر لفتاة صغيرة تداعبه من بعيد فتفاعل
معها، وللحظة تمنيت لو أنها بخير لتجعله سعيدًا..

- تعجبك تلك الطفلة الصغيرة!؟..

- أحب الاطفال وأعشق الفتيات منهم ..

نظر إليها مبتسمًا ومشجعًا لها..

- أنتظر شفاؤك بفارغ الصبر، حينها سينعم الله عليّ مرة أخرى بعدما رزقني بكِ ..!

إحمر وجهها خجلًا مع ابتسامة زادت جمالًا، ثم أضاف عمر ...

- سأسميها مريم ..

عقدت حاجبيها في غضبٍ مفاجئ ...

- مريم!؟..!!، هذا إسم حبيبتك القديمة، اليس كذلك!؟

ضحك عمر بصوت كاد يوقظ من في الحافلة ثم وضع لها ...

- لا لا.. ليس هكذا ..

أسند رأسه للوراء وعيناه معلقتان بتلك الطفلة هناك..

● أنا أعشق السيدة مريم عليها السلام.. دائمًا ما كنت أتألم حين يذكر القرآن قصتها وكم فرحت عندما نصرها
الله نصرًا عظيمًا.. لقد سمى الله سورة بأسمها تكريمًا لها..

نظر إليها مجددًا..

● سَأَسْمِيهَا مَرْيَمَ...، حينها سترددت دعاء زوجة عمران حين أنجبت السيدة مريم (إذ قالت امرأة عمران ربِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فلما وضعتها أنتى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ، حينها سيحفظها الله من الشيطان الرجيم...

عادت لواقعها في المستشفى حين سمعت هي ووالدتها المذيع يلقي بخبر عاجل

" عاجل ... قوات التحالف العربي في اليمن تنجح في تحرير الرئيس اليمني المختطف من الحوثيين "

إرتسمت إبتسامة واسعة على وجهها وكذلك والدتها التي ظلت تردد دامعة ...

- الحمد لله ... الحمد لله..

بالطبع لم يكن هذا الخبر بحد ذاته هو من أفرحهم لكن طالما لم يُذكر أن هناك شهداء أو إصابات في الصفوف المصرية فهذا يعني أن عمر بخير وأن إنقطاعه عن الاتصال بهم هو مجرد إنشغال فقط بما يحدث هناك من مهمات، منذ قليل عادت من رحلة ذكرياتها معه، ربما لم تخترع البشرية آلة الزمن بعد لكن المرء قادر على السفر عبر ذكرياته.. إما لكون رحلة سعيدة أو مرهقة !..

الليلة الماضية ...

منذ أن أختطف الرئيس اليمني كُلفت الكتيبة المصرية بعملية إستخباراتية لمعرفة مكان أختطافه، وبالفعل نجحت العناصر المصرية بقيادة مصطفى سراج في تحديد مكان الرئيس المختطف وحن دور عمر في تنفيذ عملية تحريره كان اللواء صفوت قد قسّم كتيبته لربعها بقيادة مصطفى للمهمات الاستخباراتية وباقي كتيبته للمهمات القتالية بقيادة عمر، وضعت الخطة كاملة وتجهزوا لتنفيذها، كانوا يعلمون بمدى صعوبة هذه المهمة ...

كانت ليلة هادئة تسبق العاصفة القادمة، كانت الإجراءات الأمنية مشددة في مدينة البريقة في محافظة عدن اليمنية، وفي أحد منازل حي الزحف الأحمر يقطن الرئيس اليمني المختطف أسيراً في أيدي الجماعات الحوثية، تسللت المجموعة المصرية المنزل من أعلاه ونزلوا على سلم متخفي قد صنعوه الحوثيين من قبل، كان عمر مُلمًا

بكل مخابئ المنزل حسب المعلومات التي جمعها زميله مصطفى، نزل عمر هذا السلم الخفي مع عناصر قليلة من مجموعته إلى أن وصل الى نافذة لغرفة كانت نصف مفتوحة فوجد عمر الرئيس يجلس على أريكة لا حول له ولا قوة فتنبه الرئيس لشيء يتحرك وراء النافذة فظهر له رجل مقنع مختلفاً عن من قاموا بأختطافه فأشار له عمر بالسكوت كي يكمل مهمته، كذلك فهم الرئيس من إشارات عمر إنه من قوات التحالف أتت لتحرره، سأله عن عدد الموجودين في الغرفة فأجابته مشيراً بأصابعه متخفياً بخمسة أفراد في الغرفة ..!، أقتحم عمر الغرفة هو ومجموعته وما إن دخل حتى أعطى إشارة عن طريق اللاسلكي لمجموعة خارج المنزل بإحداث شغب كي يتمكن من تخفيف الضغط في المنزل وتحرير الرئيس ..

عند دخوله تبادل إطلاق النار مع الافراد المسلحة وبأسبقية المجموعة المصرية سقط مختطفي الرئيس قتلى، على الفور أحاطت هذه المجموعة الرئيس عند خروجهم من الغرفة في إتجاه المخرج وتزايد عدد قتلى الحوثيين، اعتمدت المجموعة المصرية على عنصري التشتيت والمفاجأة.. وفور خروجهم من المنزل توقفت سيارات ضخمة أمام المنزل فأسرعوا باتجاهها وأثناء إحاطة عمر للرئيس محاولاً حمايته أُصيب بطلقة في كتفه وسط إطلاق نار عنيف عشوائي ..!، فأسرعت المجموعة بإدخال الرئيس إحدى السيارات ودخل عمر معه لحمايته وانطلقت السيارات هاربة من جحيم الرصاصات والاسلحة الثقيلة التي بدأت تظهر حين بدا الوضع يتخذ شكل المعركة ..

عندما كانوا في السيارات في طريق العودة أخلع عمر قناعه وظهر العرق على جبينه.. كان يتألم بشدة بسبب الرصاصة التي أخترقت كتفه، حاول الرئيس الاطمئنان عليه لكن لم يكن بمقدور عمر إجابته لأنشغاله بألمه ..! بعد ساعتين من السير في الطرقات الوعرة وصلت المجموعة أخيراً للمعسكر وإستقبلهم اللواء صفوت وتهللت أساريره حين علم أن المجموعة بأكملها قد عادت سالمة دون شهداء ولكن الأصابات كانت بليغة وخصوصاً عمر المصاب برصاصة في كتفه بالإضافة للكدمات..، جري مصطفى بإتجاه عمر عندما رآه مصاباً لعلاج فيما أمر اللواء صفوت مجنداً بأتصاله بقوات التحالف لأعلامهم بنجاح المهمة وتحرير الرئيس ..

مضى يومان على المهمة الأخيرة وسط إشادة وثناء على مجهودات الكتيبة المصرية ترحيب من القيادة العربية، تسلمت قوات التحالف الرئيس اليمني من الكتيبة المصرية وعزمت المملكة السعودية على السماح للكتيبة المصرية بالرجوع لمصر وأنتهاء مهمتهم في اليمن لا سيما بعد أن عرفت الميليشيات الحوثية مكان المعسكر المصري وقد تحدث كارثة في قادم الأيام !..

تلك الأخبار أسعدت الكتيبة المصرية كلها، كان عمر يخطط لأن يفاجأها حين يظهر لها فجأة في المستشفى وكان أيضًا يمني نفسه في أن يتفاجأ حين يراها أنها قد تطورت في علاجها، لكن ما أفسد مخططه هذا هو مرور الساعة كالسنة.. لم يطيق الأنتظار لذلك قرر أن يُسعد نفسه الآن، قرر أن يسمع صوتها الآن.. لذلك فقد قرر الاتصال بها، شكل أرقامها عبر هاتفه وأتصل بها لكن لم يأتيه الرد منها !..!، زفر وقد غير رأيه.. سينام لتمر الساعات القادمة بسرعة، سيرها قريبًا.. هو متأكد من ذلك..

على الجانب الآخر كانت غرفة آسية خالية لا أحد فيها لكن هاتفها يرن باستمرار دون أن يسمعه أحد..

كانت تُمسك هاتفها منذ ليلة أمس عندما علمت أنه قد اتصل بها وهي لم ترد بسبب أنها تركت هاتفها في الغرفة.. لذلك لم تفارق هاتفها منذ أمس!..، فجأة وجدت هاتفها يرن من جديد.. أنه هو.. أنه عمر!..

● عمر!..، أهذا أنت!؟

قالتها بلهفة وأشتياق كبيرين، لم تصدق أنها تسمع صوته أخيراً..

● آسية.. كيف حالك الآن!؟

أتاه الرد غاضباً منها.. تبكي بحرقه وغضب...

● حالي!؟، الآن تسأل عن حالي!؟، أين كنت طوال هذا الوقت!؟

هي تدرك أنه ربما يكون منشغلاً وأنه في حالة حرب ربما لكن في بالها هذا ليس مبرراً لعدم اتصاله بها، حاول هو تهدئتها..

● آسفٌ يا آسية، أنتي تعلمين مدى أنشغالي هنا و...

قاطعته في عتابٍ واضح..

● آسف!؟ وبماذا سيفيد أسفك يا عمر!؟ لماذا تركتني هكذا أقلق عليك!؟، تركتني في وقت كنت في أمس

الحاجة إليك فيه!..، لقد أنقطعت فجأةً عن الاتصال بي!..

● لم أتعمد ذلك يا آسية.. كانت التدريبات هنا قاسية ومرهقة..

قاطعته مجدداً بلهجةً حادة..

● تدريبات في اليمن يا عمر!؟، منذ متى وأنت تكذب عليّ!؟

لم يتفاجئ عمر من معرفة آسية بالأمر.. لا بد وأن والدتها قد أخبرتها رغم تحذيره لها بعدم أخبارها ..

● لم أكن لأريد أن تنشغلين عن علاجك وتقلقين عليّ، آسف مرة أخرى..

لانت لهجتها بعد أن شعرت بأنها قد أثقلت عليه بالعتاب..

● كفى تأسفاً يا عمر، أنا من يجب أن تعتذر بسبب تلك العصبية..

سكتت للحظة ثم نطقت بتلك الكلمة التي يعشقها عمر..

● أحبك !..

ابتسم عمر ورد عليها في سرور..

● أحبك أيضاً، ولأكفر عن ذنبي هذا دعيني أن أخبرك بأن ساعاتٍ قليلةً فقط وسأكون أمامك مباشرةً !..

لم تصدق ما سمعته، تهللت أساريرها وظهر الفرح عليها جلياً..

● حقاً.. حسناً حسناً.. أنا مستعدة، وأنا كذلك دعني أخبرك بأنني قد تطورت حالتي كثيراً، أما عن إلى أي مدى

فهذا سأتركه حين تراه بنفسك ...

كانت والدتها تقف بجانبها والسعادة تغمرها هي الأخرى.. كادت تبكي فرحاً بسبب سعادة أبنيتها ورجوع عمر

قريباً..، سمعت صوت أحدهم وهم يستعجل عمر..

● حسناً عليّ إنهاء المكالمة الآن.. عليّ أن أركب الطائرة الآن وإلا تركوني هنا..

● حسناً وأنا سأنتظرك..

أغلقت آسية هاتفها وقلبها لا يتوقف عن النبض بسرعة، تشعر وكأنه سيظهر في أي وقتٍ أمامها.. وربما الآن،

فكرت في كيف أنه سيكون سعيداً حين يعلم أنها تسير لوحدها ولو ثواني.. تطورت حالتها أكثر، مهلاً.. لديها

جلسة علاج الآن .. ستبذل أقصى ما في وسعها لتسعهده.. لديها أمل يكفي لأن تصدق أنها ستعود كما كانت في هذه الجلسة بالذات ..!

أما عن والدتها فهي كانت في غاية السعادة حين رأت الأصرار على العلاج هكذا بعد تلك المحادثة بينهما وتمنت بكل جوارحها أن يعود عمر بسرعة.. لمجرد أنه أخبرها فقط بأنه سيعود خلال ساعاتٍ قليلة تملكته كل تلك الحماسة.. فكيف سيكون الأمر حين يكون هو معها هنا؟!، للحظة شعرت بأنقباض قلبها فجأة وتبدلت تعابير وجهها للقلق، الوقت ينفذ منها ولا بد من تواجد عمر هنا في أقرب وقتٍ ممكن.. قد ينكشف سرها في أي لحظة وحينها من سيعتني بأبتها؟!، حاولت طرد هذه الفكرة من تفكيرها.. سيعود عمر خلال ساعاتٍ وسيعتني بأسية.. هي تثق بذلك..

شعرت بالغثيان فجأة.. لقد حان وقت نوبات مرضها، لكن لا أحد يعلم بذلك ولا حتى أبتها.. لذلك هي تمنى لو يرجع عمر بسرعة ليعتني بأبتها، ستطمئن عليها بوجوده في حال لو حدث شيئاً لها..

أسرعت ناحية غرفة آسية.. أغلقت الباب وأسندت ظهرها عليه.. بدأت تفقد وعيها تدريجياً وشعورها بالقيء مع صداع بسبب صوت صفير في أذنيها وتتشوش رؤيتها بالتدريج، تشنجت أعصابها وأصبحت تتلوي أرضاً فاقدة وعيها ..!

لحظات وجدت نفسها تسمع طرق على بابٍ ما.. أستعادت وعيها فأدركت أنها قد أستفاقت من نوبة مرضها.. مازال أحدهم يطرق الباب وقد بدا عليه القلق بسبب غلق الباب من الداخل وعدم أستجابتها هي..، أسرعت لتجيب على أبتها التي أتابها القلق بسبب عدم وجودها بجانبها ..!

● آسية.. أنتظري دقيقة رجاءاً..

أسرعت لتنظف الأرض من أثر قيئها وغيرت ملابسها بسرعة كي تظهر أنها فقط كانت تغيير ملابسها..

مرت الأمور بسلام ولم تلاحظ آسية كالعادة أي شيء.. الجميع منشغل بعودة عمر المرتقبة خلال دقائق من الآن وخاصةً آسية التي أنتهت من جلسة علاجها للتو وتستعد للقاء الغالي..

أقلعت الطائرات المصرية شمالاً باتجاه العاصمة صنعاء ومنها للعودة لمصر، فجأة اهتزت الطائرة التي يتواجد بها اللواء صفوت ومساعدته مصطفى، توجهها كلاهما نحو غرفة القيادة..، خفق قلب اللواء صفوت وسأل قائد الطائرة بدعر ..

● ماذا حدث ..؟!

رد عليه قائد الطائرة والذعر بادياً عليه جلياً..

● لقد أعترض طريقنا صاروخ مضاد للطائرات.. يبدو أن الحوثيين قد أستولوا على هذه المدينة أيضاً..

سأله اللواء صفوت ..

أين نحن الآن بالضبط!؟

في مدينة حجة.. يفصلنا عن العاصمة صنعاء عشر دقائق فقط..

تكلم مصطفى الذي تملكه القلق..

هذا أن أستطعنا الهروب من هنا أولاً..

أمر اللواء صفوت قائد الطائرة بأن يتصل بمطار صنعاء لكن لا أحد يجيب.. كرر الاتصال لكن النتيجة نفسها..، فكر في حل للخروج من الأزمة لكن عقله لا يستطيع التفكير الآن.. كل ما يأتي لعقله هي تلك الكوارث التي ستنتج.. إما أسرى في يد الحوثيين أو تحطم الطائرات في هذه المنطقة السكنية وأستشهادهم هذا بالإضافة لهؤلاء المواطنين اليمنيين الذين سيموتون نتجية انفجار الطائرات وفي كلتا الحالتين ستحدث أزمة سياسية جديدة..

أقترح عليه مصطفى حلاً..

سيدي.. ماذا لو عدنا لمعسكرنا ونطلب المساعدة من قوات التحالف!؟

أقترح يستحق التفكير فيه ولو قليلاً.. قد تكون قوات التحالف تركت المعسكر وبذلك ليس من الحكمة العودة للمعسكر في عدن لأنهم ربما يكون الحوثيين قد أستولوا على المكان وبذلك سيقعون أسرى في أيديهم، وفي نفس الوقت تبدو فكرة الطيران نحو مطار صنعاء خطيرة.. لا أحد يجيب هناك وربما يكون أيضاً قد أستولى عليها هؤلاء الحمقى.. لكن لا وقت لديه.. عليه أتخاذ قرار سريع.. هو لا يستطيع التفكير في أي حل الآن..، أي قرار سيكون مجازفة على كل حال..

أذن.. العودة للمعسكر يبدو الحل الأمثل فعلاً..

وجه أوامره لقائد الطائرة ..

عد بنا لمطار عدن حالاً ..

هنز قائد الطائرة رأسه أيجاباً ثم ضغط على زر الأتصال بالطائرة الأخرى.. لكن الصدمة هنا أن الجهاز أصدر تشوشاً.. لقد فقد الأتصال بالطائرة الأخرى !

أهتزت الطائرة بعنفٍ أشد هذه المرة مما أسقط اللواء صفوت ومصطفى أرضاً وسمع صوت صفير أذار في الطائرة كلها.. أنها المحركات..

فاجئه قائد الطائرة..

سيدي.. الطائرة الأخرى قد سقطت ..!

لقد سُئل تفكير اللواء صفوت في هذه اللحظة.. ماذا عليه أن يفعل أو يقرر؟!.. لا يستطيع الهبوط بالطائرة في هذه المنطقة لأنقاذ عمر وبقية الكتيبة.. أنها منطقة سكانية وكفى أن الطائرة الأخرى قد سقطت وستحدث الكثير من الضرر، ولا يستطيع الهروب من هذا المكان أصلاً بسبب هذا القصف العشوائي..

ذلك القصف العشوائي لم يُمهّل اللواء صفوت التفكير في اختيار أي طريق يسلك أو الخروج من صدمته.. لقد أهتزت الطائرة هزة عنيفة أفقدتها مروحياتها... لقد أشتعلت النيران في مؤخرة الطائرة وسقطت هي الأخرى..
أنتهت مهمتهم في اليمن رسمياً.. أنتهت بموتهم ... !

كان عمر في الطائرة الأخرى قد صنع من ذكرياته آلة زمن لتمر ساعات عودته سريعاً.. وفعلاً.. فقد عاد لماضيه أسرع مما عاد لوطنه..

لم يحتطفه من ذكرياته سوى أهتزاز الطائرة بعنف ليجد نفسه طريحاً على الأرض.. وقف سريعاً لاستعادة توازنه وتوجه مسرعاً نحو غرفة القيادة.. وعندما دخل غرفة القيادة وجد الأضطراب والقلق باديان على وجه قائد الطائرة.. تبدو الأمور مرتبكة هنا.. تساءل في دعر ...

ماذا حدث !؟

رد عليه قائد الطائرة ..

نتعرض لقصف عشوائي من الحوثيين..

نظر عمر أمامه فوجد أن الطائرة الأخرى تحاول المراوغة..، أمر قائد الطائرة بأن يصله باللواء صفوت في الطائرة الأخرى لكنه تفاجأ بأن الاتصال قد انقطع به..

ذلك القصف لم يمهله التفكير حتى.. هزة أخرى أفقدت الطائرة مروحياتها وأخذت طريقها في التهاوي.. عمر يتخبط في جدران الطائرة يميناً ويساراً.. وأخيراً سقطت الطائرة أرضاً.. ثواني ولحقت بها الطائرة الأخرى لتحدها انفجاراً هائلاً في المنطقة.. لقد أنتهى أمرهم جميعاً..

كانت تشوق لمغامرةً جديدةً في حياتها.. ليس من ذلك النوع من الناس الذين يفضلون رتابة حياتهم أو عملهم ..!، كانت ترغب بحياةً مختلفة عن الجميع ولطالما كانت حياتها فعلاً مختلفة.. كانت تبحث عن الفرصة بنفسها.. آمنت أنه ليس من الجيد أنتظار الفرصة لتأتيها.. بل عليها البحث عن الفرص وأن لم تجد ستصنع واحدة ..!

لذلك ورغم أختلافها مع ويلسون إلا أنها أقتنعت برأيه، لا تعلم أن كان هذا رأيه فعلاً أم أن هناك من لا يرغب بوجودها في المحطة، حتى وأن كان الاحتمال الثاني أقوى سيكون ويلسون شخصاً ذكياً.. لأنه حينها يكون قد تعامل مع المشكلة بذكاء شديد.. أبعدها عن المحطة تماماً وفي الوقت ذاته لم يخسر مجهودات ماريان الرائعة ..!

كان أمراً آخر يشغل بالها.. والدتها ..!، حين علمت بعملية نقلها للعراق رفضت الفكرة رفضاً تاماً وأمرتها بتقديم أستقالتها والعودة للعمل مع عمها في القناة التي يملكها لكن المشكلة هنا أنها لم تعلم بذلك إلا عندما أقلعت الطائرة من مطار لندن متجهةً للعراق، أغلقت الهاتف بعدها كي لا يزعجها أحد وتضع الجميع أمام الأمر الواقع، لقد علمت والدتها بالأمر عندما زارت ثروت في القناة لتتأكد من تلك الشائعات التي تُثار حول أبنيتها في لندن

كانت في طريقها لمكتبه لكنها توقفت بالقرب من الباب عندما سمعت أنه أحدهم جاء بسيرة ماريان.. تعرف هذا الصوت جيداً.. أنها شيرين ..!، كان حديثهما حاداً وكأن هناك مشكلةً بخصوص ماريان، صُدمت عندما علمت أن أبنيتها في طريقها للعراق ودفعت الباب بعنف وصبت كامل غضبها على ثروت لأنه لم يعلمها بالأمر سابقاً.. حاول جميعهم الاتصال بها لكن ماريان لا تجيب.. يعلمون كم أن ماريان عنيدة ولن ترد على أحدهم كي لا يوبخها.. لقد أتخذت قرارها على أية حال، راسلتها شيرين على الفيسبوك وشرحت لها ما حدث منذ قليل ..!

كان يومها شاقاً.. وصلت بغداد في العاشرة صباحاً ثم سافر الطاقم كله بسيارة المحطة إلى الموصل عبر طريق بري ..!، أخرجتها سارة من تفكيرها حين توقفت السيارة.. لقد وصلوا أخيراً.. ترجلت من السيارة لترى مسكنهم الجديد هنا.. يبدو جيداً!، نظرت في ساعتها فوجدت أنها قد تجاوزت العاشرة مساءً.. اثنتي عشرة ساعة تقريباً

سفر بالسيارة.. كم كان هذا مرهقًا، في حقيقة الأمر هي لا تفكر بشيء الآن سوى إيجاد السرير لأحتضانه ..!،
عليها أن تتقبل أنها في العراق.. وستفعل..

عاجل ... رسميًا القوات المصرية المشاركة في التحالف العربي باليمن تغادر البلاد في طريقها للعودة لأرض
الوطن..

أفرحها ذلك الخبر كثيرًا وجعلها تزداد أبتهاجًا عندما سمعته من قناة أخبارية، فهي تعلم مسبقًا بذلك لكن كون أن
الخبر قد عُرض في التلفاز فهذا يعني أنه قد أوشك على الظهور وعليها أن تتجهز حالًا لأستقباله..

و خلال لحظاتٍ فقط كانت على أتم الأستعداد، تتطلع على النافذة.. تتسارع نبضات قلبها متوقعةً ظهوره في أي
لحظة وهي تلعن كل لحظة تجعلها تنتظر.. بل وكل لحظة أبعدها عنه..

مرت الدقائق كالساعات.. تمر الساعة تلو الأخرى وهي تنتظر دون فائدة.. بدأت تئأس ويخيب ظنها.. متى
سيعود؟! لقد وعدني بأنه سيكون أمامي خلال ساعاتٍ قليلة..!

عندما حلّ الليل دون جديد أعلنت دموعها الحضور بدلًا عنه.. لم تتحمل ذلك الأخفاق أيضًا.. حتى في لحظة
الأخفاق تلك كانت تأمل أن يظهر أمامها فجأة فتقوم بمعاتبته لكنه لم يظهر أيضًا.. لن يأتي، فهي تتصل به منذ
الصباح لكن هاتفه مغلق ..!، تحاول والدتها تهدئتها عندما ربت على كتفها..

لا داعي للقلق هكذا يا آسية.. سيكون بخير.. أحساسى يقول لي هذا، ربما يكون قد حدث شيئًا ما سيأخره
قليلاً..

صاحت آسية بغضبٍ باكية ...

لماذا يعاقبني دائمًا بانتظاره؟!، أنا لا أستحق هذا..

دخلت نادبة الممرضة مسرعة ...

آسية.. أفتحي التلفاز بسرعة.. هناك خبرٌ يتم تداوله منذ ساعات ..!

أرسمت علامات الدهشة والقلق على وجه آسية ووالدتها، أسرع والدتها لفتح التلفاز وأخذت تنتقل بين القنوات بسرعة باحثةً عن قناة أخبارية..

المذيعة شيرين ...

.. مرت ساعات على حادثة اختفاء الطائرات المصرية في اليمن ..!، الغموض مازال يلتف حول الحادثة.. هل الطائرات المصرية أُختطفَت أم تحطمت ..!؟، في حقيقة الأمر أصبحنا لا نفهم أي شيء يحدث له علاقة بمصر ..!

صمتت المذيعة للحظات ويبدو أنها تتلقى معلومات جديدة من فريق الإعداد، يظهر شريط أخباري عاجل ...

" عاجل.. نقلاً عن القيادة العامة لقوات التحالف العربي ...

العثور على حطام الطائرات العسكرية المصرية في مدينة الحجة ...!

العثور على جثث متفحمة في المنطقة التي تحطمت فيها الطائرات المصرية ..!

لقد قتلها الخبر الأخير كما قُتل عمر.. لم تتحمل آسية الخبر فسقطت، أما والدتها فكانت تخشى ما كانت تنتظره ..!، وكما توقع والدتها فإن نهاية عمر أو موته تعني نهاية آسية ونهايتها هي كذلك ..!، لقد أنتهى كل شيء.. كل شيء ..!

في الصباح كانت الأمور كلها تسير على ما يرام ولكن سرعان ما تحولت تلك الأمور لكابوسٍ مزعجٍ للكتيبة المصرية..، فبعدها سعد الجميع بخبر أنتهاء مهمتهم رسمياً في اليمن وكانوا في طريقهم للعودة بدأ ذلك الكابوس.. حيث تمت مهاجمتهم على الحدود اليمنية السعودية وحينها قرروا العودة لمعسكرهم الذي كانوا فيه قبل ساعات في محافظة عدن..، لكن القصف العشوائي لم يُمهلهم التفكير في حل للخروج من الأزمة.. أُصيبت الطائرات بتلك القذائف وهوت كلتاها لكن قبل وقوعها أستطاع اللواء صفوت ومصطفى النزول من الطائرة بالمظلات أما عمر فقد تم أنقاذه قبل انفجار الطائرة بثواني..

سقطت الطائرتان وتم أنقاذ من يمكن أنقاذه.. أما البقية فقد أحترقوا بعد الانفجار شاملين معهم أغلب سكان المنطقة..، أما من بقي حياً فأسرعت الجماعة الحوثية بالقبض عليهم وأجبارهم على ركوب سيارات نقل صغيرة لنقلهم لمكان اعتقالهم، كانت أعدادهم غفيرة بالعدد الذي لا يسمح بأي مخاطرة من الكتيبة المصرية للمقاومة.. و بعد معاناة لأربع ساعاتٍ متواصلة تحت أشعة الشمس الحارقة وتعتيم أعينهم وصلوا أخيراً للمكان المقصود..، وصلوا لمكان بلغت الشدة الأمنية فيه أقصاها أو أنهم تعلموا من خطأهم السابق حين كانت هناك ثغرات سمحت بتهرب الرئيس.. فكوا العصابات عن أعينهم فور وصولهم.. نزلوا من العربات محاطين من الجانبين بممر بشري مسلح يسرون خلاله، تم أنقيادهم لمبنى مجهول وعند دخولهم المبنى نزلوا عبر الدرج إلى قبو..!، كان يبدو هذا مكان اعتقالهم، تم الزج بهم في سجونٍ واسعة..

كان اللواء صفوت يفكر في كيفية الخروج من هذا المأذق، ليس وحده.. عمر ومصطفى يفكران أيضاً في الاحتمالات القادمة..

بادر مصطفى بسؤال اللواء صفوت..

سيدي.. ماذا برأيك سيفعلون بنا!؟

رد اللواء صفوت ...

سيحتجزونا لساعات ..

حتى تتفاوض قواتنا المسلحة معهم !؟

هذا احتمال ..، وأحتمالاً آخر أن تغضب قواتنا المسلحة وتقوم بمهاجمتهم .. سيتضح كل شيء خلال ساعات ..

تدخل عمر في الحديث ..

أو سيستخدمونا للمساومة مثلاً، لإعادة شرعية حكمهم للبلاد مجددًا ..

ساد الصمت بين ثلاثتهم للحظات ثم هز اللواء صفوت رأسه نافيًا ..

المشكلة ليست في هؤلاء الحمقى .. ليسوا أذكىاءً كفايةً لصنع فخٍ هكذا لنا، مخاوفي تزداد لو ما أفكر به صحيحًا ..

فزع مصطفى من الاحتمال الذي خطر على باله ..

مستحيل .. أيمن أنهم ..

قاطعه عمر مجيبًا أياه بأستياء ..

صحيح .. ما تفكر به صحيح ..!

كان يجلس في مكتبه بوقار حين كان ينتظر بفاغ الصبر البدء في تنفيذ الخطة التي رسمها..، ظل حسين أياز رئيس المخبرات الإيرانية يتابع القنوات الأخبارية كالعادة بشروء، فجأة رن هاتف مكتبه الداخلي.. أنها مساعدته الخاصة تستأذنه لأبصاله بشخص معين كان هو قد أوصاها عندما يتصل أن تصله به، أنتظر لثواني قبل أن يتكلم ذلك الشخص..

مرحبًا سيدي..

مرحبًا.. هل من جديد!؟

بالتأكيد سيدي.. لقد تمت المهمة بنجاح..

كم عددهم!؟

صمت المتكلم للحظة ثم أكمل..

لم نفقد الكثير منهم..

أين هم الآن!؟

في المكان المتفق عليه..

حسنًا.. عليك أن تحتفظ بهم هذه المرة.. لا أريد أي خطأ أن يحدث!..

بدا المتحدث خجلًا بعض الشيء..

لا تقلق سيدي.. المكان مؤمن هذه المرة بدرجة كافية..

آمل ذلك.. على الأقل لحين إرسال الدعم لتنفيذ باقي المهمة..

حسنًا سيدي.. أنا أنتظر..

أغلق الهاتف وأرتسمت الأبتسامة على وجهه.. تسير خطته على مايرام، ما أخرجه عن تفكيره مرةً أخرى مساعدته الخاصة عندما أستئذنته بالدخول..

سيدي.. لديك اتصال سري من الدرجة الأولى..

قطب حسين حاجبيه.. اتصالٌ سري؟!.. لا يمكن أن يكون من المخابرات المصرية.. يا لحماقة هؤلاء الرجال – الحوثيين – لو كان الاتصال من المصريين..

حسنًا أنا قادم...

خرج حسين من مكتبه وسار عبر أروقةً خاصة حتى وصل لغرفة الاتصالات السرية، دخل الغرفة وتوجه ناحية شاشة الاتصال التي تستعملها أجهزة المخابرات للاتصال ببعضها، بادر المتصل بالتحية..

مرحبًا سيد حسين..

تقمص حسين دور المتفاجئ..

أوووووووه سيد شريف؟!، مرحبًا مرحبًا.. لعل سبب اتصالك يكون خيرًا أن شاء الله..

خير؟!، أنتم من ستحددون هذا.. خير أم لا..

بدا على حسين الأستهانة بخصمه...

حقيقةً أنا لا أفهمك سيد شريف، عما تتكلم؟!!

حاول شريف التحكم في أعصابه.. الأمر لا يحتاج لأثارة أعصابه..

الحقيقة الوحيدة هنا هو أنك تفهم سبب اتصالي، ولا أفضل أن ندخل في معركة كلامية..

دعني أذن أعرف سبب اتصالك سيد شريف..

بدا صوت شريف يشويه الحدة والغضب ..

أسمعني جيداً .. ما تفعلونه لن يمر بسلام وأعتقد أنك تعلم جيداً قيمة ومكانة المخابرات المصرية .. لا أظنك أنك
تظن أننا سنقف مكتوفي الأيدي ..

رد عليه حسين بنفس نبرة الغضب ..

أسمعني أنت يا هذا .. أنتم الآن تحت أيدينا .. لستم في وضع يُسمح لكم بتهدينا ..

ظهرت أبتسامه ساخرة على وجه شريف ..

أذن أنتم فعلاً من قمتم بهذا ..، على كل حال أردتُ التأكيد قبل أن أتخذ أي ردة فعل ..

ضحك حسين من مكر خصمه ..

لقد أوقعت بي يا رجل .. تهانيّ لك ..

ساد الصمت للحظات فكسره شريف مجدداً ..

أذن .. ماذا تريد !؟

هز حسين رأسه راضياً عما قد وصل إليه ..

هكذا يكون الكلام سيد شريف ..، أنا لم أقم بخطوتي التالية بعد .. خدمة صغيرة أن فعلتها من أجلي وأتفقنا على
كل شيء سأقوم بتأجيل خطوتي التالية لحين التأكيد رسمياً من تنفيذ ما أتفقنا عليه وحينها ستعود الأمور كما
كانت ..

ساد الصمت للحظات .. أدرك شريف ما يريد حسين، وأدرك حسين أيضاً أن عليه أكمل كلامه وتوضيح طلبه ..

الأفراج عن المعتقلين الإسلاميين وبالتأكيد أنت تفهم من أقصد ..

كما توقع شريف .. فهؤلاء الإيرانيين قد صنعوا فخاً لهم وسيساومونهم على شيء هكذا ..

لكنك تعلم جيداً سيد حسين أن طلبكم مرفوض.. مرفوض حتى لمجرد التفكير فيه..

بدا على حسين أنه مسرور بالحديث.. لقد وصل إلى ما يرمي إليه..

من المنطقي أن ترفضوا طلبنا..، حسناً أنا لا ألوّمك على اختيارك سيد شريف، لكن من حقلك معرفة أن الخطوة التالية سيتم تفعيلها تلقائياً أن لم أتدخل أنا لأيقافها الآن..

سيد حسين.. لا تصنع أزمة بين البلدين.. لا تقدم على فعل شيء ربما تندمون عليه لاحقاً..

للمرة الثانية عليّ أن أخبرك بأنك لست في وضع يسمح لك بالتهديد سيد شريف..!

نظر حسين في ساعته إشارةً لرغبته بإنهاء الحديث الآن..

حسناً سيد شريف.. أعتقد بأنه ليس لدي وقت لأضيّعه معك في نقاشٍ تافه.. لدي أمور أهم عليّ القيام بها الآن..

أراد شريف أن يختم كلامه بتحذيره..

دعني أخبرك شيئاً أخيراً سيد حسين.. لا تستهين أبداً بدولتنا وصدقني لو حدث مكروهًا ما لجنودنا أو لم يعودوا.. لن تمر الأمور عندكم بسلام..

لوح حسين بيده مودعاً أياه بسخرية، وحينما أنهى الاتصال وقف مُفكراً في تهديد شريف.. زفر وأخذ يلعن الحوثيين الذين دائماً ما يتركون أثراً ورائهم.. يا لهؤلاء الحمقى، لقد فقدت الخطة واحداً بالمائة من سرّيتها، لا يهم.. الأمور تسير على مايرام، خرج من غرفة الاتصالات عائداً لمكتبه، رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً سريعاً.. نفذ الخطوة التالية..

أغلق الهاتف وأسند ظهره للوراء.. يشعر بنشوة الانتصار..

في الجهة الأخرى يجلس شريف في أجماعٍ مصغر مع أعضاء مكتبه، بادر أحدهم بالكلام..

ماذا لو قمنا بتسريب الخبر لأعلامٍ مثلاً؟!، بذلك سنقوم بفضح نواياهم قبل أذية ما تبقى من جنودنا..

هنز شريف رأسه نافيًا ..

سيكون هذا مجرد ألتفافٍ ومراوغةٍ منا لعدم أبراز فشلنا في حماية جنودنا.. هكذا سيفكر الرأي العام المصري

!..

سأله نفس الضابط..

و ليس من المنطقي أيضًا أن نكتفي بالمشاهدة ..!، لا أظن بأن هذا مجرد تهديد سيدي، بالتأكيد سيستخدمون

جنودنا..

رد عليه شريف ..

ليس بإمكاننا فعل شيء الآن.. علينا الأنتظار..

تدخل أحدهم..

و هم يريدون ذلك سيد شريف.. بالتأكيد سيستخدمون جنودنا..

دعونا ننتظر يا سادة.. لن يطول الأمر حتى نرى ما سيحدث، هم متعطشون لأنتصار علينا، لكن ما أؤكد أنهم لن

يفلتوا بفعلتهم أيًا كانت..

سيطر القلق على هذا الأجماع الذي أستمر في الأنعقاد كل ثلاث ساعاتٍ تقريبًا لمتابعة أي تطورات أو أقترحات

جديدة ...

اليمن ...

لنصف ساعة تقريبًا وهم يشعرون بتحركات مريبة في الخارج.. ربما هي إجراءات الأفراج عنهم مثلًا؟! أو أن التحالف العربي يسعى لتحريرهم من قبضة هؤلاء المليشيات ، لكن بمرور الوقت يزداد الأمر ريبة ..!، إلى أين ستسير الأمور أسوء من هذا؟! ..

أما عن عمر بالذات فكان كلما شعر بالخوف أو القلق يفكر فيها.. لقد أفقدها كثيرًا.. هل تطورت حالتها..؟!، وما أقسى القدر حين يباعد بين روحين..

ما أنتزعه من أفكاره هو صوت فتح أبواب السجون وتلك الاضطرابات بالخارج.. حاول جميعهم فهم ما يحدث بالخارج لكنهم تعرضوا للدفع والعنف من هؤلاء المرتزقة.. تم أنقيادهم للخارج وأجبارهم للجلوس على ركبهم في ساحة كبيرة وتم أحاطتهم جميعًا بأفراد تلك المليشيات المسلحة..، تمر الساعة تلو الأخرى والوضع كما هو .. لا جديد.. لا يعرفون سبب جلوسهم هكذا..

كان الليل قد حل بعد جلوسهم هكذا لساعات.. لا طعام ولا شراب منذ الصباح.. الجميع مُرهق، فجأة ظهرت تحركات جديدة حولهم ..!، تلك العربات التي نقلتهم لذلك المكان قد جاءت مجددًا ..!، جال بخاطرهم جميعًا أن هؤلاء الحوثيين سيتلاعبون بهم أو أنهم سيتم تسليمهم لقوات التحالف العربي..، تم أجبارهم لركوب هذه العربات مجددًا ..!، في الطريق كانوا يعانون أيضًا ولكن هذه المرة من قسوة برودة الصحاري.. بعد ساعات مرت عليهم كالأيام وصلوا لمكان ما..

نزل من إحدى الطائرات جنود بزي زيتي.. عرفهم اللواء صفوت وأدرك مصيبة الوضع القادم، أنهم الحرس الثوري الإيراني.. أن كانت الأمور سيئة مع الحوثيين.. فكيف سيكون الأمر مع الحرس الثوري؟!، وكما توقع منذ البداية.. أنهم الطرف الأذكي هنا وليس الحوثيين الحمقى..، أقترب منهم على ما يبدو الضابط الأعلى رتبة بينهم.. قائد الحرس الثوري.. وقف أمامهم ...

ليقف أمامي قائدي الطائرتين حالًا..

بدا التردد واضحًا بين أفراد الكتيبة جميعهم..، جميعهم التفتوا لبعضهم، كرر قائد الحرس كلامه مهددًا أيهم..

ليقف أمامي قائدي الطائرتين حالًا.. يمكنني أخرجكم بسهولة.. لا تضيعوا وقتنا..

أومأ اللواء صفوت لأحدهم للوقوف..، وقف قائد الطائرة الوحيد الذي نجا، فهم أن الآخر قد مات أثناء سقوط الطائرة الأخرى فأشار إليه قائد الحرس بالقدوم نحوه ثم أمره باتباعه.. أيقن قائد الطائرة حينها أنهم سوف يُقتل أو سيتم إجباره على فعل شيء ما، وقف بجانب أحد الطائرات ليحادثه..

لن أعيد كلامي مرتين.. أصغي إليّ جيدًا.. ستركب الطائرة وستقلع بها حسب أوامرنا، كما أن هناك طائرتين خاصةً بنا ستقلعان بجانبك وسترافقك لمكان الهبوط.. أي محاولة للمراوغة.. صدقتني لن يحدث خيرًا بعدها..

سأله..

أين سنهبط..!؟

رد قائد الحرس في حزم..

ليس لدي أجابة.. عليك بتنفيذ الأوامر حرفيًا وإلا ستكون هناك عواقب وخيمة..

نظر الجندي للواء صفوت من بعيد.. حتى أن اللواء صفوت شعر بأرتباكه، بعد لحظات تم إجبار الجميع على السير نحو الطائرة ربما للمغادرة.. تساءل الجميع.. ألام ينوون هؤلاء الحمقى!؟

لم يكن أمامهم سوى أن يستغيثوا بما تبقى من قوات الأمن العراقية ليتم ترحيلهم لمصر، لكن هناك آخرون لا يرحبون بهم هنا في العراق ولن يسمحوا بأن يصلوا للأمن العراقي.. لا سيما في تلك المناطق التي يسيطرون عليها، غير مرحبون من قبل داعش..

كما توقع اللواء صفوت.. فإن الإيرانيين قد صنعوا لهم فخاً، منذ قليل تم إجبارهم على دخول المجال الجوي العراقي ثم قامت الطائرتان اللتان أصطحبتهما بأحداث الضرر في الطائرة التي أرغم المصريين في الركوب فيها وأجبروهم على استخدام المظلات للنزول من الطائرات التي سقطت.. ليس هذا فقط ما حدث.. فقد أُلقت هذه الطائرات الإيرانية المسلحة على المصريين وحينها أكتمل فخهم..!، أعطوهم أسلحة وأقحموهم في معارك لا شأن لهم بها.. حينها أدرك اللواء صفوت ومساعديه حجم المصيبة التي حدثت.. لقد تم توريث مصر في معركة ما بالعراق.. من سيصدق بأنه تم إجبارهم على دخول المجال الجوي العراقي؟! من سيصدق أن سقوط الطائرة وتسببها في أحراق عدة منازل وقتل المواطنين العراقيين ومن قبلهم اليمنيين لم يكن بسبب المصريين وإنما هذا من فخ الإيرانيين؟! من سيصدق أنه قد تم ألقاء الأسلحة عليهم لتوريثهم في معارك هنا في العراق؟!.. لقد تم إعداد الفخ بطريقة ذكية توحى للعالم كله بأن مصر تنتهك العروبة..

كانت الأمور هادئة في أولى لحظات نزولهم على أرض العراق.. لكن هذا لم يدم طويلاً.. لقد تم نزولهم في هذا المكان بالذات بعناية لهدفٍ ما ..

أرتبك الجميع عندما سمعوا صوت طلقات رصاصية من بعيد، وبعد ثواني أدركوا بأن هذا الصوت يقترب منهم.. أدرك اللواء صفوت كم الفزع والذعر اللذان سيطران على جنوده.. هذا شعور طبيعي فالقادم مجهول، صرخ فيهم اللواء صفوت وهو يحمل سلاحه لتحفيز جنوده على القتال.. لا سيما بعد أن أيقن تمامًا أن تلك الرصاصات الصادرة هي من تنظيم داعش.. لقد لمحهم من بعيد..

أسمعوني جيدًا يا رجال.. عقيدتنا كما تعلمون أننا لا نهاب أو نرهب الموت.. بل سيكون مرحبًا به إذا ما كان ينتهي الأمر بالشهادة.. نحن في ظرف أما أنكون فيه أو لا نكون.. أحياء أو شهداء.. أما أن نتصر أو نهزم بشرف..

أشار ناحية تلك العربات الداعشية القادمة من بعيد..

أن لم نقاتل هؤلاء الأوغاد أما أن يقتلونا أو يأسرونا ونُذبح في النهاية، وحينها سنكون أموات وليس شهداء.. ليس أمامنا خيارٌ آخر.. سنقاتلهم ونحصل على إحدى الحسنيين.. النصر أو الشهادة..

جرت الحماسة في جنوده.. رائع، هذا ما كان يريد بالضبط..، أما أن ينتصر وبعدها يستغيث بقوات الأمن العراقية ويغادرون البلاد.. أو أن يتم قتلهم حتى لا يتم توريط الوطن في مشاكل هي عن غنى عنها..

أما عن عمر فألصقت في ذهنه كلمتين فقط من كلام اللواء صفوت.. النصر أو الشهادة.. كم كان يتمنى في أن يحيا في زمن رسول الله وصحابته حينما كان المسلمون ينتصرون بسبب قلة ذنوبهم.. حينها لم يمتلك المسلمون لا العدد ولا العتاد لمجابهة عمالقة أمباطوريات التاريخ.. الفرس والرومان.. لكنهم أنتصروا بسلاح أقوى.. الأيمان بالله تعالى.. لم يهابون الموت قدر ما كانوا يهابوا ويخشون التفريط في حق الله، كان عمر متحفزًا لهذه الفكرة.. أما النصر أو الشهادة.. فكان أول المتقدمين وتبعه مصطفى ثم اللواء صفوت الذي أعاد شيء من التنظيم في صفوف جنوده..

بادر المصريون بالقتال عند ظهور عناصر داعش بوضوح لهم وتبادل الطرفان إطلاق النار بكثافة وبعد مرور ساعة من القتال المتواصل بينهما ظهر تفوق المصريين وتزايدت خسائر الطرف الداعشي مما ألهب ذلك حماسة المصريين وطاردوهم حتى في الشوارع الجانبية..

كان من الطبيعي أن تصل أصدااء تلك المعركة لوسائل الإعلام العالمية فأرسلت القنوات مراسليها لمدينة الموصل العراقية لتغطية المعركة.. وكلُّ يُفسر ما يحدث حسب توجهه.. وكانت في مقدمة تلك القنوات.. " BBC Arabic " وكانت ماريان الفائزة دائمًا بسباق التغطية وكانت أول من تصل لأرض المعركة لتغطيتها بعد أن

نقلت الخبر أثناء أنتقالها من مكان سكنها لمكان المعركة..، بدا كل شيء غريبًا بالنسبة لها في صباح هذا اليوم.. الجيش المصري في العراق يحارب الداعشيين؟!.. تساءلت كيف يكون هذا؟! وما علاقة هذا بذاك هنا في العراق؟!، عندما وصلت لمكان المعركة أسرع لتكون في قلب الحدث وليس الأكتفاء عن قرب.. لقد قررت تخطي كل حواجز الخوف.. وبعد أن رفضت سارة أو باقي الطاقم الأقتراب أكثر قررت ماريان أكمل الطريق بمفردها.. لم تأتي لهننا في العراق كي تكون كالأخرين.. ستقوم بمغامرة جديدة..

أخذت الكاميرا وذهبت بمفردها بعد أن طلبت من سارة ألا تبتعد بسيارة المحطة حتى لا تنقطع إشارة البث وأن تسعى لأخفائها بالقرب من هذه المنطقة..، قامت بشييت كاميرا عالية التقنية في قبعتها المصفحة وتركبهم وأسرعت هي لتكون في قلب المعركة..، كانت تؤمن بأن المغامرة وحدها هي من تعطي لحياتها معنى.. وكذلك ستعطي لقناتها الأسبقية في نقل الحدث..

أستمر المصريون في مطاردة العناصر الداعشية في الشوارع الجانبية إلى أن وصلوا لشوارع توجد في مقدمتها حواجز أسمنتية.. حينها راود اللواء صفوت الشعور بالقلق حيال هذا.. هل يمكن أن يكونوا قد وقعوا في فخ آخر؟!، وأن صح ما يظنه فأن عناصر داعش قد نجحت في نصب هذا الفخ لهم.. نجحوا في أستدراج المصريين لمعقلهم حيثُ عددهم الذي يفوق المصريين أضعافًا.. لقد أستدرجوهم هنا ليتسنى لهم قتل وتصفية المصريين بسهولة.. وفي الوقت الذي كان سيعلن فيه اللواء صفوت الأنسحاب فورًا من هذا المكان والهرب بعيدًا عن هنا فوجئ بأسطول من السيارات القادمة نحوهم من بعيد.. حتى لو حاولوا الهرب من هنا سيكون من السهل أصطيادهم في الشوارع الجانبية.. لقد تبدلت الأحوال في لحظة.. منذ لحظات كان المصريين هم من يطاردون داعش في الشوارع الجانبية.. والآن.. يحدث العكس تمامًا.. يا لسخرية القدر..

أدرك عمر حيرة اللواء صفوت.. لقد ظهر عليه جليًا القلق.. لا يعرف كيف سيتصرف في مثل هذا المأذق.. أغمض عمر عينيه وتذكر آسية.. تذكر عجزها وعلاجها.. فرحها وحزنها.. ضحكها وبكاؤها.. تذكر لحظة لقاؤهما الأول وكذلك لحظة الوداع.. لم يكن يعرف أنه لن يراها مجددًا، ردد في نفسه.. اللحظة الأخيرة أذن.. وداعًا آسية.. وداعًا أمي وأبي..

سيدي.. لا مفر أذن.. هذه النهاية.. فالنقاتل ونموت بشرف.. لن أسمح لهم بأن يذبحوني على الهواء مباشرة..
نظر اللواء صفوت ومصطفى لبعضهما.. وكلاهما التفتا إلى أفراد الكتيبة.. الجميع أبدوا استعدادهم للموت
أيضاً.. ليس بوسع أحدهم أن يُذبح ويُعرض على التلفاز في نشرات الأخبار.. فلتكن شهادة وليس موتةً عادية..
أذن لا مفر من ذلك فعلاً وأن كان ولا بد وأن نُقتل هنا فسنحدث خسائر في صفوفهم.. هذا ما دار في تفكير
اللواء صفوت ومصطفى.. أستدار اللواء صفوت ومعه مساعديه مجدداً لمواجهة الداعشيين في تلك الشوارع
الخرسانية أولاً والأحتماء في هذه المباني لحين وصول باقي الدعم الداعشي لمواجهتهم.. كالسباق.. لا بد من
أتمام خطوةٍ للوراء كي تنطلق بأقصى سرعة..، هي محاولة لكسب الوقت الإضافي فقط.. حمل الجميع سلاحه
وتوجهوا ناحية معركتهم الأخيرة..

أجتاز المصريون الحواجز الخرسانية دون مشاكل وهذه هي المشكلة الأكبر.. لقد توقعوا أن تكون هناك مقاومة
لكن لا شيء حتى وصلوا لمنتصف إحدى هذه الشوارع.. حينها فقط أدرك الجميع أنهم وقعوا في فخٍ ثالث في
يوم واحد فقط.. للحظة كان الشارع هادئاً لكن ما أن وصلوا لمنتصف المسافة حتى أنهال عليهم الرصاص وسقط
العديد من المصريين قبل أن يدركوا الوضع.. لقد تم حصارهم في منتصف الشارع.. بسرعة تشتت المصريين في
كل مكان وبعد دقائق اشتد القتال وأرتفعت كثافة الرصاصات المتراشقة في كل مكان حتى لجأ المصريون
للأختباء والأحتماء في البنايات التي حولهم، لقد تحول الوضع لجحيم..

كانت المعركة يتم نقلها مباشرةً عبر القنوات والمحطات العالمية وجميعهم تبناوا مصدراً واحداً وهي محطة الـ " **BBC Arabic** " بفضل براعة ومهارة ماريان الذي يزداد صيتها يوماً بعد يوم.. نعم.. تسللت ماريان وسط
المصريين لتصوير أهم حدث في العالم وفي حياتها أيضاً..، كانت تفكر أيضاً بأنها ربما تعيش آخر يوماً لها.. أما
أن تُقتل في هذه المعركة أو أن يتم أختطافها من قبل الداعشيين وذبحها.. لكنها على كل حال تقوم بعملها
الأخير بأستمتاع.. تشعر بأن كان لها قيمةً في الحياة وأنها قد أدت رسالتها.. ستقوم بأكبر أنجازٍ في حياتها ثم
تموت وهي راضية عن نفسها..

كانت القوات الداعشية الداعمة قد وصلت بالفعل للشارع الذي يقاتل فيه المصريون وتستعد لأقتحام المكان وتلقين هذه القوات درسًا لن ينسوه.. لا أحد يجرؤ على مهاجمة التنظيم هنا في العراق بالذات، أصدر جهاز الأرسال الذي يمسكه القائد في العربة الأولى صوتًا..

هل سنقتحم الآن سيدي..؟!

رد عليه القائد محذرًا أياه..

نعم.. تقدموا لكن كونوا حذرين.. أريد هؤلاء أحياء وليس أموات.. هذا مفهوم؟!

نعم سيدي.. سنمسك بأكبر عددٍ منهم ومن يقاوم سيتم قتله في الحال..

بعد ثواني قليلة فقط سمع القائد هدير طائرات تحوم فوقه.. تساءل عن ما تفعله تلك الطائرات هنا الآن؟!، أنها طائرات قتالية..!

أسمع.. علينا الانسحاب حالًا، يبدو بأن المصريون سيلقون ترحيبًا خاصًا هنا..

حاضر سيدي..

في حقيقة الأمر أنه ليس سعيدًا بسبب أن القوات المصرية سيتم ألقاء حتفهم عندما تقصف الطائرات الأمريكية هذا المكان.. فالمصريون لا يعنون شيئًا بالنسبة له، هناك شخصًا آخر سيموت وبسبب هذا سيكون سعيدًا، حدّث نفسه...

منذ أن تم إنشاء هذا التنظيم العريق وأنا كنت فيه المساعد الأول واليد اليمنى لخليفة المسلمين.. لكن عندما جئت أنت هنا يا أبو عمار أخذت مكاني وتراجعت أنا خطوةً للوراء.. (ضحك بينه وبين نفسه).. سأتركك تواجه تلك القوات البائسة لوحدها وأن لم تُقتل منهم فتلك الطائرات الأمريكية ستولى أمرك.. وداعًا يا أبو عمار.. كنت صديقًا رائعًا..(قالها بينه وبين نفسه ساخرًا)

تراجعت السيارات الداعشية للخلف وغادرت المكان بسرعة وفي الوقت الذي كانت تستعد فيه الطائرات لقصف الموقع برمته أنتهز اللواء صفوت الفرصة ليجمع ما تبقى من جنوده ويعلن الانسحاب هو الآخر لأي مكان لحين أنتهاء هذا القصف الذي على وشك الحدوث، تكلم عبر جهاز الأرسال ..

على الجميع الانسحاب فوراً تجاه أول الشارع.. أكرر على الجميع الانسحاب فوراً تجاه أول الشارع، سنتجمع هناك ونسحب فوراً من هذا المكان..

التفت مصطفى حوله متعجباً من هذا القرار المفاجئ.. كان مصطفى وعمر قد تشتتا بعيداً عن اللواء صفوت بسبب الهجوم المفاجئ من الداعشين منذ دقائق وهما الآن في أحد الشوارع الجانبية المتفرعة من الشارع الرئيسي.. لكن قد لاحظ مصطفى أن عمر قد أقترح إحدى البنايات وكان يستعد هو الآخر لأقتحام المبنى ومساعدته لكنه توقف وحاول الاتصال بعمر لاسلكياً ...

عمر.. عمر.. علينا الانسحاب فوراً.. عمر.. أجبني بسرعة يا عمر..

أتاه الرد سريعاً.. لكن ليس من عمر هذه المرة.. أنه اللواء صفوت ..

مصطفى.. أين عمر!؟

لقد أقترح إحدى البنايات سيدي.. سأفقده حالاً ونسحب فوراً..

سكت اللواء صفوت للحظات ثم أمر مصطفى..

مصطفى.. لا وقت لدينا.. انسحب فوراً ...

صُدم مصطفى من قرار اللواء صفوت وألحاحه بالانسحاب..

سيدي.. لا يمكننا ترك عمر هنا و..

قاطع اللواء صفوت غاضباً..

قلتُ لك أنسحب فورًا يا مصطفى.. المبنى الذي أقتحمه عمر فيه الكثيرين من الداعشين.. لا بد وأنه قد قُتل،
أنسحب حالًا يا مصطفى.. هناك هجوم على وشك البدء.. بسرعة..

رد عليه مصطفى بصوتٍ يشوبه الحيرة والغلبة على أمره..

حسنًا سيدي.. حسنًا..

قالها متألمًا وقد بدأت عينيه تستسلمان للدموع.. سترك صديقه هنا.. حتى لو مات فعلاً.. ما كان ليتمنى أن
يترك جثمانه هنا، لم يعرفه منذ وقتٍ طويل لكن شخصية عمر تجبر الجميع على احترامه.. لقد كسب حب
الجميع..، ليس للصداقة زمنًا يمكننا القياس به.. أنها قلوبٌ تحيا ببعضها ولبعضها..، حاول مجددًا أن يناديه لكن
عمر لا يجيب وجهازه يصدر تشويشًا لكنه لم يجيب.. يبدو أنه قد قُتل فعلاً..

رحمك الله يا صديقي.. رحمك الله

أنسحب مصطفى مسرعًا باتجاه بداية الشارع فوجد البقية هناك عدا اللذين قُتلوا، هرب الجميع بعيدًا..

البث الحي للمعركة ...

كان والد ماريان يجلس في الصالون يتابع أخبار العراق منذ أن علم بوصول ماريان هناك.. وعندما خرجت والدة
ماريان من المطبخ وجدت زوجها يحرق بذعر وخوف في التلفاز، التفتت هي الأخرى ناحية التلفاز ووقعت
أدوات المطبخ من يديها من الصدمة.. جثت على ركبتيها.. لم تتحمل الوقوف.. أبنتها في خطر..

كانت تتابع قنوات الأخبار منذ أن علمت باختفاء الطائرة المصرية في اليمن.. سمعت كذلك بما يدور في العراق
لكنها لم تكن لتتخيل أن ترى ما يشبه أبنها وهو يصعد درجًا ما يحمل سلاحًا ويقتل آخرين وكأنها تشاهد فيلمًا
مثيرًا.. بالتأكيد هو.. عمر أبنها، لا تعلم ما بوسعها أن تفعل.. أبنها سيقتل لا محالة وزوجها يعاني بجانبها من نوبةٍ
قلبية جديدة.. وحتماً سيموت هو الآخر عندما يعلم أن أبنه الذي غاب عنهم شهرًا لتأدية خدمته العسكرية يُقتل
أو يُذبح..، يكاد قلبه يحترق هو الآخر.. أحد أبنائه سيقتل الآن والآخر مختفي منذ أعوام.. حاله كحال يعقوب
عليه السلام.. فقد أبنيه.. فهل سيصبر مثل ما صبر يعقوب!؟

أيقنت بأنها لن ترى عمر ثانيةً لا سيما بعد كل تلك الأخبار التي تتحدث عن اختفاء الطائرات المصرية التي كانت ستغادر اليمن، كذلك تلك الأخبار التي يتم تداولها في مواقع التواصل الاجتماعي عن أن القوات المصرية تُقاتل تنظيم داعش في العراق .. كان يأتيها هاجس بين الحين والآخر بأنه سيتم القبض على عمر من قبل التنظيم ثم يذبحونه وينشرون مشاهد ذبحه.. لم تتحمل بشاعة الفكرة.. ستموت حينها بالطبع..

أما عن والدتها فكانت مصيبتها تتعاضم بمرور الوقت.. عمر مفقود وهي ستموت قريبًا ولن يبقى أحد ليرعى أبنيتها.. الجميع رحل وعمر كذلك سيرحل.. أثار المرض يظهر عليها بشدة.. على الأقل داخليًا.. سترحل هي الأخرى..

رن هاتف آسية عدة مرات لكنها لم ترد.. لم تكن في مزاج يسمح لها بأن تكلم أحد.. حتى لو كان المتصل هي صديقتها أمني، لكنها عندما علمت بأصرار صديقتها بأن تكلمها ووصول عدد المكالمات التي لم يرد عليها لرقم خيالي قررت أن ترد..

آسية.. أتشاهدين ما يحدث!؟

ردت آسية بصوتٍ هادي لا يبالي بشيء..

لا أريد أن أرى شيئًا يا أمني.. أرجوك أتركيني الآن، ليس في حال يسم ..

قاطعتها أمني ..

آسية.. عمر يظهر في التلفاز وهو يقاتل تنظيم داعشياً..

شهقت آسية من الصدمة وأرتمى هاتفها من يدها دون قصد.. تناولت جهاز التحكم وقلبت القنوات إلى أن وصلت لقناة تعرض مشاهد حية لأحدهم وهو يقاتل، أنه عمر فعلاً..، أطلقت صرخةً مكتومة.. كاد قلبها أن يتوقف..

البث المباشر ...

" ... معركة شرسة بين الجنود المصريين وعناصر تنظيم داعش في أحد ضواحي مدينة الموصل في شمال العراق .. كانت السيطرة واضحة من قبل المصريين بدليل أنهم وصلوا إلى معقل التنظيم أخيراً في أحد الشوارع المثلث في بدايتها حواجز خرسانية وأسمنتية !.. توقف القتال لدقائق بدا فيه وكأن المصريين يخططون لهجوم جديد..، عزموا على ما يبدو أفترام هذا الشارع لكنهم تلقوا وابل من الرصاص وسقط العديد منهم..، تشتتوا جميعاً وتوجهت الكاميرا بالصدفة وراء جنديان يقاتلان بضراوة شديدة.. انفصل الجنديان بضعة أمتار عن بعضهما.. كانت المراسلة قد أقتربت من أحدهما.. التفتت المراسلة بالكاميرا للخلف ووجدت أن الآخر ربما يلحق بصديقه الذي توجه بالمناسبة ناحية أحد المباني.. وجهت المراسلة الكاميرا مرةً أخرى ناحية الجندي حتى دخلت ورائه هذا المباني..

فجأة ظهر داعشي أمامهم فبادر الجندي المصري بقتله بسرعة..، بدأت عناصر داعش في الظهور الواحد تلو الآخر لكن سرعة البديهة لهذا الجندي المصري كانت رائعة، أحمتم المراسلة وراء الجندي فكانت الكاميرا تبث ما يحدث من وراء الجندي مباشرة..، ظل الجندي المصري يقاتل حتى اضطر لصعود درج هذا المبنى وعند كل منعطف يظهر داعشي ولحسن الحظ كان هذا الجندي هو من يبادر بالقتل أولاً.. أستمروا الحال هكذا إلى أن أهنز المكان بعنف ! " "

أقتحم عمر إحدى المباني على يقين بأن مصطفى والبقية سيلحقون به، لكنه لم يدرك بأن هناك فتاةً تتعقبه.. للحظة الأولى بدا وكأن المبنى مهجوراً.. إلا أنه لم يكن كذلك بعدما ظهر عناصر داعش الواحد تلو الآخر، وأخذ القتال شكله المعتاد وكانت الأسبقية لعمر دائماً..، كان يدرك بأن مهارته تلك لن تدوم وسيأتي صديقه مصطفى لمساعدته وفي النهاية سيكون مصير كلاهما القتل عندما يتكاثر الداعشيين هنا..

قاده القتال لصعود الطوابق التالية وكان كثافة الرصاصات تزداد عند كل منعطف.. وفي نفس الوقت كان يسعى لحماية تلك الفتاة التي ظهرت فجأة والتي تحتمي به من وابل الرصاصات المتراشق، لا يعرفها ولا يعلم من أين أتت بالضبط ولا يعلم أيضاً سبب أنشغاله بحمايتها..

كان وابل الرصاص هذا يوحي له بأنه ليس المصري الوحيد في المبنى.. لا بد وأن البقية خلفه يساعده ولكنه عندما كان يلقي بنظرة خاطفة في مدخل الدرج كان لا يجد أحداً.. حدث نفسه بأنه ربما يكون القتال دائراً في المبنى ذاته أو أن قوات داعش الداعمة قد دخلت المبنى وتدور بينهم وبين زملائه قتال شديد، أهتز المبنى بعنف شديد.. فكر عمر في أنه ربما يكون خيار داعش الأخير هو تدمير المبنى بأكمله والتضحية بعناصره القليلة الموجودة في المبنى مقابل أن ينتهي كل هذا الجدل..

البث المباشر ...

" ... وجهت المراسلة الكاميرا ناحية فتحة الدرج فوجدت أن عناصر داعش تصعد بسرعة تجاههم لكن ما أنقذهم هذه المرة هزة أخرى للمبنى كانت كفيفة بسقوط جزء من الدرج بهؤلاء الداعشين..، قرر الجندي المصري الأحماء في أحد الطوابق أخيراً.. وللحظ العاثر فقد ظهر له رجلين داعشين عندما كان يستعد للأختباء في إحدى غرف هذا الطابق لأستيحاب الأمر قليلاً..، خرجت الرصاصة من سلاح هذا المصري وأستقرت في رأس أحد الرجلين فيما هاجم الآخر الجندي المصري ودار بينهما عراقٍ جسدي فكان الغلبة لذلك الجندي أيضاً عندما حطم رأس الداعشي بحجرٍ ناتج من الأنقاض المتراكم نتيجة القصف الذي يتعرض له المبنى ! "

أستمر عمر بالصعود للطوابق التالية والوقوف عند كل منعطف حذراً من ظهور داعشين آخرين خاصةً وأنه يحاول أيضاً حماية تلك الفتاة خلفه.. كاد يسقط عندما أهتز المبنى بعنف هذه المرة فوجد أن جزء من المبنى قد أنهار

وأُسرع بالصعود لأعلى أكثر.. حينها ظن عمر بأنه أن لم يُقتل على يد تنظيم داعش فإنه سيُدفن تحت الأنقاض بعد لحظات مع تلك الفتاة.. قرر الأختباء في أحد غرف الطابق التالي لكنه فوجئ برصاصة كادت أن تصيبه ولكنها أستقرت في مدخل الطابق.. لا أرادياً أطلق عمر رصاصة ناحية الرجلين اللذان ظهرا له فجأة فأصيبت هذا الرصاصة أحدهما وقُتل.. فيما هاجمه الآخر..، لكَم الداعشي عمر ومسكه من خصره.. حاول عمر الأفلات وظل يدفعه الى أن وقعا معاً على الارض بجانب كومة من الأنقاض فتمكن عمر بالأمسك بحجارة وأفرغ غضبه وألمه في تحطيم مجموعة ذلك الداعشي الى أن قُتل..

البث المباشر ...

" كانت الكاميرا تهتز.. غير مستقرة بسبب تحرك المُراسلة باستمرار، ولكنها عندما أستقرت أظهرت الكاميرا أن الجندي وأحد رجال داعش يقفان وجهاً لوجه وبدا على الجندي التردد في استخدام سلاحه هذه المرة ..!، ظل هذا الوضع لثواني إلى أن رفع الجندي سلاحه أخيراً في وجه الداعشي لكنه مازال متردداً على ما يبدو.. مازال يحدثان ببعضهما..، فجأة بدا على الداعشي أنه يضحك بهستيرية.. تحدث مع المصري بلغةً ساخرة وبصوتٍ غير واضح لمن يشاهد ما يحدث مباشرة، أنزل الجندي سلاحه وهو مازال يحدث بالداعشي..، فجأة إنهال الداعشي على الجندي باللكمات المتتالية القوية مما أفقد الجندي توازنه وقد ظهر عليه إنه ينزف من فمه..، كان يحاول القيام وأستعادة توازنه إلا أن ذلك الرجل الداعشي لم يمهل لحظة فظل يركله في بطنه مرة ووجهه مرة وكان يبدو على الجندي الأستسلام التام أو عدم المقدرة على الوقوف حتى.. أمسك الداعشي الجندي من خصره ودفعه بقوة تجاه بابٍ زجاجي فتهشم الزجاج بعد أن أصطدم الجندي به.. بدا على الجندي وكأنه قد فقد قوته تماماً.. توجه الداعشي ناحية أحد أركان الغرفة وعاد وهو حاملاً لسكينة ناحية الجندي.. هنا إرتفعت الكاميرا من مخبأها ويبدو أن المُراسلة ستشكف أخيراً عن وجودها ويبدو أنها تريد منح فرصةً أخرى لهذا الجندي ليتدارك الأمر عندما تحركت هي تجاه الرجل الداعشي، وقفت في منتصف المسافة عندما لاحظت أن الرجل الداعشي

قد لاحظ وجودها، التفت الرجل إليها.. فاجته الأمر قليلاً ثم قام بضربها وأبعادها عنه، ظهر صوتها المتألم للجميع..، وعندما همّ الداعشي لأستئناف ما كان سيفعله ضربه المصري وأبعد السكينة عن يده ثم وجه له اللكمات.. بدت المعركة بينهما وكأنها متكافئة.. تبادلًا اللكمات والضربات، وبعد لحظات من القتال العنيف بينهما أستعاد الداعشي سيطرته من جديد على القتال وبدأ على الجندي أنه قد فقد وعيه عندما دفعه الداعشي نحو الحائط.. أمسك الداعشي السكين مرةً أخرى وأمسك برقبة المصري وهمّ بذبحه وظهرت الدماء على رقبة الجندي.. لكن على ما يبدو من أहतزاز الكاميرا أن للمراسلة رأيي آخر.. "

كان الشيخ محسن والد عمر يحدق بالتلفاز غير مصدق ما يُعرض عليه.. وعندما جاء مشهد ذبح ابنه سقط مغشياً عليه، كذلك صرخت والدة عمر صرخةً مدوية.. كادت هي الأخرى أن تفقد وعيها أو حياتها كلها لكن حتى هذا لم يكن بيديها.. الآن زوجها مغشياً عليه وأبناها أيضاً قد ذُبح...

أما آسية فبعد أن علمت بأن عمر لم يستشهد بعد وأنه ما زال حيًا لكنه مفقود هدأت قليلاً.. لكن عندما رآته في العراق فجأة.. كانت تشعر بأنها لاتشعر بشيء.. وجهها كان خاليًا من أي تعابير سوى تلك الدموع التي تنهمر دون توقف، أما والدتها فشعرت وكأنها ستفقد حياتها الآن..

البث المباشر ...

" ... عندما تقدمت المراسلة بحذر تجاه الداعشي كانت تمسك بعصا خشبية فضربته.. أوجعته تلك الضربة كثيرًا وأظهر لها وجهه البغيض وصب كامل غضبه عليها حين ركلها في بطنها ركلةً جعلها تهوي لآخر الغرفة.. تألمت بشدة، ثم أقترب منها وأصبح وجه الداعشي أمام الكاميرا مباشرة لكنه على ما يبدو لا يعلم حتى الآن أنه يتم تصويره، ويبدو أنه مسكها من قميصها ...

أنتظرنني هنا يا صغيرتي حالما أنتهي من ذلك الأحمق، دورك قادم..

ظهر صوتها باكياً ومتألماً..، التفت الداعشي مرةً أخرى ناحية الجندي المصري وأمسك بالسكين بيده اليمنى وشعر الجندي بيده اليسرة أستعداداً لذبحه.. لكنه فوجئ أن الجندي قد سدده له ضربتين في أسفل بطنه مما جعله يتألم بشدة، أستغل الجندي ألم الداعشي وبحركة خاطفة التفت حوله ماسكاً بقطعة زجاج مهشمة بيده وباليده الأخرى مسك رأس ذلك الداعشي بارزا رقبته للأمام غارساً نصل قطعة الزجاج في رقبته.. فسقط الداعشي قتيلاً.. "

كانت الشاشة منقسمة لنصفين.. نصف الشاشة الأيمن كان يرصد ردود الفعل المختلفة للمذيع الذي يقوم بالتعليق على ما يحدث في نصف الشاشة الأخرى الذي ينقل تلك المعركة منذ البداية، عندما ذُبح ذلك الداعشي أبدى المذيع فرحة عارمة وكأنه قد فاز للتو بكأس العالم والجميع في الأستديو هتف بأسم ماريان..

البث المباشر ...

" ... فجأة أهتز المكان بعنف منذراً بسقوط جزء من السقف، إقتربت المراسلة ماريان من الجندي الذي يجلس على ركبتيه بجانب جثة الداعشي محذفاً به في ذهول.. حاولت أن تشده من ذراعه قبل أن يُهدم المبنى بأكمله عليهم لكنه لا يستجيب لها.. مازال محذفاً بالداعشي.. وخلال محاولتها تلك سقطت القبعة المصفحة من رأسها على الأرض.. حاولت ألتقاطها لكن الأوان قد فات.. لقد وقع عليها السقف وتوقف البث ... ! "

قبل لحظات ...

للتو أدرك عمر بأن المبنى على وشك الأنهيار.. المبنى يتم قصفة بشراسة وقد يصبح أنقاض في غضون لحظات، قرر أن يقفز من أي نافذة حتى لو كانت عالية ولم يجد أمامه سوى غرفةً في نهاية هذا الطابق، أمسك بماريان وجريا سوياً تجاه تلك الغرفة وعند دخولهم الغرفة وجدا داعشي آخر كان يغلق حاسوبه بسرعة ليهرب من هذا

المكان قبل تدميره، رفع عمر سلاحه تجاه ذلك الداعشي قبل أن يلتفت ناحية عمر.. فيما هربت ماريان للأختباء على أمل أن الكاميرا مازالت تعمل وتبث ما يحدث..

الغريب في الأمر أن عمر وجه سلاحه نحو الداعشي إلا أنه لم يطلق رصاصته سريعاً عليه كعادته.. حدقا لبعضهما للحظات ثم أطلق الداعشي ضحكة هستيرية وهو يضرب كفيه مندهشاً...

أنت..؟!، أنت من فعلت هذا كله؟!، يا ألهي من كان يصدق هذا!؟

لم يصدق عمر ما يراه.. هذا مستحيل، كيف يمكن أن يحدث هذا..؟!، نزل عمر سلاحه والعرق يتصبب من وجهه بغزارة، حينها ظنت ماريان أن هيبة ذلك الرجل أقلقته عمر وجعلته مُرتبِكًا..، صحيح أنه كان في هذا الرجل شيئاً مريباً لكن أيضاً ليس شيئاً يجعل هذا الجندي مرتبِكًا ومرتعشاً هكذا.. أنتهز الداعشي تردد عمر فأنهال عليه باللكمات السريعة والقوية حتى فقد عمر أترانه تماماً وسقط، وعندما سقط عمر أنهال عليه الداعشي بالركل في بطنه ووجهه وأي جزء من جسد عمر كان يتلقى ضربات من هذا الرجل حتى أمتلىء وجه عمر بالدماء كأنهما بالضبط في حلبة المصارعة.. حاول عمر الوقوف وتفادي ضربات الداعشي إلا أنه لم يستطع ذلك، مسكه الرجل من خصره ودفعه باتجاه بابٍ زجاجي فتحطم الزجاج بسبب اصطدام عمر به بقوة، أنتهز الرجل أستسلام عمر الغريب وضعفه فتوجه لأحضر سكينه لينتهي منه تماماً..، مسك برأس عمر ووضع السكين على رقبته فعلاً إلا أن عمر وجد نفسه مازال حياً.. شعر بأن تلك الفتاة التي كانت تحتمي به سعت لأنقاذه، ضرب الداعشي ماريان بقوة ثم عاد ومسك السكين أستعداداً لتكملة ما يفعله بعمر، هنا بدا على عمر الغضب.. فجأة ضرب هذا الرجل في يده وجعله يفلت السكين ثم تكافئت المعركة بينهما إلى أن أستعاد الداعشي سيطرته على القتال بعد أن دفع هذا الداعشي عمر وجعله يصطدم بالحائط بقوة ففقد عمر وعيه.. أمسك الرجل برأس عمر مجدداً ليذبحه لكنه فجأة وجد نفسه يصرخ بشدة.. لقد قامت ماريان بضربه مجدداً على رأسه.. قام بغضب ثم ركلها في بطنها ركلة قوية جعلها تشعر وكأنها قد أقتلعت روحها من جسدها.. عاد مجدداً لينتهي من عمر أولاً.. قام بمسك رأسه والأستعداد لذبحه لكنه فوجئ أيضاً بأنه يتألم بشدة، هذه المرة كانت ضربة غير متوقعة من عمر.. قام عمر بضربه أسفل بطنه ضربتين قويتين جعلته يخر على الأرض ألماً، حينها ألثف عمر حول الرجل ماسكاً قطعة زجاج

مهشمة ثم بحركة رشيقة وسريعة مسك برأس الداعشي وأبرز رقبته للأمام مستغلاً ضعفه ثم غرس نصل قطعة الزجاج تلك في رقبته وحاول الداعشي وقف تدفق الدم بسرعة من رقبته لكنه فشل.. ومات..

لم يصدق عمر ما فعله، هذه النهاية؟!، بدا على عمر أنه مصدوم مما فعل..، كان جالساً على ركبتيه بجانب جثة هذا الرجل محدقاً به.. حتى أنه لم يشعر بتلك الهزة العنيفة التي أصابت المكان حوله.. حاولت ماريان أن تساعد في التحرك والهرب من هذا المكان فوراً..

لم يكن بمقدورها الكتمان أكثر من هذا، فمسألة رجوع عمر أصبحت مستحيلة والمرض يشتد عليها يوما بعد الآخر.. بدا جسدها نحيلًا وضعيفًا.. القبي المستمر.. ربما لم تلاحظ آسية ما يحدث لوالدتها حتى الآن بسبب أنشغالها بما يحدث لعمر.. لا تعلم أن كان حيًا أم مات بعدما أنقطعت تلك المشاهد.. كانت تنام كثيرًا.. تنام حزينة جريحة باكية ومتألّمة، من كان يسعددها قد رحل.. رحل بعيدًا حيث لا رجعة..

كانت والدتها جانبها تحاول دائمًا أن تقنعها بالعودة لجلسات علاجها بعد أن أنقطعت عن الجلسات اليومية الماضيين، كان يزداد خوفها في كل لحظة من قادم اللحظات.. ستموت قريبًا، كانت آسية تغمض عينيها باكية.. لقد أرهاقها الحزن.. عزمت والدتها على أخبارها الحقيقة الآن ...

آسية..

كانت آسية تعجز عن الرد.. لا تستطيع حتى أن تفتح عينيها، أكملت والدتها..

أعلم أنكِ لستي نائمة، أسمعيني رجاءًا هذه المرة..

للحظة بدت مترددة.. حاولت تأجيل حديثها هذا فيما بعد لكن يبدو أن أصرارها على إخبار أبنيتها بكل شيء قد طغى عليها.. هي لا تضمن وجودها على قيد الحياة لساعةً أخرى حتى..

كنتُ حزينةً لأجلك حينما فُرض عليكِ ابن عمك ولم أكن راضية بزواجك منه منذ البداية.. فهو لم يكن ليعتني بك لو حدث لكِ مكروه.. هذه الحادثة كانت نعمة من الله عز وجل وليست نقمة كما تظنين.. فالله أرحم على عباده من أنفسهم، حينها سقط القناع عن الجميع وابتعد ابن عمك عنك ومن جديد عاد عمر ليسانديك في إجتياز إختبار الله لكِ.. عندما تفانى في مساعدتك أثبت للجميع إنه يحبك، أنا من إقترحت عليه فكرة الزواج بكِ، فرح لذلك ولم يتردد لحظة.. كم كان سعيدا بكِ، ولولا الظروف حينها كان ليخبر العالم أجمع ليشاركه فرحته بكِ، أما عن وجهة نظري أنا فكان الأهم عندي أن يتم علاجك لكن هذا ليس السبب الوحيد..

كانت آسية في عالمها الخاص.. لكنها أيضاً كانت تستمع لوالدتها تتحدث بشأن زواجها من عمر أو ما شابه.. كانت تعلم ما تحكيه والدتها.. عندما أجبرها والدها على الزواج بأبن عمها في الوقت الذي كان يريد عمر فيه الاعتراف بحبه لها أيام الجامعة.. رحل عمر لكنها قد تعرضت لحادث تسبب بشللها.. تركها خطيبها الذي أجبرها والدها على خطبتها منه.. لكن عمر قد عاد ليساندها.. تزوجها وهي عاجزة بفضل اقتراح والدتها بذلك.. ألتحق بالخدمة العسكرية وسافر في مهمة وطنية..

أنشغالها بالتفكير في عمر جعل عقلها عاجزاً عن ربط ما يحدث بذلك الذي تتكلم والدتها بشأنه!..، كانت تستمع لكلام والدتها لكن لم تلقي له بال، أكملت والدتها..

كان هناك سبباً آخر قد أخفيته عن الجميع، مرضي..

و كأنها قد صُعقت.. فتحت آسية عينيها بعد كلمة والدتها الأخيرة، التفتت إليها في ذهول..

مرض!؟، أنتي مريضة!؟

ساد الصمت بينهما للحظات، ثم هزت والدتها رأسها أيجاباً وأكملت كلامها..

منذ سنتين أصبت بالسرطان..، خشيت أن أعالج بالكيميائي، لم أكن لأفضل الظهور ضعيفة أمام الجميع أو أن أحدهم يشفق عليّ، وعندما بلغت هذه المرحلة التي لا يجدي العلاج فيها نفعاً حدثت تلك الحادثة لك ومات والدك وأختفى أخاك فجأة..

كانت آسية تشعر وكأنها نائمة تحلم بكابوس!، أكملت والدتها..

السبب الآخر لعرضي له بالزواج بك هو أنه الوحيد الذي سيقف بجانبك حين أغادر هذه الدنيا، لقد أحبك عمر أكثر مني أنا..

قطبت آسية حاجبيها في ضيق، شعرت وكأن شيئاً ما يطبق على صدرها..

أمي.. لا تقولي هذا رجاءً، لا تدعي المرض كي تجبريني على العودة للعلاج.. سأعود لكن أخبريني رجاءً بالحقيقة.. أنتي لستي مريضة، أليس كذلك!؟

أبعدت والدتها وجهها بعيداً..

أرجوك يا آسية دعيني أرحل وأنا مطمئنة عليك، أستكملي علاجك رجاءاً..

شعرت آسية وكأنها تلك هي اللحظات الأخيرة التي ستري فيها والدتها، احتضنتها بشدة وهي تبكي..

سأفعل.. سأفعل يا أمي، لكن عليك بأن تحيا لأجلي..، لن تركيني لوحدي يا أمي.. أليس كذلك!؟

فكّت والدتها ذراعي أبتها عنها ثم أخرجت ورقة صغيرة من حقيبتها وأعطتها لأبتها..

ما هذه..!؟

حاولت الاتصال بوالدة عمر لأطمئن عليها ومعرفة ما إذا كانت قد شاهدت ما حدث لعمر أم أنها غافلة.. لكنها لم تجيب، قمت بجلب العنوان من مدير المستشفى..، حينما لا أكون هنا معك أذهبي لهنالك..

صرخت آسية باكية..

أمي..، لا تقولي هذا رجاءً، ستبقين معي..

احتضنتها وكانت تشعر بأن هذا العناق سيكون الأخير...

سوهاج ...

نُقلت والدة عمر إلى غرفة العناية المركزة بأحدى المستشفيات، كان من الصعب أن تتحمل مشاهدة لحظة مقتل أبتها، كانت تفكر في تلك المصائب.. أبتها أدهم المختفي.. عمر الذي قُتل.. زوجها الذي مات..

كانا يشاهدان التلفاز معًا حينما كانت تُعرض على الشاشة مشاهد لقتال عمر تنظيم داعش الإرهابي في العراق.. في النهاية سقط زوجها مغشيًا عليه، أما هي فصرخت كي تستغيث بجيرانها لأنقاذ زوجها، لكن بالها المشغول بتلك اللحظات التي سيقتل فيها عمر جعل مرض السكري يرتفع عنده بشدة فأفقدتها الوعي هي أيضًا..

و حين شاهد الجيران تلك المشاهد أسرعوا لبيت الشيخ محسن ليطمئنوا عليه وعلى زوجته، طرقتوا الباب فلم يجيب أحد.. حينها تأكدوا بأن قد حدث لهم مكروهًا فأضطروا لكسر الباب فوجدوا كلاهما ممدان على الأرض..، تم نقلهما للمستشفى حالًا لكن تبين لزوجته بعدما أستفاقت أن زوجها قد مات نتيجة أزمة قلبية حادة.. حزنت أكثر وأكثر وأسودت الدنيا كلها في عينها وأرتفع نسبة السكري عندها للدرجة المزمنة.. فتم نقلها هي الأخرى لغرفة العناية المركزة..

القاهرة ...

ليومين لم تتوقف عينيها عن البكاء..، تلك الحسرة من فقدان أبنيتها التي أرغمت على خوض تجربة في العراق مقابل عدم تبديد حلمها..

حاول زوجها الأقتراب منها وتهدئتها، أربت على كتفها ...

سيكون كل شيء بخير..

التفتت إليه غاضبة ..

بخير..!؟، كيف سيكون الأمر بخير برأيك!؟

أبعد وجهه عنها وبدأ صوتها يرتفع تهكمًا على كلامه..

آه بخير.. عندما أعلم أن أبنتي في العراق ستكون الأمور بخير.. عندما أعلم أنها قامت بتصوير أخطر فيديو في العالم ستكون الأمور بخير..

التفتت إليه ثم عاتبته..

أتعرف مكانها؟!، كيف حالها؟!، هل تعرف أصلاً أن كانت مازالت على قيد الحياة أم أنها..

أصبح صوتها يشوبه البكاء..

ماتت..؟!، لا أعلم كيف سيكون حالي عندما يتم أذاعة مشاهد ذبحها في القنوات ..

وضعت رأسها على المنضدة مندرّة بنوبة حزن شديدة، أكملت كلامها وكأنها تحدث نفسها..

سألحق بها، ماري.. كيف حالكِ يا عزيزتي؟!!

أما عن والدها فوضع رأسه بين كفيه لضعف حيلته.. كان قد عمل على تحقيق حلم أبنته في أن تكون أكبر إعلامية في مصر.. دعمها حتى التحقت بكلية الأعلام.. تحقق جزء كبير من حلمها حين عملت بالقناة التي يديرها أخوه ثروت ومن ثم أنتقلت لأكبر محطات الأخبار في العالم، هو الآخر لا يعلم كيف سيتحمل مشاهد ذبحها!..

كانت وكلاء الأنباء العالمية ووسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي جميعها تناولت تلك المشاهد التي قامت بتصويرها ماريان، حتى وصل عدد مشاهدي الفيديو ما يقارب المائة مليون مُشاهد في الساعات الأولى التي تلت تلك الحادثة..

شيرين عبد النور في برنامجها اليومي ...

" - من الغريب أن نجد العالم كله يهاجمنا ويتصيد لنا الأخطاء في حين تناسوا وتغافلوا عن الأنجاز الذي تحقق منذ يومين.. يهاجموننا لأن جنودنا كانت في العراق وقاتلت ذلك التنظيم الإرهابي لكنهم لا يضعون في بالهم كيف كانت الكتيبة المصرية تقاتل بشراسة ضد ذلك التنظيم الإرهابي أو أن كيف نجح الجندي المصري في قتل قيادي في تنظيم داعش.. جميعنا شاهدنا ذلك الفيديو والذي بالمناسبة قد حقق أعلى نسبة مشاهدة هذه السنة على موقع اليوتيوب والذي صنفته جريدة الواشنطن بوست بأنه " فيديو القرن "، لكن خلف كواليس هذا الفيديو أسرارًا تحصلنا عليها.. سنقدم لكم معلوماتٍ خطيرة تُعرض لأول مرة حصريًا على قناتنا ..

سكتت للحظات ثم تابعت وشرحت الخطة الكاملة التي قام بها الإيرانيون للأيقاع بالكتيبة المصرية التي شاركت باليمن ..

صمتت لثواني وكأن فريق الأعداد يُملئ عليها شيئًا هامًا، ثم ظهر شريط أخباري عاجل وقامت هي بتلاوة هذه الأخبار ..

عاجل ... الجندي المصري يُدعى عمر محسن وهو يحمل رتبة صف ضابط احتياطي وهو أحد مساعدي اللواء صفوت المستشار العسكري المصري باليمن ..

عاجل ... الداغشي هو الآخر مصري الجنسية ويُلقب بـ " أبو عمار " وهو الرجل الثاني في تنظيم داعش والذراع الأيمن لزعيم التنظيم ..

سكتت للحظة ثم نظرت للشاشة بتشكك ..

و بطبيعة الحال فأن هناك من سيشكك في كلامنا هذا ويتهمنا بأختلاق قصة وهمية لتبرير تواجد الجيش المصري في العراق، لهم الحق في ذلك لكننا أيضاً لن نعلن مثلاً عن مصادر حصولنا على هذه المعلومات وبالتأكيد أيضاً سيظهر صحة ما حصلنا عليه من معلومات..

في نفس التوقيت كان شريف في مكتبه مع مساعده الأول (أيمن) يتابعان برنامج شيرين..

لقد تأخرنا كثيراً سيدي.. كان يمكننا تجنب كل هذا بمجرد تسريب الخبر للأعلام مبكراً..

رد عليه شريف بعد أن خفض من صوت التلفاز..

كان لابد من التأكد من نواياهم أولاً يا أيمن، لو قمنا بتسريب الخبر للأعلم مبكراً قبل فعلهم لأي شيء كانت الأمور ستسوء أكثر، لا أحد يعرف.. ربما كانوا ليغيرون ما كانوا يخططون له حول كيفية استخدام جنودنا..

الأمر الآخر كما تعلم أن الأوامر صُدرت من المخابرات العسكرية أن ننتظر..

و ها هي النتيجة سيد شريف، لقد وقعنا في فخهم..

اعتدل شريف في جلسته وأقترب من أيمن..

أتشكك في ردنا عليهم؟!، أسمعني جيداً يا أيمن.. لا تستهين أبداً بقدرتنا.. هم من أختاروا الخيار الأصعب وعلينا أن نستعد للرد عليهم بهجوم شرس.. ما تبقى من جنودنا قد عادوا مصر، ونحن قمنا بتسريب خطتهم التي استخدموها للأعلام..

بدا على أيمن التفكير في أمراً ما..

و عمر..، أين هو الآن؟!

ابتسم شريف بمكر ...

بالطبع لم يفوتني هذا..، لقد حددنا مكانه هو وتلك المراسلة ماريان، لقد كلفنا المخابرات العسكرية بأحضاره فوراً..

بدا على أيمن الأرتياح، راوده سؤال آخر..

ما يهمنا الآن فعلاً هو عمر.. أريد أن أعرف لماذا بدا عليه التردد في بداية قتاله مع أبو عمار؟!، يبدو هذا الأمر غريباً..

طرق أحدهم الباب فأذن شريف للطارق بالدخول، أنها مساعدته، كان وجهها واجماً نتيجة صدمة أو أمرٌ ما غير اعتيادي مثلاً..

أسفة سيدي على المقاطعة، لكن ورد ألينا تقرير عاجل وغريب ...

تلقي شريف التقرير منها ولم يستغرق الأمر ثواني حتى ظهرت علامات الدهشة والصدمة جلياً على وجه شريف..، ذلك الأمر الذي جعل أيمن يتساءل عن سبب دُعر وصدمة شريف..

ماذا هناك سيد شريف!؟

بدا على شريف عدم التصديق، هذا منطقي.. لا لا هذا غير منطقي بالمرّة.. أعطى التقرير لأيمن منتظر ردة فعله، وعندما تفحص أيمن ما في التقرير أتسعت عيناه من الصدمة ونظر لشريف في عدم تصديق..

مستحيل.. مستحيل أن يحدث هذا..

نظر أيمن مرةً أخرى للتقرير وهو يعيد قرائته مرات ومرات ليتأكد أنه لم يتوهم ..

مستحيل.. هذا ما يُطلق عليه المستحيل المنطقي ... !

عادت لتستكمل علاجها من جديد.. فقط لتطمئن والدتها عليها في آخر أيامها..، كانت في مراحل متقدمة من العلاج وهذا سيسعد والدتها كثيراً، لكن ما فائدة أن تحيا بمفردها بعد أن يرحل الجميع عنها..؟!، كانت تتألم ولا أحد يشعر بالأمها تلك إلا الله..

لو كانت تدرك ما سيحدث لها لتمنت أن يتوقف الزمن ولا يتقدم خطوةً أخرى، كم أشتاقت لتلك السنوات.. حين كانت تخطط هي وصديقتها أمانى لأختبار حب عمر لها، عندما تكون صديقتها راضية عنه يكون يوم ساعده وستمهد لها كي تقابله أما أن كانت تنوي شراً فذلك المسكين لن يسلم من فخها أبداً، عمر؟! أين هو الآن ياترى؟!، قلبها يحدثها بأنه مازال حياً.. ربما يكون بخير.. لا تعرف لماذا يراودها هذا الأحساس بالذات، ربما لأنه لا يوجد خبر يؤكد وفاته..، لكن سرعان ما يداهمها أحساس مؤلم حين تتذكر أنه لو تم القبض عليه من عناصر داعش الأهابية لربما كان العقاب أشد وأقسى لأنه قتل قيادي مهم عندهم..

حقاً هي لا تعلم ماذا تتمنى.. هل تتمنى أنه يكون مازال حياً يُرزق؟!.. حينها سيكون تحت رحمة هؤلاء وعاجلاً أم آجلاً ستراه يُذبح وبأبشع الطرق، أم تتمنى أنه قد مات فيرحم من هؤلاء المرتزقة؟!.. لكن حينها لن تراه مجدداً، لن تلجأ سوى لله.. أن الله قد خلق المستحيل فكيف يعجز عن جعل المستحيل ممكناً.. هي تتفق بأن الله سيُخرج عمر من محنته لو كان حياً..

قريباً جداً ستصبح وحيدة.. ستصبح يتيمة، والدتها على وشك الرحيل هي كذلك.. والدها الذي رحل منذ شهر طويلة.. أخاها الذي يبدو وكأنه قد تبرأ من عائلته بالكامل..

فكرت في كلام والدتها.. هل فعلاً والدتها مريضة؟! أم أنها تدعي ذلك لتستمر هي بالعلاج؟!، ما زالت غير مقتنعة بكلام والدتها بخصوص مرضها، حدثت نفسها بأنها لا بد وأن تستمر بالعلاج لأجل والدتها.. لأجل عمر.. ولأجلها هي أيضاً، مازال الأمل يراودها بشفاء والدتها أن كانت مريضة حقاً.. كذلك الأمل يراودها بأن عمر سيرجع يوماً ما.. ستكون سبباً في فرح الجميع بها وبشفائها وستفرح هي بشفاء والدتها ورجوع عمر قريباً..

كل هذا كان يدور بعقلها حين كانت تتلقى جلسة العلاج ... أفكار.. تخيلات.. ذكريات.. أحلام.. أمنيات
وحنين، تقدّمت في علاجها حين بدأت تمشي بعكازين لمسافات لا بأس بها، أنهت جلسة علاجها اليوم بجرعة
أمل تراودها.. عمر سيعود ووالدتها ليست مريضة ..

أنهت علاجها وجلست على كرسيها كالعادة ودفعتها نادبة الممرضة نحو غرفتها وبجانبها والدتها، لاحظ ثلاثهن
تحركات غير طبيعية في المستشفى وخاصةً في بداية الممر لهذا الطابق ... عرفت نادبة أن هناك مصابين ربما من
أحدى العمليات في سيناء.. ذهبت لتفقد الأمر لتجد أنهم أصحاب تلك الرحلة المريرة لليمن..

حاولت إبلاغ آسيى بذلك لكنها وجدت غضب اللواء صفوت فيها بسرعة العلاج.. أسرعت ناحية الدرج
وأخفت بعدها، ومازالت آسية ووالدتها تترقبان ما يحدث ...

أمي.. أذفيعني لهنالك أرجوك..

آسية.. ليس الآن، تبدو الأمور مضطربة هناك..

أمي!.. لا تقلقي، لن نقرب كثيرا..

حتى والدتها تملكها الفضول تجاه هذا الأضطراب الحاصل هناك.. دفعت الكرسي وأتجهت لهنالك، كان هناك
أحدهم أبتعد عن البقية ويهاتف أحداً ما، لم يلحظ آسية وهي تندفع نحوه، أما هي فقد زادت ضربات قلبها
أضطراباً حين سمعته وهو يتكلم مع أحدهم في الهاتف ...

نعم.. لقد نجونا بأعجوبة من معركتنا تلك في العراق، لكننا قد فقدنا الكثيرين من زملائنا ..

فجأة وجد مصطفى بأن أحدهم يشده من زراعته، أستدار ليعرف من يشده هكذا فوجد فتاةً قعيدة تقف بجانبها
أمرأة كبيرة، سألته آسية..

عذراً سيدي، هل أنتم من كنتم في العراق!؟

تعجب من سؤالها ثم هز رأسه أيجاباً ثم أغلق هاتفه منتظراً أن يعرف هويتها، بدأت نظرات الأمل تملئ نظراتها ..

أين عمر !؟، ألم يأتي معكم .. !؟

كيف لم ينتبه لذلك !؟، أنها آسية زوجته، لقد حدثه عمر كثيرًا عنها، تنبه لألحاحها في السؤال ..

أرجوك أجبني .. هل نجا عمر معكم !؟

بدا عليه التردد في الأجابة .. بماذا يجيبها أصلاً !؟، أنه قُتل .. !؟، قلقت هي من طول صمته ...

للأسف سيدتي ..، لقد أستشهد عمر في المعركة، أنا آسفٌ لذلك ..

لقد تجمد الوقت بالنسبة لها، أستطاع عقلها أن يمرر أمامها كل لحظاتها مع عمر في ثانية حتى وصلت لتلك اللحظة الأخيرة التي كانت بينهم قبل شهور .. قبل مغادرته ..، لقد مات عمر .. لم يعد هناك عمر في حياتها .. لقد رحل .. رحل عمر، بكل قوتها صرخت متألمة ..

عمر ... عمر لا ترحل أرجووك ..، عمر !

حاولت والدتها وكذلك مصطفى من تهدئتها لكنهما فشلا حين بدت آسية بفقدان وعيها تدريجيًا وهي تهذي بكلمات غير مفهومة حتى فقدت وعيها بالكامل ..

أسرع مصطفى بدفع كرسي آسية المتحرك تجاه غرفة أي طبيب، أسرع أحد الأطباء بفحصها وأثناء ذلك لفت انتباه مصطفى ما يُعرض على التلفاز .. مشاهد تعرض عمر وهو يقاتل أحدهم .. أصبح يشاهد ما يحدث أمامه بتركيز وتلهف مما سيحدث، لاحظه الطبيب صديقه ..

ماذا هناك يا مصطفى .. لماذا تحديق هكذا في التلفاز !؟

أشار مصطفى ناحية التلفاز متسائلًا ..

ما هذا !؟، متى حدث هذا بالضبط !؟

و كأنك لا تعرف يا مصطفى .. أتتكلم بجدية أم ماذا !؟

نظر مصطفى لصديقه نظرةً تفيد بأنه يجهل ما يحدث، أدرك الطبيب أن صديقه مصطفى لا يعلم حقًا ما يحدث..
هذا عمر يقاتل قيادي داعشي..، لقد تمكن منه في النهاية وقتله..

قطب مصطفى حاجبيه في عدم فهم ...

من قتل من ..؟!؟

أنهى الطبيب من فحص آسية وأعطاه حقنة مهدئة، خلع قفازته ثم وقف بجانب صديقه يشرح له ما يُعرض على التلفاز ..

كما ترى يا مصطفى.. فأن عمر قد دخل هذا المبنى أولاً ثم قاتل بشراسة وبشجاعة عناصر تنظيم داعش وكأنه يلعب أحد ألعاب الفيديو وعندما وصل إلى المستوى الأخير كان قدره أنه يقاتل قيادي داعشي بارز وظلا يقاتلان بعضهما إلى أن أنتصر عمر في النهاية..

كان مصطفى يصب كامل تركيزه على ما يشاهده ويربط ما قاله الطبيب بما يحدث، كان الأمر غريبًا أيضًا على والدة آسية والتي تابعت ردة فعله الغريب.. تساءلت في نفسها.. كيف يقول أنه قد أُستشهد وهو الآن يندهش مما يُعرض على التلفاز؟!، على أي أساس قال أن عمر قد مات؟!، التفت مصطفى ناحية آسية وهي فاقدة الوعي، وقفت أمامه والدتها..

ماذا يحدث هنا يا بني؟!، ما الذي يدهشك في هذه المشاهد التي تُعرض؟!، هل يتعلق الأمر بعمر؟!؟

بدا الأمر غريبًا بالنسبة لمصطفى..

كل ما في الأمر سيدتي أنني لا أعلم أي شيء بخصوص تلك المشاهد.. لقد ظننت أنه قُتل حين دخل ذلك المبنى وحده، لكنني لم أرى هذا ولا أعلم ماذا حدث له بعد ذلك، لقد ظننا جميعًا أنه قُتل..

بدا الأمر وكأنها يراودها الأمل من جديد..

يعني أنه ربما يكون ما زال حيًا؟!، أنت لم تره ميتًا من الأساس؟!؟

فكر قليلاً ...

لا لم أره بعيني ميتاً...، عندما دخل هذا المبنى جاءنا أمر الانسحاب فوراً من المكان، وعندما ظننت أن عمر لم يسمع أمر الانسحاب حاولت أن أخبره بذلك لكنه لم يجيب أبداً.. حاولنا جميعاً الاتصال به لكنه لم يجب أيضاً.. فظنناه أنه قد قُتل وأنسحبنا جميعاً من المكان قبل أن يحدث شيئاً آخر ونسقط جميعنا قتلى..

تسارعت نبضات قلبها فرحة.. لقد راودها الأمل من جديد ..

عن أذنك سيدتي، عليّ المغادرة فوراً ...

أسرع مصطفى للخروج من الغرفة وهو عازمٌ على إخبار اللواء صفوت بذلك، جميعهم لا يعلمون ما حدث بعد انسحابهم..

رب واقع خيرٌ من ألف حلم.. كانت تحلم بأن تكون الإعلامية الأولى في مصر.. كانت لديها قناعة بأنها تستطيع بناء مدرسة إعلامية جديدة.. أعلام مهني.. واضح.. صريح وحقيقي..

منذ أعوامٍ قليلة مضت انحرف الأعلام عن مساره الحقيقي وأنقسم لفتتين.. فئة معارضة والأخرى مؤيدة بشدة، حتى ما تغيرت الوجوه وتبدلت الأحوال يصبح المؤيد معارضاً ومن كان يعارض أصبح مؤيداً..!، ليس في مصر فقط.. بل في العالم أجمع، فالدولة الإيرانية مثلاً لديها منصة إعلامية ضخمة تدافع عن سياساتها وقراراتها.. الولايات المتحدة يتبدل أعلامها حسب هوية الحزب الحاكم للبلاد والحزب المعارض كذلك يكون أعلامه جاهزاً.. في الحقيقة الأعلام كله عار وتكاد تكون حقيقة علمية ثابتة في زماننا هذا.. لا توجد قناة على وجه الأرض تلتزم الحيادية أو تعرض الحقيقة كاملة، هذا كله ببساطة لأن الجميع يرى الحقيقة التي يريدونها فقط وليس الحقيقة المجردة..، الطيب أعزل الطب وعمل بالأعلام والكاتب أعزل قلمه وعمل بالأعلام ورجل الأعمال أفتح قنواته الخاصة وحسب ميوله يوجه إعلامي قناته.. والغريب في الأمر أن الفئة الوحيدة التي تجد صعوبة بالغة في العمل بالأعلام هم خريجي كلية الأعلام..!

لديها حلم التغيير يوماً وستفعله يوماً ما، لحظة.. هل تم تصوير ما حدث بالأمس؟!، أم أن مجهودها ذهب سدى؟!، ربما أبتعدت سيارة المحطة أو تم تدميرها بسبب قذائف تلك الطائرات.. بذلك لن يتم تصوير شيء وها هو حلمٌ آخر قد تبخر..

هذا ما كان يدور برأس ماريان حين كانت تقف في شرفة لمبنى مهجور وعمر الممدد على الأرض بجانبها في غيابٍ عن الوعي تماماً متأثراً بمعركته الدامية مع ذلك الداعشي في صباح اليوم، لقد قامت بأسعافه وأخرجت قطع الزجاج الصغيرة المتناثرة على وجهه، وأخيراً وبعد ساعاتٍ طويلة من الأغماء بدأت تعابير وجه عمر بالتحرك ألباً..، جثت على ركبتيها بجانبه وحاولت أفاقته.. لم تعرف عنه شيئاً سوى اسمه الذي قرأته على زيه العسكري..
عمر.. عمر..

فتح عينيه بصعوبة..، في البداية لم يرى شيئاً لكن بمرور الثواني بدأت الرؤية تتضح.. ضباب ثم حائط أو سقف مهشماً ومدمراً تقريباً ثم.. ثم صوت يناديه بأسمه.. عمر.. عمر.. حاول أن يلتفت للصوت لكنه لم يستطع تحريك رأسه ولحسن الحظ أن ماريان قامت بتعديل وضعيه رأسه تجاهها.. تساءل.. من هذه الفتاة؟! كيف تعرف أسمى؟! أين أنا؟ وماذا حدث؟!، يا ألهي أشعر بصداع مؤلم جداً.. رأسي ثقيلة جداً، بدأت الأحداث تتسارع في ذهنه.. انفجار الطائرة وهبوطهم بالمظلات.. القتال ضد تنظيم داعش ومطاردتهم.. شوارع في مقدمتها حواجز أسمنتية وخرسانية.. النصر أو الشهادة.. قتاله في المبنى.. أين البقية؟!.. حمايته لتلك الفتاة الغريبة.. لقد رأيتها من قبل.. آه صحيح.. هي من تحاول أيقاظي الآن.. قتله لذلك الداعشي..

فتح عينيه بسرعة وهو يلهث، ساعدته ماريان على الجلوس وهو مازال ذهنه شاردًا يحرك عينيه في توتر..

هل أنت بخير..؟!

لم يرد عليها وكأنه لم يسمعها.. كان يحاول أن يستوعب ما حدث، قدمت له شطيرة مربي..

لقد مر على تواجدهنا هنا ساعاتٍ كثيرة.. شعرت بالجوع فقممت بجولة حول هذا المبنى ولحسن الحظ وجدت حقيبتى كانت مُلقاة في الشارع.. ووجدت هذه.. أكلت نصفها وتركت النصف الآخر لك..

لم يلتفت إليها حتى.. تتسارع الأحداث في ذهنه.. ينظر أرضاً وكأنه يصارع نفسه، تساءلت هي في نفسها.. حالته تزداد غرابة.. أيمكن أن يكون هذا بسبب قتله لذلك الداعشي؟!.. لا لا حتى قبل قتله لذلك الداعشي فإنه قد قتل العشرات منهم قبله، ماذا أذن؟!

عمر.. هل أنت بخير؟!، أيمكنني مساعدتك؟!

نظر إليها وكأنه للتو لاحظ وجودها.. ينظر إليها بصمت دون حراكٍ حتى، جلست هي الأخرى مستندةً على الحائط تنتظره يتكلم، فجأة فتحت عينيه.. يبدو أنها قد غفت قليلاً..!، سمعت صوت الآذان.. نظرت لساعتها فوجدتها الرابعة فجراً.. يبدو أنها قد نامت وليست مجرد غفوة.. لاحظت عدم وجود عمر بجانبها كما كان قبل

أن تنام.. التفتت حولها لتجده في الشرفة، وقفت بجانبه.. بدا عليه الهدوء وتدارك الأمر لكن مازال الأرهاق باديًا عليه، التفت إليها وسألها ...

منذ متى وأنا هنا؟!، وأين بقية زملائي!؟

من عصر يوم أمس تقريبًا...، لقد فقدت وعيك ولم أستطع حملك لمكانٍ بعيد، في حقيقة الأمر كنتُ محظوظة بتواجد هذا المبنى هنا، لقد نالت منه الطائرات أيضًا لكنه مازال كافيًا لنحتمي فيه..

أما عن سؤالك عن باقي زملائك فأظن بأن الجميع أختفى فجأة.. ربما ظنوا أنك ميت ورحلوا..

أغمض عينيهِ للحظات ثم فتحهما وتحسس الجروح التي ملئت وجهه، فأكملت هي كلامها..

لقد أسعفتك على قدر استطاعتي..

لحظات صمت ثم عاد ليسألها من جديد..

أيمكنني معرفة من أنتِ!؟

لقد نسيت أن تخبره بذلك..

حسنًا.. أنا ماريان من شبكة قنوات الـ " BBC Arabic " وجات لهننا لتغطية بعض الأخبار ولكنني فقدت

طاقمي أنا أيضًا.. لا أعرف أين ذهبوا ..

نظر أمامه مجددًا.. بدا أن ذهنه سيعود ثانية للشroud، عقد حاجبيه ثم سألها ..

لماذا قمتي بأنقاذي!؟، أنا لم أطلب منك ذلك!؟

بدا عليها الدهشة من تحوله في الكلام فجأة، أرتبكت بسبب الحدة التي يسألها بها..

كان سيتم قتلك من ذلك الأحمق.. فقامت بأنقاذك..

التفت إليها وقد لاحظت هي عقد حاجبيه..

لكنني لم أطلب منك ذلك ..

عقدت حاجبيها هي الأخرى وأظهرت تحدي في الكلام معه بعد أن وجهت أصبعها نحوه..

ليكن لديك فكرة.. هذا ليس السبب الوحيد، أنقذتك لأنه لو تم قتلك سأكون أنا التالية..، أنقذتك ليطمأنقذني أنا الأخرى..

ظهر على وجهه التأثر.. لم يكن بمزاجٍ يسمح له بالتشاجر معها ...

آسف.. لم أقصد مضايقتك، كان يجب عليّ أن أشكرك..

تبدو عليها الحيرة في أمره.. هل تعامله بلطف أم بغلظةً وتحدي؟!، كيف تتم معاملة هذا الشخص على أية حال..

حسنًا.. لا مشكلة، المهم أنك بخير الآن، هل يمكنني سؤالك عن شيء؟!؟

التفت إليها ثم هز رأسه إيجابًا، سألته هي ..

ما سبب تواجدكم هنا في العراق؟!، يبدو الأمر غريبًا نوعًا ما ..!

لم يجيبها عمر، أكملت هي كلامها..

عندما علمت بأمر اشتباكم مع عناصر تنظيم داعش تعجبت من الأمر لا سيما بعدما علمت بأنكم مصريين..

رد عليها بجفاء..

سيطول الأمر كي أشرحه.. ستعرفين لاحقًا ...

كانت السماء صافية حين أعلنت عن قدوم شروق يوم جديد، لكن يبدو بأن الأرض أعترضت عن صفاء السماء فقررت الترحيب بضيوفٍ آخرين ..!، نظر كلاهما بعيدًا فوجدا سيارات نقل صغيرة تتجه نحوهم ..!، دخلا

ليختبئنا ثم نظرا خلسةً من وراء حائط الشرفة فوجدنا تلك السيارات تقترب بشدة من المبنى وأستقرت عند المدخل، نظر عمر وماريان لبعضهما في توتر، سألهما..

أين السلم..؟!

أشارت لهذا الدرج الذي يبعد عنهما أمتارٍ قليلة..

من هنا حين نقلتك لهننا، هل سنهرب..؟!

ماذا يبدو الأمر برأيك؟!

التفت حوله ثم سألهما ...

هذا السلم فقط..؟!

أنا لم أبحث عن آخر..

حضرته فكرةً سريعة..

هيا أتبعيني بسرعة ...

تبعته وهي لا تعلم ما يدور بذهنه، كيف سيهرب من نفس المدخل الذي سيصعدون هم نحوه..

لكن من أخبرك أنهم آتون لأجلنا.. أو لأجلك تحديداً؟!

التفت إليها..

لماذا برأيك وقفوا عند مدخل هذا المبنى بالذات؟!

تحركا بسرعة ناحية السلم الوحيد التي تعرفه.. فكرت في كيفية الهرب من هؤلاء من هذا السلم.. لقد بدأت

تشك بقواه العقلية ..

في الأسفل وعند مدخل المبنى وقفت سيارتين نقل صغيرة، نزل من الأولى شخصين يرتديان جلبابًا بيض وعليها سترات رمادية وكأنهم من بدو سيناء، أخرج أحدهم جهازًا لاسلكيًا ...

نعم سيدي.. نحن في المكان المحدد، ستم الأمور بسرعة، قريبًا سيكونان أمامك ...، لا تقلق لن أدعهم يهربا ...

أغلق اللاسلكي وأشار للبقية باتباعه، أثنان منهم وقفوا ليحرسا مدخل المبنى والبقية دخلوا المبنى لينجزوا المهمة ! ...

كادت أنفاسهم أن تنقطع.. لساعةً متواصلةً ظلاً يركضا ليبتعدا عن المبنى قدر الأمكان، عندما كانا في ذلك المبنى المهجور حضرته فكرةً سريعةً.. حتى بوجود سُلماً واحد فقط ومدخل واحد لهذا المبنى يمكنهما الهرب..، ينزل الدرج ثم يختبئ وراء باب أحد الغرف القريبة من السلم في الطابق السفلي القريب من المدخل الوحيد لهذا المبنى ليكون أسرع لهم الخروج من المبنى حين يقوم هؤلاء الرجال بتفتيش الغرف سريعاً ثم يصعد هؤلاء الرجال للطوابق العليا لأستكمال البحث.. حينها سيخرج هو وماريان من الغرفة وينزلون مباشرةً للطابق الأرضي ويتمكنا من الهرب..

سارت الأمور كما خطط عمر فعلاً..، أختبئنا وراء باب غرفة في الطابق الثاني وبعدها قام هؤلاء الرجال بتفتيش الطابق الثاني سريعاً صعدوا للطابق الثالث لأستئناف البحث، حينها خرج عمر وماريان متخفيان من الغرفة مسرعين ونزلوا الدرج باتجاه المخرج الوحيد لهذا المبنى لكن لسوء الحظ فقد وجدا رجلين على باب المدخل، وعندما لاحظتهما الرجلين حاولا أيقافهما ولكن عمر وماريان أسرعوا لل صعود مجدداً.. أسرع أحد الرجلين خلفهما وهو يمسك بهاتف إرسال ليخبر الآخرين بأنه يطارد الهدف وهم الآن بأتجاههم فيما بقي الرجل الآخر واقفاً عند المدخل لعلهم يفكرون في الهرب من هنا مجدداً..

عندما وصل عمر وماريان للطابق الثاني وجدا الرجلين ينزلان من الطابق الثالث وقد ألتقيا عند في منتصف السلم ما بين الطابقين.. لقد تم محاصرتهم..، تراجع عمر وماريان بسرعة تجاه نفس الغرفة التي أختبئنا فيها منذ قليل وبدون تفكير فتح عمر النافذة وأمر ماريان بالقفز ورائه بسرعة وبدون تفكير أيضاً، نزل الرجلان بسرعة حتى ألتقوا بالثالث ونزلوا جميعاً وركبا السيارة للحاق بهما حين ركض الهدف في تلك الشوارع خلف هذا المبنى..، ظلت السيارات تطاردهم في الشوارع الجانبية ذات الطرقات الوعرة، لحسن الحظ لم تكن تلك الشوارع تصلح أن تسير تلك السيارات فيها، لقد تمكنا من الهرب فعلاً منهم..، الآن هما تأتهان في ضواحي هذه المدينة يسيران ببطئ شديد بعد أطمئنا على هروبهما من هؤلاء الأوغاد الذين كانوا يطاردوهم، سألته ماريان وهي مازالت تلهث..

ماذا علينا أن نفعل الآن!؟

صمت عمر للحظات مفكرًا..

لا أعلم، ربما علينا أن نحيا أولاً ثم نفكر ماذا نفعل ..

ابتسمت بأستهجان..

لا نعلم حتى إلى أين نسير !..

التفت إليها عمر وهما يسيران..

إلى المجهول.. إلى اللا شيء نعرفه.. أصبحت أفضل المجهول، ماذا لو علمتِ إلى أين نسير ثم أكتشفتي أن ما

نسير إليه هو الهلاك بعينه !؟

فكرت ماريان قليلاً فأجابت بمنطق..

سأتوقف..

و بعدها ... !؟

سأفكر في خطوتي التالية..

حسنًا.. ربما عليكي أن تتوقفي الآن وستري ما سيحدث بعدها، أنا جربت هذا فعلاً وكانت النتائج كارثية !..

ساد بينهما الصمت للحظات وهما يسيران إلى اللا مكان..

لكن يوجد أسثناء واحد هنا، أنا مضطرة لأستكمال الطريق معاً لحين أن نجد طاقمي ثم ستهرب معي..

ما الذي يجعلك مضطرباً..

قطع حديثهما ذلك الأضطراب الحادث في نهاية الشارع ورائهم.. التفتوا بذعر باتجاه ما يحدث، في لحظة ساد

الأضطراب المكان كله.. بدا على الجميع الفزع والخوف والهرب من شيء ما !..، سياراتٍ مجهولة تطلق النار

على المارة عشوائياً والكثير يسقط والجميع لا يعرف شيئاً سوى الهرب الآن، تدافع عمر وماريان وسط الناس

هاربين معهم.. الجميع يهرب حيث الواجهة مذعورين ..!، وعندما وصل عمر لمفترق طريق التفث ليمسك بماريان لكنه صُدم حين لم يجدها بجانبه أو حوله على الأقل، التفث حوله لبيحث عنها جيداً وسط هذا الحشد المتدافع.. السيارات التي تطلق النار تقترب أكثر فأكثر، لم يستطع مقاومة تدافع الناس.. دفعه الناس معهم إلى اليسار وعندما حاول المقاومة وقف مرةً أخرى لبيحث عنها، ها هي.. لقد رأها أخيراً.. تقف حائرة يملؤها القلق والخوف والذعر في مقدمة الشارع الأيمن لمفترق الطريق تبحت عنه.. حاول عمر أن يناديها لكنه لم يتذكر أسمها ..!، لحسن الحظ فقد عثرت عليه هي الأخرى، وعندما أستعدا ليقتربا من بعضهما مجدداً وجد عمر أن شخصاً ما سقط قتيلاً كان بجانبه.. بالطبع لم يقصد هذا الرجل أن يفاديه مثلاً ولكن الرصاصة كانت في طريقها لعمر وهذا الرجل كان يهرب كالجميع.. مر بجانب عمر بذعر ولسوء حظه كانت الرصاصة من نصيبه ..!

عندما وجد عمر أنه من المستحيل أن يقتربا من بعضهما أكثر من ذلك لاسيما بعد اقتراب تلك السيارات منهم.. أشار إليها لذلك المبني المهجور ورائها لتختبيء به وهي قد فهمت ذلك من أشاراته، كانت السيارات قد وصلت تقريباً لهذا المفترق مع سقوط الناس قتلى بشكلٍ مُخيف..

تمكنت ماريان من الاختباء فعلاً في هذا المبني والصعود لطابقٍ أعلى لترى ما يحدث ..!، ماذا سيفعل عمر؟! هل سيضحي بنفسه؟! يا ألهي.. لقد توقفت تلك السيارات.. لماذا يقتلون الناس هكذا؟!، حاولت تدارك الأمر لكنها فجأة فُزعت عندما رأت عمر ممدداً على الأرض.. للحظة ظنت أنه قد قُتل أيضاً لكن عندما رآته وهو يحاول أن يخفي وجهه تحت جثة أحدهم.. فهمت أنه يحاول أن يدعي أنه ميت، بعد لحظات كان الشارع هادئاً وتوقف إطلاق النار.. ببساطة لأن كل من كان في الشارع قد قُتل ..!، صحيح أن عمر لم يعد يتحرك تماماً ولو حركة بسيطة لكنه تمثيلٌ جيد فهي تأمل بأن يظل هكذا حتى يرحل هؤلاء الأوغاد ...

فجأة ظهرت سيارات حفر عملاقة وبدأت تحفر حفرةً ما ..!، أتسعت عيناها دُعراً فأطلقت صرخةً مكتومة كادت بها أن تكشف عن مكانها، سيتم دفن الجميع.. عمر سيُدفن حياً ..!

سمع أحدهم صوتاً ما رغم علو الصوت المزعج لتلك السيارات الحفارة.. التفث ورائه باحثاً عن مصدر الصوت لكنه لم يجد شيئاً.. حدث نفسه بأنه ربما يتخيل، بعد دقائق أنتهت تلك السيارات من حفر حفرةً كبيرة ولتكتمل

الوحشية وعدم الأنسانية.. جرّت تلك الحفارات القتلى وألقت بهم في تلك الحفرة ثم بعدها رُدمت الحفرة ..!
وغادروا المكان بعدها ...

كانت تبكي بحرقة وتصرخ بصمت.. كان ما يحدث أمامها مريعاً.. عمر دُفن حياً ودقائق وسيموت من كانت
تحتمي به في هذه البلدة، صحيح أنها لم تعرفه سوى من ساعاتٍ قليلةً فقط إلا أنها أحبتّه وأطمأنت إليه.. لا
تعرف لماذا وكيف تم ذلك !..

كان هناك أحدًا ما يجثو على ركبتيه.. لقد رأته آسية ..!، كان يبدو وكأنه في مأذق أو يحتاج لمساعدة، اقتربت منه وهي تتحامل على عكازيها وصدمة ما رأته ..!، أزدادت ضربات قلبها اضطرابًا.. مستحيل.. أنه هو.. عمر !؟

عمر..!، أهذا أنت !؟

التفت إليها ونظر إليها، كان يتصبب عرقًا.. يبدو متعبًا..

آسية..!؟، يبدو بأنك قد تعافيتي تقريبًا ..!، تتطورين بشكلٍ مذهلٍ ..!

قالها وهو يجبر نفسه على الأبتسام، يتنفس بصعوبةً بالغة، اقتربت منه وتركت عكازيها وجثت هي الأخرى على ركبتيها.. أربتت على كتفه..

عمر..، هل أنت بخير !؟، تبدو متعبًا ..!

بدأ عمر بالسعال ووجهه يزداد عرقًا وكذلك نفسه الذي يزداد صعوبة..

أشعر بالأختناق.. لا أستطيع التنفس ..!

تناست آسية ألمه وظهرت أبتسامه خفيفةً على وجهها..

أذن هذا حقيقي ..!، أنا لا أتوهم ذلك وهذا ليس حلمًا، أنت مازلت حيًا، أليس كذلك !؟

خرت قواه بالكامل وسقط بكامل جسده على الأرض.. حاول أن يخرج الكلام..

لم أقتل حينها، لكن يبدو أن نهايتي الآن ..!

بدأت آسية تتدارك المأذق الذي يمر به عمر..

لا تتركني يا عمر..، قاوم أرجوك، عِش لأجلي ..

بدأ يفقد وعيه تدريجيًا ..

عديني أن تستكملي علاجك، أفعلي هذا من أجلي..

بدأت الدموع تهرب من عينيها..

أعدك.. والله سأفعل، لكنك ستحيا لأجلي يا عمر، قاوم أرجوك.. سأحضر المساعدة حالًا..

حاولت مساعدته لكنه فقد وعيه بالكامل، صرخت آسية طالبة النجدة..

ساعدووونني..، أرجوكم ساعدوني..

سمعت صوتًا لا تعرف مصدره ..!، صوتًا يشبه البكاء أو النحيب.. الصوت يزداد وضوحًا، نظرت حولها لتعرف

مصدر الصوت لكنها لا تعلم أساسًا ما هذا المكان.. يتضح الصوت وكأن أحدهم يتكلم في المذياع..

عمر.. أين أنت؟!، أريد أنقاذك يا رجل!؟

حاولت آسية أن تحركه..

عمر.. عمر..، تحرك أرجوك، هناك من يسعى لأنقاذك!..

فتحت عينيها ببطء شديد، كانت الصورة مشوشة ثم تتضح بالتدريج.. ثم والدتها..

حمدًا لله على سلامتك يا آسية..، هل أنتي بخير!؟

تمتت آسية بصوتٍ منخفض جدًا..

عمر.. عمر يا أمي..

سكتت آسية للحظات جعلت فيهم والدتها تتساءل، عمر.. ما شأن عمر الآن؟!، هل كانت تحلم به؟!، بدا أن موضوع عمر ذاك سيكون لغزًا..، في البداية قالوا أنه قد قُتل ثم ظهر في الفيديو ثم أن زملائه لم يروا الفيديو ولم يروا جثته كذلك.. وكذلك هي تحلم به الآن..!، عادت آسية لتتمتم من جديد..

عمر يا أمي.. لم يممت !

حدقت بها والدتها مندهشة..

عمر في مأذوقٍ يا أمي، أنجدوه أرجوكم..

بدا أن كلام أبنيتها متوافقًا مع ما يحدث الآن رغم غرابته، أيعقل أن عمر لم يممت بعد؟!، حاولت والدتها تهدئتها..

سأفعل.. سأطلب المساعدة، أهدئي فقط..

غابت عن الوعي مرة أخرى..!، تسارعت الأفكار في عقل والدتها.. لقد سمعت قبل ذلك عن شيء يسمى تواصل الخواطر ولو كان هذا صحيحًا فإنه وبطريقة ما.. تواصلت آسية مع عمر وعلمت بأنه على قيد الحياة، فكرت مرة أخرى.. ربما يكون هذا مجرد هذيان، لكنها أبعدت هذه الفكرة عن عقلها.. تريد أن تتمسك بالأمل مجددًا.. لم يتم تأكيد خبر وفاة عمر بعد.. وربما يكون في مأذوقٍ حقًا..

عزمت والدة آسية على التحدث مع مصطفى وتستفسر منه على كل شيء، الوقت بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة معها.. أوشكت على الرحيل تمامًا، تحركت باتجاه الباب لكن حدث شيئًا لم يكن في الحسبان..!

فجأة سقطت والدة آسية هي الأخرى أرضًا دون أن يفهم الطبيب الذي فحص آسية منذ قليل أو نادية الممرضة ما الذي حدث.. حاولت نادية أن تساعد على النهوض مجددًا لكن يبدو أنها قد أغشي عليها تمامًا..

كانت تبكي.. كانت تتألم بكل جوارحها، لم تتخيل يوماً أنها قد تُنقب بين الجثث باحثاً عن ميت ..!، كانت تلك الحفارات قد قطعت الجثث أثناء دحرجتها للحفرة أو ما تستطيع الآن أن تسميها " المقبرة الجماعية " .. كانت تزيج رأس أحدهم مرة والمرة الأخرى تزيج يداً.. حاولت التقيؤ بسبب بشاعة ما تراه لكن ليس هناك في جوفها ما يجعلها تتقيأ أصلاً، كانت تتيقن أنها تبحث عن جثة عمر وليس عن عمر بحد ذاته.. فلقد مضى على دفنه حياً قرابة النصف ساعة !..

عندما عثرت عليه أخيراً كانت أنفاسه قد انقطعت كما هو المتوقع وفي محاولةً بئسة منها مسكت معصمه لتتحسس نبضه.. شعرت بنبضٍ خفيف، تسلل الأمل إليها في أنه قد يكون حياً، وضعت رأسها على صدره وبالكاد كان قلبه ينبض نبضاتٍ متباعدة، تسارعت نبضات قلبها هي فرحاً ونسيت بشاعة ما هي متواجده فيه حالياً.. وعلى الفور قامت ماريان بأخراج عمر من تلك المقبرة وبسرعة قامت بعمل تنفس صناعي له ثم ضغطت على صدره بقوة، بدأ عمر بالسعال معلناً أخيراً عن أذخال الهواء لصدره مرةً أخرى ..

كان عليهما أن يبتعدا عن تلك المقبرة لأنه من المؤكد بأن ذلك التنظيم الإرهابي سوف يعود لهما مجدداً، قامت ماريان بسحبه لذلك المبنى الذي أختبأت فيه منذ قليل، حل الغروب ومازال عمر في حالة غيابٍ عن الوعي، كانت تفكر في بداية الأمر عن سبب زحام المدينة في ساعة مبكرة كهذا من اليوم لكنها اكتشفت الأجابة بعدها بساعات !..

بعدها أخرجت عمر من المقبرة وخبأته في هذا المبنى المهجور عازمت على التجول قليلاً حول المنطقة، لاحظت أن هناك في أحد الشوارع القريبة عربات نقلٍ كبيرة ممتلئة بمساعدات غذائية وقد تجمع سكان هذه المدينة للحصول على هذه المساعدات، الآن فهتمت سبب زحام المدينة منذ صباح اليوم.. كانوا ينتظرون قوافل المساعدات، عازمت هي الأخرى في الحصول على واحدة لتملئ معدتها الفارغة هي وعمر الذي لم يأكل شيئاً أيضاً منذ يومين تقريباً..، لكن ما جعلها تهرب بالاتجاه الآخر هو أنها قد لاحظت سياراتٍ قادمة من بعيد.. تلك السيارات كانت مشابهة لتلك التي قامت بالمجزرة منذ قليل ..، أنه تنظيم داعش مرةً أخرى.. رأتهم حين قاموا

بالأستيلاء على هذه القوافل وقاموا بمجزرةً أخرى ..!، حينها هربت ماريان تجاه هذا المبنى المهجور بسرعة للأطمئنان على عمر ولحسن الحظ كان ما يزال عمر يغط في نوم عميق..

جذب أنتباهها تحرك عمر، كان لا يستطيع أن يرفع رأسه.. كلما رفعها سقطت مرةً أخرى ويغمض عينيه بشدة متأثراً بالم في رأسه، فتح عينيه بصعوبة بعد مساعدة ماريان له لأستعادة وعيه.. كان يحاول جاهداً أن يستعيد تنفسه ووعيه بالكامل، التفت إليها هذه المرة وقد بدا عليه أنه سعيد هذه المرة.. كان يفكر بسعادة وبصوتٍ مسموع ..

آسية..، أنها بخير..

ظل عمر يردد هذه الجملة، حاولت ماريان أن تكون أمامه مباشرةً ..

عفوًا!؟

أستند عمر على الحائط ورائه والأبتسامه تكاد لا تفارقه..

آسية.. لقد تعافت تقريباً، لقد رأيت ذلك ..

ماريان لا تفهم شيئاً ..

من تكون آسية!؟، أختك!؟

ضحك عمر ثم هز رأسه نافيةً..

لا لا.. زوجتي فقط..

أرتسمت تعابير الدهشة على وجه ماريان..

زوجتك..!؟، أنت متزوج!؟

بدا هو الآخر متعجب من أندهاشها ذاك!..

ما الغريب في هذا!؟

تبدو أصغر سنًا من أن تتزوج ..

أطلقت ضحكةً ساخرة ثم سألته ..

أي ذنب فعلت كي يتم اعتقالك مبكرًا ..

ابتسم عمر لمزاحها، ساد بينهما الصمت للحظات ثم قاطعته ماريان مجددًا ..

كنت تتكلم عن أن زوجتك قد تعافيت، بماذا أصيبت أصلاً!؟

أصيبت بشلل في حادثة، لكنني أقسم أنني رأيتها بخير .. ولكن ..

سكت عمر فجأة وهذا الصمت المفاجئ جعلها تنتظر كلمته التالية ..

و لكن ماذا!؟

لم تكن مسرورة .. ما معنى هذا!؟

يا رجل .. أنه مجرد حلم، كفى أن الله قد طمئنك عليها ..، فقط هي ربما تكون حزينة لأنك بعيدٌ عنها ..

فكر في كلامها قليلاً ..

أمل ذلك ..

عقدت ذراعيها وأضافت تعابير المزاح على وجهها ...

و الآن أخبرني .. كم مرة عليّ أنقاذك!؟، أنت مدينٌ لي مرتين ..

كانت ترى أن أبتسامته رائعة، كانت ستختفي أبتسامته تلك للأبد مرتين خلال يومين ..!، أسندت ظهرها للحائط

أيضًا بجانبه وراحت تفكر بصوتٍ مسموع ..

من يصدق أنني على مدار يومين كاملين لم أتم سوى ساعة واحدة فقط ..!، جائعة ومتعبة جدًا .. يا ألهي .

على ذكر الجوع .. بطني تصدر قرقرة .. ألا يوجد ما نأكله!؟

هزت رأسها نافية ..

للأسف لا .. كنت سأتمكن على الحصول على طعامٍ لكنني فشلت ..

شعر عمر بالخجل.. أذ من المفترض أنه يقوم برعاية تلك الفتاة.. عليه أن يتصرف كرجل.. لكن أين.. هنا.. هنا في العراق؟!، قاطع تفكيره أقترحها بمساعدته للنهوض، مدت إليه يدها .. هل سنمكث هنا طويلاً؟!، هيا.. علينا الأبتعاد عن هنا، علينا بالبحث عن الطعام.. وكيف سنبحث عن طعامٍ يا ..

سكت فجأة وقد فهمت ماريان أنه لم يتذكر أسمها..

ماريان.. أحفظ هذا الأسم رجاءً.. أنه سهل، هيا هيا..

خرجا من المبنى متسللين بلا جهة.. سارا في الطرقات لوقتٍ لم يحسباه، توقف عمر فجأة وكأنه قد تذكر شيئاً، التفت لماريان عاقداً حاجبيه في عدم فهم ..

أنتظري هنا.. لقد أخبرتيني أنك كنتِ على وشك الحصول على طعام ..!، متى كان هذا أصلاً؟!، أنا كنت معك طوال الوقت ..!

قبل أن تجيب هي كان هو قد أجاب نفسه.. بالتأكيد عندما كان مغشياً عليه، لكنه تساءل عن سبب أغمائه من الأساس!، كان يحاول تذكر الأمر غير مستمع لكلام ماريان.. سمعها عندما عاد من شروود عقله ...

.. لكن أليس من الغريب أنك تقوم بالتمثيل وتستمر به رغم أنك ترى نفسك تُدفن؟!، كيف لم تنكشف؟!؟

حذق بها في عدم فهم..

من الذي تم دفنه؟!؟

لا تقل لي أنك لم تُمثل ..!، عموماً تصلح أنك تكون ممثلاً في هوليوود..

مازال لم يستوعب الأمر.. تمثيل.. دفن.. ماذا حدث أذن؟!، أستوقفها ليفهم ما حدث..

في حقيقة الأمر أنا لا أفهم شيئاً يا ماريان..

أحست فعلاً أنه لا يفهم شيئاً وشرحت له منذ أن أفترقا في صباح اليوم بسبب هجوم ذلك التنظيم حتى تم أفاقته من الغيبوبة منذ قليل، منطقياً لا يتم تصديق ذلك على الإطلاق.. لكنه قد حدث بالفعل.. لقد أغشي عليه بسبب أختناقه تقريباً من الجثة التي كان يختبئ تحتها ..!، على كل حال لقد نال منهم التعب بعدما ساروا لمسافاتٍ

طويلة في شوارع الموصل، تضوروا جوعاً ولا شيء هنا يوحي بالحياة أصلاً في هذه المدينة المهجورة، بادرت ماريان بأقتراح..

لن أتحمل أكثر من ذلك، تعالي معي..

تقدمت خطوات أمام حتى أستوقفها عمر..

لأين..؟!

عقدت ماريان ذراعيها في إشارة للأحتجاج..

أليست معدتك خاوية؟!

أوماً عمر برأسه أيجاباً، ثم أكملت هي كلامها ...

أذن سنبحث عن طعام بأي وسيلة ممكنة..

لم يكن يتصور عمر يوماً بأنه سيكون متسولاً يبحث عن لقيمات يسد به جوعه، وما يزيد الأمر سوءاً بالنسبة له هو أنه أصبح مسؤولاً عن تلك الفتاة ماريان، قطعت ماريان تفكيره مجدداً عندما أشارت لعمر في نهاية هذه الضاحية على شارع يبدو مأهولاً بالسكان أخيراً..

حسناً.. سنطلب المساعدة.. نحن غرباء ولا بد من أن هناك أحد ما سيساعدنا..

تقدمت ماريان أمامه.. أما هو فتبعها وهو يفكر في صياغة جملة قصيرة يقولها لأحدهم لطلب الطعام.. يبدو الأمر مهيناً، وعند وصولهم منزل ما ظهرت الخيبة على وجه عمر لأن ماريان هي من قامت بالأمر وليس هو.. ليس هذا فقط..!، فقد أغلق الباب في وجههم من الأهالي وتمت معاملتهم كالمشردين فعلاً، حسناً.. يبدو الأمر مهيناً ومخجلاً أيضاً بالنسبة له..

لكن لم يمنع ذلك ماريان من مواصلة هذا.. صحيح أنها تشعر بالخجل لكنها مضطرة، هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لها.. لا وقت للخجل الآن لأنهم سيضطرون لفعل ذلك في النهاية، كان لديها أنطباع أولي عن عمر بأنه خجول نوعاً ما لذلك فضّلت ألا تُشعره بذلك قدر الأماكن..

وصلاً لبيت في منتصف الشارع وتقدمت ماريان لطرق الباب، سمعا صوت فتاة صغيرة من الداخل..

من الطارق..؟!

تهدت ماريان وعزمت على تغيير طريقتها هذه المرة ..

هل والدك موجود !؟

التفتت لعمر ورائها فهزت كتفيها بعدما رأت تحديق عمر بها..، لقد وضعته في مواجهة مع الرجل، سيكمل هو الطريق أذن، فُتح جزءٌ صغير من الباب وظهر نصف وجه لفتاةً تبدو في مقتبل العشرينات ..

هو نائم الآن، هل أوقظه.. !؟

شعرت ماريان بالأرتياح.. هذه فتاةً في نفس سنها تقريباً وستعرف كيف تتعامل معها، فتحت الفتاة الباب كاملاً، كانت فتاةً جميلة وكانت تبدو أصغر من أنها في مقتبل العشرينات، تنح عمر جانباً فيما أستلمت ماريان تلك المهمة مجدداً.. فتاةً صغيرة ولا بد وأنها ستفهمها بالتأكيد..

في الحقيقة نحن لا نعرف والدك..

التفتت ماريان حولها ثم عادت لتكمل للفتاة ما جاءت لأجله..

نحن غرباء عن هذه المدينة ووقعنا في مأذق، لم يعد لدينا ما نأكله و...

بدأت الفتاة أنها لم تستمع لماريان.. كانت تحديق بذلك الوجه المرتبك خلف ماريان، كانت تحديق بعمر.. فجأة دخلت الفتاة مسرعة وتركت الباب مفتوحاً، لم يفهما ما حدث للتو ونظرا لبعض في عدم فهم، التفتا وقررا الرحيل.. لكن فجأة خرج أحدهم من البيت مهرولاً للحاق بهم ..

مهلاً ..

التفتا ناحية الرجل، كان يحديق بعمر وكأنه لا يصدق ما يراه، سأله الرجل..

أنت عمر.. أليس كذلك !؟

عمر وماريان كلاهما لا يفهمان ما يحدث..!، من هذا الرجل وكيف عرف عمر !؟، أوماً عمر برأسه أيجاباً دون فهم منتظر تفسيراً لما يحدث.. كانت الفتاة تقف خلف أبيها على ما يبدو، عندما أوماً عمر برأسه فرحت الفتاة ...

ألم أخبرك يا أبي !؟، أنه هو.. عمر !

فرح الرجل وكأنه قد رأى صديقًا عزيزًا بعد غيابٍ طويل.. على الفور قام بأزاحة نفسه من على الباب وأشار لعمر وماريان بالدخول..، بدا مرحبًا بهم بشكلٍ مريب.. ينظر عمر وماريان لبعضهما في توجس..، أشار الرجل لهما بالجلوس فجلسا وقد تناسوا جوعهم بسبب هذا الأرتباك..، جلس الرجل أمامهم وقد بدا عليه مرحبًا بعمر أكثر!
!..

أهلاً بك في بيتي يا بطل، أنه لشرفٍ لي أن تكون هنا في بيتي..

حذق عمر بالرجل وكأنه بدأ يدرك ما يعنيه الرجل، لم تستطع ماريان أن تصبر أكثر من ذلك، ما يجري الآن خارج نطاق الفهم كليًا..

سيدي.. هل تعرف عمر؟!

رد عليها الرجل بحماسة...

و من في العالم لا يعرف ذلك الجندي البطل؟!

دُعر عمر وتصبب منه العرق فجأة، أيمن ما يفكر به صحيحًا؟!، ستكون مصيبة.. وكان أيضًا هذا نفس شعور ماريان.. لكن المفارقة هنا أنها تأمل أن ما تفكر فيه يكون صحيحًا، فكرت في إنهاء هذا الجدل والتوتر وعد الفهم، سألته بوضوح...

سيدي.. حقًا نحن لا نفهم شيئًا، كيف عرفت عمر؟! أو ربما يجدر بي سؤالك عن أن كيف العالم كله يعرف عمر؟!

تعجب الرجل من سؤال ماريان، شك في الأمر لكنه شعر بأن هناك خطأ ما...

حسنًا..، العالم كله شاهد الفيديو..

للحظة تجمد عمر في مكانه.. دُعر وخاف من الفضيحة.. كيف حدث هذا بالضبط؟!، نظر لماريان التي كانت بجانبه منذ لحظة.. أنها ليست كذلك الآن..!، منذ أن سمعت ماريان أجابة الرجل وهي تقوم بحركاتٍ بهلوانية فرحةً بما سمعت، حسنًا.. يبدو أنها هي فعلاً من فعلت هذا، دار برأسه ما حدث حينها في لحظة، عمل الرجل على تهدئة ماريان التي تكاد أن تلمس السقف..

أذن يبدو أنك أنتي المراسلة ماريان التي قامت بتصوير الفيديو.. لقد أنقذتني عندما كاد أن يُقتل من ذلك الداعشي ..

كانت ماريان غامرة في السعادة.. لقد ظنت أن الكاميرا لم تعمل أو أن البث قد أنقطع..

، نظرت بساعتها ثم لاحظت جهاز التحكم أمامها..

أرجوك.. ما هو رقم قناة " Exclusive news " ...

القناة رقم ٢٥ ..

كان الآن هو ميعاد بث برنامج شيرين عبد النور، شكلت ماريان رقم القناة وأسرعت لتنصت للبرنامج، فجأة تنبه الجميع لأنكسار عمر وعدم مشاركته الفرحة رغم أنه بطل الحدث.. أقتربت إليه ماريان وحاولت أن تستنطقه ...

عمر.. ماذا بك؟!!

عمر ينكس رأسه صامتًا دون كلام أو حركة، الجميع كان حوله ولا يفهمون ما حدث أو ماذا حلّ به فجأة..!، فجأة تكلم عمر بنبرة يخالطها العتاب والحزن..

لماذا يا ماريان؟!، لماذا أنقذتيني ثانية؟!!

بدا صوته أكثر عتابًا..

كان عليك أن تتركيني هذه المرة..

بدا على الجميع أنهم لا يفهمون شيئًا، بدأت شيرين عبد النور مقدمتها لبرنامجها الليلة ..

** برنامج شيرين..

يبدو أن أسرار هذا الفيديو لن تتوقف أبدًا.. وهذا ما جعله يتربع على عرش اليوتيوب هذا العام خلال يومين فقط.. حيث وصل عدد مشاهدات هذا الفيديو إلى ما يقارب الخمسمائة مليون مشاهد والعدد يزداد كل لحظة..

سرٌّ جديد قد يكون هو الأهم والأقوى.. والأشد فرحًا كذلك، وقد يكون نقطة تحول أيضًا..

كانت مقدمة شيرين تلك قد جذبت أنتباه الجميع.. وكأن الجميع تيقنوا بأن لتلك المقدمة النارية وذلك السر تحديداً علاقة بحالة عمر الحالية، أما عمر فكان يعرف ما ستقوله شيرين.. كان لسان حاله.. لا تفعلني أرجوك..
أكملت شيرين..

بالأمس عرضنا لحضراتكم معلومات تخص هذا الفيديو وأحد هذه المعلومات أن ذلك الجندي المصري اسمه " عمر محسن عبد العال " وهو يشغل منصب صف ضابط احتياط في الجيش المصري وهو أحد مساعدي اللواء صفوت الدكتوروي المستشار العسكري المصري في الكتيبة المصرية التي شاركت في اليمن ..
سكنت للحظة وكأنها تفكر في الطريقة المناسبة التي ستعرض بها الخبر ..

وكما هو المعروف في تلك الجماعات المتطرفة كت تنظيم داعش الإرهابي أن رجالها لا يستخدمون أسمائهم الحقيقية.. بل يستخدمون أسماءً مستعارة أو ما نستطيع أن نسميها نحن " كنيات " .. أسماء تعود مثلاً لعصر الخلافة الإسلامية ...

كنية هذا الرجل الداعشي الذي قتله عمر هو " أبا عمار " وهو الرجل الثاني في تنظيم داعش، لكن هذا ليس السر المفزع الذي سنقدمه لكم..

بدا على ماريان والرجل وأبنته التركيز الشديد مع مقدمة شيرين النارية.. يبدو أن سر تلك الليلة مفاجأة من العيار الثقيل، أما عمر فقد أستسلم للصمت، حان للحقيقة أن تنكشف ..
أكملت شيرين..

السر يكمن في الأسم الحقيقي لهذا الرجل الداعشي البارز في التنظيم.. أسمه هو ..

توقف العالم بأسره بالنسبة لعمر، أما الجميع فحدقوا بعمر غير مصدقين.. مستحيل.. مستحيل ما يحدث.. لا سيما ماريان التي شعرت وكأنها قد قتلت عمر بتصويرها لهذا الفيديو..

أكملت شيرين ...

أسمه هو.. " أدهم محسن عبد العال.. "

كان شريف وأيمن هما الوحيدان المتبقيان من هذا الأتجتمع الأخير..، كان يبدو على شريف التعب.. فهو لم يغادر مكتبه منذ ثلاثة أيام..!، كان لديه تفاني في العمل غير طبيعي ولا بد أن يباشر على كل العمليات بنفسه.. فلقد تم أحباط عمليتا تفجير ليلة أمس في الساعات الأخيرة كانت ستتم في محافظات الصعيد..، هذا بالإضافة لعملية خطف الجنود المصرية منذ أيام في اليمن، عندما لاحظ أيمن الأرهاق الشديد الظاهر جلياً على شريف حاول أقناعه بالراحة ..

سيد شريف.. لماذا لا ترتاح قليلاً؟!، لن يجدي عملك هكذا ..

لا يبدو على شريف أنه كان يسمعه، وضع يديه فوق رأسه ومال بظهره للوراء في شعور تام بالأرهاق، أعاد عليه أيمن اقتراحه بالراحة لكنه أيضاً لم يلقي أي أجابة، كان يبدو عليه التفكير أكثر من الأرهاق ..، كرر أيمن ندائه..

سيد شريف..، فيم تفكر؟!،

أنتبه شريف هذه المرة..، مال للأمام هذه المرة متكئاً على منضدة الأتجتمع ويبدو عليه التفكير بأمر ما، فكر في أن يجعل أيمن يشاركه أفكاره..

ما الذي جعل عمر يقتل أخاه؟!، والأهم من ذلك.. كيف وصل أخوه لتنظيم داعش بل وشغل منصباً هاماً هناك في التنظيم؟!، نحن نتكلم هنا عن ثاني أهم قيادي لأكبر التنظيمات الإرهابية في العالم..!

أجابه أيمن ..

لو أستعرضنا الفيديو مرةً أخرى سنجد أن عمر في البداية كان مصدوماً من رؤية أخاه في هذا المكان وكونه داعشي، ربما قتله لأنه داعشي في النهاية..

هز شريف رأسه نافيةً ...

نصف كلامك الأول صحيح.. لقد صُدم عمر عندما وجد أخاه المختفي منذ أعوام داعشي، لكنني لا أظن أنه قتله لأنه داعشي ..!، لا لا.. لقد دار بينهما قتالاً.. في البداية بدا على عمر الأستسلام أو الصدمة من ضرب أخيه له بهذه الطريقة.. لم يكن ليريد أن يقاتل أخيه، وعندما نتكلم عن غريزة حب البقاء سنجد أن عمر وجد نفسه على وشك الموت من ضربات أخيه المتتالية فتحركت نفسه للدفاع عنه دون أن يدري.. لقد كاد أيضاً أن يُذبح ..!، لم يفكر حينها بأنه سيقاتل أخاه.. كان يقاتل شخصاً كاد أن يقتله، ضرب أخيه له جعله يفقد أعصابه ويقاتل أخيه ..

لم يقتنع أيمن بكلام شريف..

لكن ليس لدرجة قتل أخيه سيد شريف ..!

رد شريف بحدة ...

لقد كانت نية أخيه القتل يا أيمن، أنا لا أعلم كيف أستسلم عمر كل هذا الوقت.. كيف لم يعمل دماغه على حماية نفسه عندما كاد أن يُقتل أول مرة ..!، ولولا تدخل تلك المراسلة ماريان لكان عمر هو المقتول، هل ستصدقني لو قلت لك أن عمر لم يقصد قتل أخيه أصلاً..؟!، لقد قام عقله بالغاء وعيه تماماً وأستلم هو الأمر بدلاً عن عمر ..

أقترب شريف من أيمن ...

كرد فعل طبيعي قام دماغه بالدفاع عنه بالغاء فكرة أنه يُقاتل أخيه الذي وبالمناسبة كاد أن يقتله منذ قليل لولا تدخل ماريان.. هكذا كان دماغه وعقله يعملان في تلك اللحظة، فهمت يا أيمن..؟!

أقتنع أيمن قليلاً بكلام شريف، يبدو تحليلاً منطقياً بعض الشيء، راوده سؤال منطقي أيضاً..

و أين هو الآن؟!، أظن بأنه لديه الكثير ليخبرنا به ..

هز شريف كنفه لا يعلم..، كان سيحييه ولكن صوت السماعه الداخليه لقااعه الأجماعااع قطعاع كلامه ... أنها مساعااعه..

سيد شريف.. عااا على المقاطعة، هناك أااااا عااا في مكابك سيدي..

أسرع شريف بأااا مكابه وابعه أيمن، رفعا شريف سماعه الهااف ...

ها..، ما الأااا؟!!

بدا عليه العصبيه فعاة وهو ينعص للهااف ..

و كيف امكننا من الهرب؟!، أربعة أشخاص ضاااااا وهربا منكم؟!، لا باا وأن اعاااااااا..

بدا صوااا يراااا أكثر..

أسمعني جيأا.. أبااااا عنهم في كل مكان.. بالاااااا لم يباااااا، لن أعااا مكابي إلا وهم أمامي هنا.. مفهوما؟!!

أعلق الهااف بعصبيه معاااa

في الحلم يمكننا أن نعيش ألف واقع...، كانت في عالمها الخاص حين فتحت عينيها لا تتذكر شيء سوى تلك اللحظات التي كانت معه في الحلم، ظل عقلها يكرر لها حلمها...، لم تكن لتبالي بأنه في الحلم كان يعاني بقدر ما كانت سعيدة لرؤيته على كل حال.. لم يمت ولا بد وأن تفسير ذلك الصوت الذي ظهر لها في الحلم بأن هناك أحدًا ما سيساعد عمر في محنته، المهم أنها رآته حتى لو كان ذلك حلمًا.. لقد حقق لها حلمها ما عجز عنه واقعها.. لنصف ساعة وهي ممددة على سريرها محدقةً بسقف الغرفة ومنفصلة عن العالم الخارجي غارقةً في عالمها الخاص، لم تدرك ما يحدث حولها إلا بعد ألحاح نادبة الممرضة لأفاتها..

نظرت آسية لها في شرود وكأنها لأول مرة تراها، تنهدت آسية ...

أخيرًا يا آسية..، كيف حالك الآن عزيزتي!؟

لم تجيبها آسية، مازالت تحت تأثير الحلم، فكرت نادبة في طريقة لأخراج آسية من شرودها هذا ...

حسنًا.. ما رأيك لو تسمعين أخبارًا سارة!؟

لم تتلقى نادبة سوى الصمت مرةً أخرى، فكرت أن تتلاعب بها لتشير أهتمامها..

حسنًا.. يبدو أن الأخبار التي سمعتها عن عمر لا تهتم أحدهم..

و كأنها لم تسمع شيئًا سوى اسمه..، التفتت آسية لنادبة فجأة وقد بدا عليها الأهتمام.. كانت متلهفة لسماع أي خبرٍ عنه عدا وفاته، حتى لو كان في محنة فسيراودها الأمل برجوعه يومًا ما، حاولت أن تستجمع تركيزها من جديد وسألته..

أين عمر!؟ أحيي هو أم ...!؟

لم تكن تريد نطق أو مجرد التفكير حتى أنه ميت، بدت على نادبة أنها ستمازحها لكن نظرة آسية الجدية لها جعلتها تتراجع عن ذلك وتخبرها بما عرفته، مالت عليها لتهمس لها..

سمعت المدير وهو يتكلم على الهاتف مع أحد ما وهو متفاجئ لا يستطيع تصديق أن عمر مازال على قيد الحياة
!..

تدفق الدم فجأة في وجه آسية وأحمر وجهها وأغرقت عيناها بالدموع في لحظة، نزعت الغطاء عنها بسرعة
والتفتت بسرعة لتبحث عن عكازيها لم تعد تعتمد عليهما لكنها الآن تريد الأسراع، همت بسرعة باتجاه الباب..
سألته نادياً ..

إلى أين ..؟!؟

أجابته آسية بلهفة غير مسيطرة على دموعها ...

لقد حلّمت بعمر، أنه حيّ فعلاً ولم يمّت، أنه حي يا نادياً ..

لكن إلى أين ستذهبين الآن ..؟!؟

كانت آسية قد خرجت من الغرفة مسرعة، لحقت بها نادياً وعرفت أنها تتجه لمكتب المدير لتعرف كل شيء،
كانت تسرع وكأنها قد شُفيت تماماً.. يغمرها أحساس الفرح والأمل لسماع شيء واحد فقط.. أنه حي، لكن
لحظة، توقفت فجأة..، هناك شيء ما ينقصها ، للحظة تملكها شعور غريب ..!، كانت تبحث عن شيء لا تعرفه
..

ما كانت تخشاه نادياً على وشك الحدوث.. لم تكن تريد أخبارها عن الكارثة التي حدثت صباح اليوم بنفسها،
كانت تُفضل أن يخبرها أي شخصٍ آخر غيرها.. كانت تحاول أن تجد كلماتٍ لتجيبها على السؤال الذي
ستطرحه آسية حالما تتذكر هي ما الشيء الذي ينقصها..

أما ما يدور في عقل آسية فقد وصل لحد الغرابة.. يزداد أحساسها بالحيرة والتوتر.. يزداد ضربات قلبها سرعة..
فرحتها تنقصها شيء أساسي، مستحيل.. كيف يفوتني هذا.. كيف فاتني أن أسأل عنها؟!؟ أين هي أصلاً؟!؟
التفتت لتسأل نادياً ..

نادية.. أين أمي؟!، أنا لم أرها حين تمت أفاقتي ..!

أبعدت نادية وجهها عن آسية وأفكارها تتسارع بحثًا عن مخرج من هذا المأذق..، بماذا تجيبها؟!، تخاف أن تخبرها بما حدث فتكون هي السبب في عودة الشلل إليها مرةً أخرى أو كارثة أخرى تحل بها، طال صمت نادية وهذا ما جعل التوتر يتسرب إليها.. تلعثمت نادية في الرد عليها ...

أظن أن .. علينا أن .. المدير ينتظرك..

تعجبت من تلعثم نادية هكذا ..!، لكن سرعان ما بدأ الشك يراودها.. تذكرت كلمات والدتها عن مرضها..

" سبب أخفيته عن الجميع.. مرضي.. أصبت بالسرطان.. حين أغادر الدنيا، دعيني أرحل مطمئنة "

حدقت بنادية وصوتها يزداد حدة..

نادية.. أين أمي؟!!

بدا العرق الذي ظهر على وجه نادية نديراً لخبرٍ مشؤم لا تنتظر آسية سماعه أبداً ...

أملك..، لقد..

نفذ صبر آسية.. صرخت بوجه نادية لتخبرها بالأمر، وهذا ما زادها أرتباكاً.. بدأت عيونها تغرقها بالدموع ..

بعد أن أغمي عليك.. سقطت هي الأخرى، وعندما قام الطبيب بفحصها.. وجدها ..

توقف الزمن أيضاً بالنسبة لها، وقد رأت الكلمة تخرج من نادية قبل نطقها أساساً..

لقد ماتت بسبب السرطان ..

وعلى غير المتوقع.. صمتٌ مخيف ومنذر بما هو أسوأ قادم، حدقت آسية في الفراغ.. مرت لحظات على

صمت آسية الرهيب، وكالهدوء الذي يسبق العاصفة بدأت عيني آسية بالدموع وبصوتٍ منخفض..

لماذا أنا بالذات..؟!، لماذا يحدث هذا معي..؟!!

لم تتحملها قدمها وأنهارت على الأرض.. بدأت تنهار وأخذ صوتها يرتفع شيئاً فشيئاً، حاولت نادبة تهدئتها لكنها فشلت.. فقدت آسية السيطرة على نفسها تماماً، وبصوتٍ يصم الأذان رفعت رأسها لأعلى وعاتبته الله على ما شاء..

لماذا أنا يا ربي؟! لماذا تفعل بي هذا؟! لماذا أنا بالذات من تريد أبتلائها؟! ألا يوجد من يُبتلى غيري؟! تجمع حشدٌ حولها والجميع يحاول تهدئتها.. ولكن ذلك ما أثار أعصابها أكثر وأصبحت أكثر اعتراضاً لله بعد أن فقدت عقلها هذه اللحظات ...

توقف يا ربي.. لا أريد المزيد من الأختبارات.. توقف أرجوك.. توقف.. توقف..

بدأ صوتها ينخفض تدريجياً، أنحنت وأتخذت وضعية السجود، تهذي بكلماتٍ غير مفهومة.. تتنفس بصعوبة، تدخل أحدهم وسط هذا الحشد وحملها وتابعته نادبة، لم يُعشى عليها ككل مرة لكنها فقدت أدراكها بمن حولها كلياً، لم يكن أحد ليتحمل كل هذا ويظل على قيد الحياة.. قد يكون الموت أرحم به..

أحياناً تتولد لدينا الرغبة الشديدة بالموت لنرتاح من عبث هذه الحياة.. نريد البكاء والصراخ بأعلى صوتٍ ممكن ولكن ما فائدة هذا إن لم يشعر أحدهم بالمعاناة والألم الذي نحتويه..!؟

في البداية كان هو الوحيد الذي يعرف أنه قتل أخيه.. كان حينها يبكي بصمت ويعاتب نفسه بصمت.. كان يتحمل وزره بنفسه ولا أحد يعلم، لكن الآن العالم كله بات يعرف ذلك..، راودته أسئلة منطقية ووجودية بالنسبة له.. هل سيفهم العالم أنه لم يقصد قتل أخيه!؟، هل سيفكر العالم في أن أخاه كان يسعى لقتله وهو قد قتله بحركة لا أرامية!؟، والأهم من ذلك العالم.. كيف حال والديه بعدما شاهدوا أبنائهم يقاتلون بعضهم أمام العالم كله وأن أحدهما قتل الآخر!؟، كيف سيغفر والديه عنه بعدما قتل أخيه الذي أختفى منذ سنوات!؟، كيف سيستقبلوه عندما يرجع إليهم، سيطردونه أم أنهم يتفهمون الأمر!؟

بدت ماريان متأسفةً جداً مما فعلته، لم تقصد أن تجرحه بالتأكيد، لقد صُنِعَ أهم حدث في حياتها بسبب هذا الفيديو وبسببه أيضاً سيعيش عمر حياته المتبقية حاملاً لذنباً لم يقصد فعله.. سيعيش حياةً صعبة وشاقة.. سيتألم في كل لحظة وكل حين، الجميع سيهاجمونه ويلعنونه وقد يتبرأ والديه منه، لا تعلم ماذا أقتربت لتجعل شخصاً ما تعيشاً هكذا!..

أما عن الرجل وأبنته فقد بدأت تتلاشى لديهم صورة البطل الذي قتل داعشي بارز، قتل أخيه على أية حال.. فكر الرجل في الأمر لحظة.. ماذا كان عساه أن يفعل عمر..!؟، كان أخوه سيقتله مرتين ولولا ماريان لكان عمر ميتاً بالفعل!، كان من الطبيعي أن يدافع عن نفسه، لكن من الطبيعي أيضاً أن يشعر أنه آثمٌ وقاتل..

حاول الجميع أن يهدئ من حاله البائس لكنه كان غارقاً في عالمٍ آخر.. لحظة قتل أخيه تتكرر أمامه دون توقف.. ماذا سيكون ردة فعل والديه وبماذا سيجيبهم!؟، حاول الرجل تقديم الطعام له لكنه لم يستجب أيضاً، أقتربت منه ماريان وربت على كتفه تحاول تهدئته وأخراجه من حالته تلك..

عمر أنا آسفة..، لم أقصد أن يحدث هذا لك..

مازال الصمت يخيم عليه.. يتنفس بسرعة، أكملت هي ..

أقدر جيداً ما تمر به..، صدقني عندما نرجع مصر سأشرح للجميع حقيقة ما حدث و..

و كأنه كان ينتظر تلك الكلمات ليبدأ نوبة غضبٍ مفاجئة..

لا.. لن أرجع مصر أبداً، إذا كنتِ تريدين الرجوع فأفعلي ذلك بمفردك..

صدمتها تعصبه المفاجئ ..

بسببك أنتي أصبحت قاتلاً وليس أي قاتل.. تخيلي أنه بسببك قتلت أخي ..!، بسببك أنتي سبتيراً والدادي مني،

الأمر واضحة لدى الجميع الآن.. لقد قتلت أخي..

كأي فتاة ضعفت أمام غضب عمر الجارف، قاومت خروج دموعها، وقامت بتصعيد حدة الكلام معه..

لو لم تقتله أنت لكنا أنا وأنت في عداد الموتى ...

و لولا وجودك الغير مبررٌ هناك لكنك أنا الميت وأنتي على قيد الحياة كذلك، بربك ماذا كنتي تفعلين هناك!؟

كنت أقوم بعملتي يا عمر ..

صاحت به أكثر وقد أظهرت تحدي شرسٌ ضده ...

أنت وجودك في هذا المكان غير مبرر ..!، كيف جئتم العراق!؟ ولماذا أنت بالذات من صعد لذلك المبنى

بالذات!؟، ليس هناك تفسيرٌ منطقي لذلك سوى أنك كنت تعلم مكانه وقد أتيت إليه لقتله، أنت أردت أن تكون

بطلاً ويصفق لك الجميع..

أستمرت ماريان في توجيه الضربات القاضية له، أقتربت منه ثم أكملت بأخر ما أستنتجته..

لقد كنت تعمل على حمايتي طوال الوقت حتى تصل إليه، طبيعي أن تستغل وجودي لصالحك هناك، قتلته وكأنه داعشي فقط، وبذلك تظهر بطلاً أمام العالم.. كان تمثيلك بارعاً يا عمر، لقد أقنعت العالم كله أنك قتلت داعشيً بارز، لكن لسوء حظك لم يدم هذا سوى ليوم واحد فقط ..

تحدي ماريان له جعلتها تتفوه بكلمات تدين بها عمر، جعلت الجميع يقف مصدوماً بما فيهم عمر نفسه، للحظات تكرر مرةً أخرى لحظة قتل أخيه.. مستحيل.. كلامها منطقيّ جدًّا!..، هو نفسه أفتنع بكلامها، خرت قواه فعلاً ولم يعد قادراً على الوقوف.. بدا مستسلماً وقد تملكه اليأس بقوة أكبر هذه المرة..

ساد الصمت للحظاتٍ طويلة في المكان وبصورة أقرب للجنون ردد عمر ...

لا.. لا لم أقصد.. أقسم بربي أنني لم أقصد قتله.. لم أقصد ذلك..

فقد السيطرة على نفسه وشحب وجهه فجأة وأخذ يرتجف وهو يردد تلك الكلمات بصورة متقطعة، هو نفسه لا يصدق نفسه!..، ندمت ماريان على أندفاعها الزائد.. لقد أخرجت كل شكوكها نحو عمر حتى لو كانت هذه الشكوك ضعيفة أو غير منطقية أو ربما ليس لها أساس من الصحة، هو من أستفزها وأضطرت لتدافع عن نفسها أمامه، أذ من غير المعقول أن تنقذه مرتين وفي النهاية يلومها على ذلك!..، لكنها جعلته يتألم على كل حال، ترددت في أن تعتذر له مجدداً لكنها شعرت بأنها قد قضت عليه فعلاً بهذه الاتهامات..

أقتربت ووقفت على مقربة منه لكن الرجل أستوقفها..

أتركه الآن.. لا نريد أن تتفاقم الأمور أكثر من ذلك، دعيه يهدأ أولاً..

أومأت برأسها متفهمةً الأمر وراقبت عمر الذي كان يظهر عليه اليأس، خافت عليه من أن يتهور ويقوده تفكيره للإقدام على خطوة خطيرة.. كالانتحار مثلاً..

جميع من حولها قد رحل...، تساءلت ماذا فعلت كي يحدث لها كل هذا؟!، هناك من رحل دون عودة.. وهناك من غادر ولم يبالي.. وهناك مفقود.. نعم مفقود.. لقد علمت بأن عمر مفقودٌ في العراق.. مصيره مجهول.. أخبرها بذلك مدير المستشفى، عمر مازال على قيد الحياة لكنه مفقود ومازال البحث عنه جاريًا..

لم تعد تؤمن بأنها ستلاقيه مجددًا يومًا ما.. سيرحل كما رحل الآخرون، آخر من رحلت هي سندها في الحياة.. صندوق أسرارها.. رحلت عن الدنيا وما فيها.. رحلت والدتها.. لا تعلم كيف غفلت عن مرض والدتها.. حتى لو نجحت والدتها في إخفاء الأمر عن الجميع كان ولا بد أن تعلم بهذا سواء أخبرتها والدتها أم لا.. عاتبت نفسها كثيرًا، حتى بعدما أخبرتها والدتها عن مرضها كان عليها أن تعيش كل ثانية معها.. تهتم بها وتعانقها وتضحك وتمرح معها.. لكنها للأسف أشغلها أمر عمر مرةً أخرى حتى رحلت عنها فجأة..

و لم يقطع شرودها هذا سوى صوت الشيخ الذي يرتل القرآن على قبر أحدهم.. يبدو أن ساكني القبور ازدادوا نفرين خلال ساعةٍ واحدة، دُفنت والدتها هنا في سوهاج.. فلقد غادرت آسية المستشفى في القاهرة ومعها جثمان والدتها وقررت العودة للصعيد بعدما حصلت على تصريح الطبيب بالخروج وأمكانية أستكمال علاجها في بيتها، وقفت وهمت بالرحيل لكنها التفتت وألقت نظرةً أخيرةً على قبر والدتها...

أحتضنها ذكريات بعيدة لكنها شعرت وكأنها حدثت بالأمس..

عادت من الجامعة والسرور يملئ قلبها... هي وصديقتها أمانى تحدثا بشأن تصرفات عمر وصديقه الأخيرة وأستنتجتا أنه سيعترف رسميًا بحبه لها..، لم تلاحظ وجود ضيوف عندها عندما رجعت، طُرق الباب فأذنت بالدخول، أنه يوسف أخوها، عندما رأى أشراق وجهها..

تبدين سعيدةً اليوم.. منذ متى وأنتي تبترسمين بعد عودتك من الجامعة!؟

أتسعت أبتسامتها في وجهها..

أستطيع منعي يا هذا!؟، أمنعني أن أستطعت..

قالتها مازحةً أخاها، ابتسم هو الآخر ..

اليوم هو يومك ولا أحد يستطيع أفساد فرحتك...، ألا تريدان أن ترحبي بالضيوف؟!؟

ضربت بكفها على رأسها، لقد نسيت أن اليوم هو زيارة عمها..

نسيت ذلك..، حسنًا سأغير ملابسي وأخرج لأرحب بهم..

حسنًا سنتظرك..

خرج أخاها من غرفتها، وماهي إلا دقائق حتى خرجت آسية من غرفتها وهي ترتسم الابتسامة على وجهها ورحبت بعمها وزوجته وأبناء عمها محمد ومراد.. جلست مكانها وساد المرح المكان كله، لكن هناك أحدهم لم يكن مسرورًا.. والدتها.. هي الوحيدة التي كانت تكره هذه الزيارة بالذات وكانت تتعجب من تصرفات آسية..!، حدثت والدتها نفسها بأن هناك أمرًا ليس بمحله يحدث هنا.. ما سر سعادتها تلك؟!؟

ما أخرجها عن شرودها هذا أخو زوجها ...

ما رأيكم أذن بيوم الخميس المقبل؟!، أظنه مناسبًا للخطبة؟!؟

قالها وهو يربت على كتف ابنه محمد بفرحٍ وسرور..، قفزت آسية من مكانها فرحة وتساءلت غير مصدقة ...

يا ألهي.. محمد سيخطب؟!، مبروك يا محمد.. كنت أعلم بأن هذا اليوم سيكتمل بمثل هذا الخبر..

للحظة ساد الصمت المكان كله فجأة.. الجميع قاموا بتشبيت نظرم على آسية لا يصدقون ما سمعوا منها الآن.. حتى أن أخوها قد صُدم مما سمعه.. أذًا فهو قد أساء فهمها.. لم تكن سعيدةً لهذا السبب؟!، كذلك والدتها التي لم تعد تفهم شيئًا..!، أما والدها وعمها وأبناء عمها جميعهم قد أندھشوا لأنهم ظنوا أن سبب الفرحة في المكان كله واحدًا..

شعرت آسية بأنها قد أرتكبت خطأً ما .. راجعت تصرفها فلم تجد نفسها قد أخطئت في شيء ..!، حاول يوسف إنهاء حالة الأرتباك تلك ..

عذراً يا جماعة .. يبدو أن هذا خطئي .. في حقيقة الأمر أنا لم أخبر آسية بشأن حضوركم اليوم ..

نظرت آسية للجميع حولها وعندما نظرت لوالدتها ثانيةً بدأت تدرك الوضع جيداً .. عادت لتنظر لأخيها ولا تتمنى أن ما يدور بعقلها صحيحاً ..، التفت أخوها نحوها ...

حسنًا .. خطبتك يوم الخميس المقبل يا آسية .. على محمد ابن عمك ..

عاد الصمت ليسيطر على المكان .. الجميع ينتظر رد آسية التي شعرت بقشعريرة تسري بجسدها، قامت على الفور وتوجهت مسرعة لغرفتها .. لم تتخيل أن فرحتها ستتحوّل لكابوسٍ مزعج .. منذ قليل كانت تستعد لأعتراف عمر بحبه لها في قادم الأيام .. والآن يتم إجبارها على الزواج من شخصٍ غريب .. نعم غريب .. مادام هذا الشخص ليس عمر فإن الجميع غرباء وغير مرغوب فيهم ..!

دخل والديها غرفتها .. توجهت والدتها مباشرة نحوها أما والدها فكانت عيناه تستشيطان غضبًا لكنه فضّل الهدوء معها في البداية، سألها والدها ..

ما معنى تصرفك هذا ؟!

كانت تخشى مواجهته .. كانت تعلم ما معنى أنه غاضب، لكنها عازمت على مواجهته هذه المرة ..

أنا مازلت في الدراسة يا أبي ولا أفكر حاليًا في الخطبة أو الزواج ..

هز رأسه بتهديد ..

نادمٌ بشدة لأنني سمحت لك بدخول الجامعة، حسنًا .. سأصحح خطئي الآن وستتم خطبتك يوم الخميس القادم دون تأجيل ..

و بتهورٍ واضحٍ اعترضت ..

لا

لم تكن لتكمل اعتراضها حتى وجدت أنها قد صُفعت بقوة على وجهها، أسرع والدتها لتحميها من بطش والدها هذه اللحظة وأحتضنتها، التفت والدها لوالدتها ...

أنتي من قمتي بتدليلها هكذا...، أنا غير مستعد لخسارة علاقتي بأخي من أجل تلك الغيبة..

أعترضت والدتها على كلامه..

لكن هل تفضل أخاك عد ..

لم تكمل سؤالها حين قاطعها وهو يوجه إليها تهديدًا ...

كلمةً أخرى وسيتم طردك لبيت أهلك..

خرج من الغرفة وهو يحاول إعادة رسم الأبتسامة على وجهه.. كان يحاول أن يقنع أخيه بأن أبنته قد تفاجئت بالأمر ، أزداد نحيب آسية في حزن والدتها المستسلمة تمامًا.. لا تستطيع أن تنقذ أبنتها من هذه الزيجة القهرية ... !

الآن أصبحت آسية يتيمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. التفتت ثم غادرت المقابر، أوقفت سيارة أجرة وساعدها السائق على وضع حقيبتها بالسيارة..

إلى أين سيدتي..!؟

أخرجت آسية قضاة ورق ثم أعطتها له..

لهذا العنوان من فضلك ...

حسنًا..

أنطلق بها السائق وأسندت هي رأسها على النافذة، من جديد غرقت في ذكرياتها لكن هذه المرة ليست بالبعيدة..، غرقت في وقت رحيلها من المستشفى.. أكثر من أفقدته هناك.. نادية.. تلك الممرضة التي أعتبرتها صديقتها.. لقد كان وداعًا حارًا وصعبًا مثل وداعيتها مع صديقتها أمانى حين كانت سترحل للعلاج..

أرتسمت أبتسامهً حزينة على وجهيهما، أسرعت نادية لحمل الحقيبة وأسرعت قبل آسية نحو السيارة أمام المستشفى وهي تبكي لا تريد رحيل صديقتها، بعدما وضعت الحقيبة أسرعت للعودة للمستشفى دون الألتفات لآسية.. تريد تجنب توديعها.. لكنها لم تتحمل الأمر وقررت النظر ورائها.. كانت آسية لم تغادر بعد.. كانت تنظر من النافذة تنتظر أن تنظر إليها نادية لتوديعها.. ابتسمت آسية لها وغادرت على الفور..

بكت نادية وتوسلت إليها أن لا ترحل.. لكن للضرورة أحكام.. لكنهما تواعدتا بألا يفقدا الأتصال بينهما.. قاطع السائق شرودها، لقد توقفت السيارة..

وصلنا سيدتي..

نظرت آسية حولها وتعجبت..

بهذه السرعة..!؟

نعم.. هذا هو العنوان المكتوب بالورقة وهذا هو الشارع، لكن أعذرينى سيدتي الشارع ضيق ولا يمكنني الدخول بالسيارة...

نزل السائق وأخرج الحقيبة وعندما نزلت هي وقفت وقد عرض عليها مساعدته لا سيما بعدما علم بأنها لأول مرة تزور هذا المكان لكنها شكرته وغادر...

بدأ شعورها يتغير.. بدأت تشعر برائحة عمر في هذا الشارع!، جرّت ورائها حقيبتها بصعوبة.. أسرع ولدّ صغير نحوها..

هل يمكنني مساعدتك يا خالة!؟

ضحكت آسية من لقب خالة تلك ..

نعم يمكنك ذلك، أنا أبحث عن منزل عمر ..

فرك الولد رأسه مفكرًا، أسرع آسية لتصحيح معلومات الولد .. ربما لا يعرف عمر أصلًا ...

أقصد منزل الشيخ محسن ..

فرح الولد وكأنه حل لغز ..

بالطبع أعرفه، أنه هناك في منتصف الشارع ...

أمسك الولد بالحقيبة وجرّها ورائه، وبحركاتٍ صبيانية ..

أتبعيني يا خالة ..

تبعته آسية ألى أن توقفا أمام أحد منازل الشارع، أشار لها الولد ..

هذا هو منزل الشيخ محسن ..

ترك الولد الحقيبة وغادر بعد أن شكرته، وقفت أمام المنزل لدقائق تفكر فيما ستقوله لوالدي عمر ..، ضغطت

على الجرس وأنظرت، بعد دقيقةً تقريبًا فتحت والدّة عمر الباب .. فوجدت فتاةً تبدو شاحبة الوجه تستند على

عكاز بيمينها وجانبها حقيبة كبيرة، سألتها آسية ..

والدة عمر .. !؟

أومأت والدّة عمر برأسها أيجابًا، بدت أن تلك الفتاة مألوفةٌ بالنسبة لها لكنها لم تتعرف إليها بعد، على الفور

حملت حقيبة آسية وأدخلتها المنزل ثم ساعدت آسية على الدخول ومن ثم جلستا على أقرب أريكة بجانب

الباب، تعجبت آسية من أستقبالها، كذلك جاهدت والدّة عمر لتتعرف عليها .. تبدو تلك الفتاة كانت عاجزة أو

تعرضت لحادثٍ ما.. وتناديها بأمرٍ بدلاً من أدهم.. لحظة.. أيمكن أن تكون هي؟!، ساد الصمت بينهما لدقائق ثم قررت آسية التكلم أخيراً...

أنا.. أنا..

تلعثمت في الكلام فجأة وبدت أنها مترددة، باغتها والدة عمر بسؤالٍ تخميني...

آسية..؟!؟

لم تتخيل والدة عمر أن تخمينها هذا سيترك أثر الدهشة على وجه تلك الفتاة، حتى هي أندهشت لأندهاش الفتاة، ردت آسية وهي محدقةً بها...

كيف عرفتيني؟!؟

ابتسمت والدة عمر..

كان مجرد تخمين، تبدين مألوفةً بالنسبة لي وحالتك تلك هي الوحيدة القريبة من عقلي..

أحتضنتها والدة عمر مرحبةً بها، حينها تذكرت آسية آخر مرة عانقت فيها والدتها..

هل هذا هو سبب أستقبالك لي هكذا؟!، رغم أنه مجرد تخمين..؟!؟

الحقيقة لا.. صحيح أنني كنتي مألوفةً لي في البداية لكن كونك تناديني بوالدة عمر فمعنى ذلك أنك لا تعرفيني سوى أسماً فقط، كذلك بدا عليك الأرهاق.. جئتي من مكانٍ بعيد أو من سفرٍ طويل وبالتأكيد تقصدينني..، فضلت أن نتكلم بالداخل وأعرف كل شيء هنا، وها هي النتيجة.. نعرف بعضنا..

صمتٌ آخر بينهما أستمر للحظات، فكرت آسية في نفسها.. هل تعلم والدة عمر شيئاً آخر سوى أنها آسية؟!، زوجته مثلاً..؟!، قاطعت والدة عمر تفكيرها بسؤال..

أين والدتك يا آسية؟!، لقد مر وقتٌ طويل منذ آخر اتصال..!

أخفق قلب آسية، أدارت بوجهها بعيداً عاجزةً عن الرد..، أحست والدة عمر بألم آسية وتجنبها للأجابة ..

ماذا بها يا آسية؟! هل هي بخير!؟

كان يصعب عليها في نفسها أن تنطق بخير وفاتها، لم تصدق حتى الآن أن والدتها قد توفيت، نظرت إليها ودموعها على وشك الانطلاق..

لقد توفيت.. منذ يومان..، آخر ما تبقى لي في الحياة قد توفيت..

في البداية شعرت بالأسف تجاه آسية لوفاة والدتها.. ولكن باقي كلامها لم يعد مفهوماً.. آخر ما تبقى لها!؟

أين والدك يا آسية؟! أين باقي أسرتك..!؟

لقد توفي أبي منذ سنة تقريباً.. وأخي سافر ولم يعد بعد.. لذلك أتيت لهنأ..

عانقتها والدة عمر ثانيةً.. لم يعد لآسية أسرة مثلها تماماً هي الأخرى.. فقدت أسرتها بالكامل..

تأكدي يا آسية أنك جئتي للمكان الصحيح ولن تندمي على ذلك.. هذا بيتك ولن أسمح لك بمغادرة المنزل على أية حال وتحت أي ظرف.. ومن الآن أنا والدتك..

فرحت آسية وكأن والدتها قد بُعثت من جديد، لاحظت والدة عمر خاتماً في يد آسية وزاد هذا من حيرتها.. ما معنى هذا!؟، كذلك لاحظت آسية نظرات والدة عمر الطويلة على يديها وأدركت أنها تتساءل على الخاتم في نفسها، سألتها فعلاً..

ما هذا يا آسية..!؟

خاتم زوجي من عمر..

و كأنها صُغت.. لا تصدق ما تسمعه للتو.. عمر تزوجها!؟ متى وكيف حدث هذا!؟، أكملت آسية كلامها ...

لقد تم هذا الزواج سرًا ولا يعلم به سوى أنا وعمر ووالدي وصديقتي أماني، لم يخبركم عمر بذلك لأنه كان يعلم أنكم لن توافقوا على ارتباطه بفتاة عاجزة..

لا تقولي ذلك يا آسية، لقد تفاجئت فقط من الأمر !..

التفتت حولها ثم همت لمساعدة آسية على الوقوف..

هيا لتستريح من السفر ..

ساندتها للصعود للطابق الثاني ثم جعلتها ترتاح ثم دخلت هي لتجهيز المكان لراحة آسية ..

يبدو أن والدته عمر كانت تتابع الأخبار، صدمت عندما رأت ما يُعرض عليه.. مصيبةً أخرى جعلتها تصرخ..

كانت والدته عمر تُجهز الغرفة التي ستنام فيها آسية لكنها سمعت صرختها، أسرع لتعرف ماذا حدث لها..

وجدتها تقف أمام التلفاز ثابتةً في مكانها مصدومة.. عيناها تحدقان بالتلفاز في صدمة.. التفتت هي الأخرى

ناحية التلفاز لترى ما سبب صدمتها وصراخها، للحظة بدا كل شيء غير مفهوم !..، ما هذا؟! كيف ذلك!؟،

آسية ترتجف ذعرًا وتبكي ووالدته عمر فارغةً فاها لا تصدق ما تراه !..!

القناة تعرض صورًا لعمر وهو يمسك سلاحًا مرتديًا زيًا داعشيًا يقاتل ضد قوات الأمن العراقية.. كانت لحيتة

كبيرة.. كان عمر داعشيًا..

المذيعة شيرين عبد النور ...

و الآن بعد أن عرضنا لحضراتكم تلك الصور.. دعونا نتساءل.. ما الذي يدفع عمر للقتال في صفوف تنظيم

داعش الأرهابي؟!، مع العلم أنه أول أمس فقط كان يقاتل تنظيم داعش نفسه !..، سؤال ليس له سوى أجابة

واحدة منطقية.. وهي أنه كان ينوي فعلاً قتل أخيه.. ليحصل على مكانه في التنظيم.. أذن الأمر ليس أنه قتل

داعشيًا.. تفكير شيطان..، أمثال عمر هم من أساءوا للأسلام .

لقد قتلته أتهاماتها له..، بالنسبة له لم تكن كلماتها مجرد نوبةً عصبية أجتاحتها.. لقد قالت الحقيقة.. أو على الأقل ستكون هذه أتهامات الجميع له، حتى لو كان كلامها غير حقيقي فسيظل هو يحتقر نفسه أينما كان وفي كل لحظة.. لقد قتل أخاه..

حتى لو كانت هذه طبيعته البشرية وكان في نوبة غضب بسبب ضربات أخيه التي كادت أن تقتله أو السكين التي كانت ستذبحه.. كل هذا لا يعطيه مبرراً حتى أمام نفسه لقتل أخيه..، لقد قام بأعادة أول جريمة قتل بشرية.. مقتل قابيل على يد أخيه هابيل..

تساءل.. ما الذي أوصل الأحداث لهذا الحد؟!، عندما ألتحق بالجيش كان يحلم بأن تُشفى آسية.. سافر فجأة لمهمة وطنية لكن ما لم يتوقعه في حياته أنه يتحول لقاتل وسافك للدماء ومجرم..، تساءل ما الذي يفعله هنا؟! أين بقية زملائه بالكتيبة؟! لماذا هو بالذات من حُشر في هذا المكان؟!، سخر من نفسه عندما راوده سؤالٌ عجيب..، كيف وصل أخاه لهذا المكان؟! ثم تذكر ذلك السؤال الذي طرحه على نفسه.. كيف هو نفسه وصل لهذا المكان؟!، الأجابة نفسها ولكن الطريقة مختلفة...

يقولون رُبَّ صدفةً خيرٌ من ألف ميعاد لكن هناك صُدْفٌ أشر وأسوأ من ألف ميعاد.. هناك صُدْفٌ يكون خيراً لها لو كانت بميعاد..!، ما قطع تفكيره هو الجوع الذي أعلن تمردَه الكامل وكاد يقتله.. لم يأكل شيئاً منذ يوم ونصف تقريباً..!، أخيراً حرَّك رأسه وأدرك بأن الجميع يحاول تهدئته وتحريكه..

كانت ماريان تحاول بشتى الطرق الاعتذار عما بدر منها.. الرجل وأبنته يحاولان تقديم الطعام له وجعله يأكل، نظر عمر طويلاً للطعام المقدم له.. قطعة جبن ورغيف وبفطرتَه مد عمر يده وتناول أول لقيمة.. الجميع سعدوا عندما بدأ عمر بالأكل، كان عمر يأكل على أستحياء..، ظن الرجل أن عمر يقلل من شأن الطعام المقدم له..

أعذروني من فضلكم.. أعرف أن الطعام ليس بالجد ولا يليق بكم، ولكن هذا فقط ما جنيناه من الحصار المفروض علينا من تنظيم داعش، نأكل اليوم ولا نعلم إذا كنا سنأكل غداً أم لا ...

توقف عمر عن الأكل فجأة وشعر بالأحراج الشديد.. يأكل من قوت الناس الوحيد في هذا اليوم ..!، أدرك الرجل خطأه.. لم يكن يقصد أن يقول ذلك ليتوقف عمر عن الأكل، أسرع ليوضح الأمر ...

يا عمر.. لا أقصد ما فهمته يا رجل.. كُل أرجوك، أسمعني.. ما أقصده هو أنه منذ أن تم محاصرتنا من تنظيم داعش والمساعدات الغذائية لا تصل إلا قليلاً.. هؤلاء المرتزقة يستولون على تلك القوافل التي تصل الموصل كمساعدات من عدة دول..

شعر عمر بالذنب وكان هذا واضح جلياً على وجهه، ألح الرجل على عمر بالأكل.. أريت على كتفه..

أستحلفك بالله يا عمر لتأكل ما هو أمامك كله، لا تقلق أن الله هو الرزاق.. ورزقنا سيأتينا مرغماً يا عمر..

بدأ عمر مرةً أخرى بالأكل.. شعوره بالاستيحاء يسيطر عليه، بدأ يستفيق من غيبوبة التفكير التي سيطرت عليه هذه الليلة، حاولت ماريان كسر حالة الجمود لدى عمر وأن تُنسيه ما حدث منذ قليل، فضّلت أن تخلق حديثاً لتجذب انتباهه، التفتت للرجل..

سيدي ... نحن لم نتعرف بك حتى الآن!؟

توقع الرجل هذا السؤال، أعتدل في جلسته ..

أنا جمال الدين سعد.. عقيدٌ سابق بالجيش العراقي، وهذه أبتني تغريد..

تعجبت ماريان.. يبدو أصغر من أن يكون متقاعدًا، سألته..

عقيدٌ سابق!؟ متقاعد..!؟

أجابها بسرعة وكأنه يتوقع أن تسأله هذا السؤال بالذات ...

مطروود.. أول ما قام به الاحتلال الأمريكي في العراق هو تفكيك الأجهزة الأمنية هنا وأولها القوات المسلحة..

أنجذب عمر لكلام الرجل، كان الرجل يتكلم بنبيرة حزينة، سألته ماريان..

و الآن ..!؟، أعتقد أن لكم جيش.. لماذا لم ترجع منصبك بأعتبارك رجلٌ عسكريّ سابق!؟

ظهرت أبتسامة تهكمية على كلامها..

جيش..!؟ أين هو بالله عليك!؟، أتسمين تلك الجماعات المسلحة جيش!؟

بدا على ماريان عدم الفهم، أكمل الرجل..

جيشنا أصبح مليشيات شيعية فقط.. هدفها القضاء على غالبية الشعب السني.. وهذه فكرة ظهور تنظيم داعش هنا في العراق.. داعش تقوم بالقتل والذبح والعمليات الإرهابية ونحن من ندفع ثمن هذا، عن أي جيش تتحدثين!؟

شعرت ماريان بالخجل عندما حادثت الرجل في موضوع ربما لا يحب أن يتكلم هو فيه، عملت على تغيير الحديث ..

حسنًا.. أين هي والدة تغريد!؟، أهي نائمة!؟

أحمر وجه الرجل فجأة ونظر لأبنته في توجس وخوف من مواجهتها بسرٍ طالما حافظ على بقائه سرًا عنها ..

تغريد.. الوقت متأخر وسهرتي كثيرًا الليلة، ضيوفنا سيخلدون للنوم بعد قليل، ستنام ماريان معك في غرفتك وأنا وعمر سننام في غرفتي..

هزت تغريد رأسها موافقة ودخلت غرفتها، حينها أدركت ماريان بأنها جعلت الأمور أكثر سوءًا!..، التفت الرجل ألى ضيوفه بعد أن أطمئن أن أبنته قد دخلت غرفتها..

زوجتي قد قُتلت على يد الأمريكان..

أتكأ للوراء أستعدادًا للعودة لتلك الذكريات المؤلمة ...

بعدما دخل الاحتلال الأمريكي بلادنا قاموا أولاً بتفكيك الجيش وتسريح قوادها.. ولم يكتفوا بهذا الحد.. لقد قاموا بأعتقالنا في سجون أبو غريب.. بالتأكيد سمعتم بها.. أقدر ما حدث في تاريخ السجون قد حدث هنا في سجون العراق..

نسيت ماريان سؤالها من الأساس.. حديث الرجل بدا مثيرًا، لمعت عيني الرجل بالدموع..

هناك في تلك السجون حصل كل ما هو ليس آدمي بالمرّة.. كانوا يغتصبون نساءنا أمام أعيننا ولا نستطيع حمايتهن، وأنا واحدًا من هؤلاء.. لقد هتكوا عرضها أمامي وفي لحظة ألم.. ماتت، ولم يكتفوا بهذا الحد.. فلقد تعالت ضحكاتهم وأزداد عدد مغتصبيها حتى بعدما ماتت..!، لقد هتكوا عرضها وهي ميتةً أيضًا، ماذا تتوقعوا مني حينها؟!، بآتم معنى الكلم أخرجت الوحش الكامن بداخلي.. أستطعت الأفلات منهم وأنقضت على أحدهم وقيمت بقتله، لا أعلم كيف أستطعت ذلك ولكنني فعلت..!

شعرت ماريان بالألم، كذلك كون هذا الرجل قتل أحد الجنود الأمريكيين في السجن تعني نهايته في الحال.. فكيف مازال على قيد الحياة!؟

و ماذا فعلوا بك بعدها؟!، كيف لم يقتلوك؟!، من الطبيعي أن تكون تلك نهايتك..!

لا لم يقتلونني حينها..، لقد تفننوا في طرق التعذيب.. بكل هدوء تم زجني في غرفةً مريبة.. حينها ظننت أنهم سيقتلونني بطريقةً ما، فجأة وجدت أن من دخل تلك الغرفة جنديات أمريكيات وقمن بالأعتداء عليّ جنسيًا.. بمعنى آخر أغتصاب.. يعرفون أن للرجل العربي كرامة وقد قمن بهتك تلك الكرامة.. قام أحدهم بتصوير ما يحدث وبالطبع أستقر هذا الفيديو في المواقع الأباحية، لم يكتفوا بهذا أيضًا.. بعد ما حدث وبعد هتك عرضي أنا كرجل أخرجوني عاريًا لساحة السجن الخارجية.. كانوا قد بنوا غرفًا بلا سقف من السيراميك.. أدخلوني بوحدةٍ منهم وفي ليلة الشتاء القاسية سلطوا علينا خراطيم المياه العملاقة ونحن عارين تمامًا.. كنا كثيرًا في الغرفة، كنا نتألم من شدة المياه المُسلطة علينا ومن البرودة التي لا تُحتمل، من شدة التعب وألم التعذيب نمثُ على الأرض عاريًا.. أستيقظت على أصوات الكلاب التي تحاول أن تنهش جسدي.. حاولت أن أحمي عورتي بسبب أن الكلاب كانت فعلاً قد أحدثت جروحًا في جسدي كله.. لم تعد لدي أي قوةً لمزيد من مقاومة الألم..

كنت أشعر بأن النهاية قد اقتربت، فوجئت بأنهم قد أحضروا جثة زوجتي وأغتصبوها مرةً أخرى في تحدي منهم هذه المرة لأقاوم حتى.. هؤلاء الحمقى.. قد هتكوا عرض الأموات!..

كانت ماريان ترتجف ألمًا لما سمعت من هذا الرجل، أكمل الرجل حديثه..

بعد أسابيع من العذاب تم الأفراج عني، تذكرت بالصدفة أن لي بنتًا خبأتها عند أحد الجيران قبل أعتقالي، وبعد مرور السنوات وكباقي الأطفال عندما يكبرون كانت قد لاحظت غياب والدتها.. أخبرتها بأنها قد توفيت في حادثة.. لم أكذب.. لكنني أخفيت باقي الحقيقة!.. عملت بالمقاولات بأجر يومي.. والآن لا أعمل..

كانت ماريان قد أكتفت من سماع ما حدث مع الرجل.. لم تتحمل..

أرجوك.. كفى.. كفى

قامت وأتجهت ناحية غرفة تغريد.. لم تتحمل ألم قصة هذا الرجل، فجأة وجدت باب غرفة تغريد مواربًا.. كانت تغريد تستمع لما يقوله والدها.. أستمعت لقصة وفاة والدتها!..، كانت تبكي وتتألم لمعرفة الحقيقة.. ياليتها لم تعرف الحقيقة.. بعض الحقائق كان من الأفضل لها أن تختفي!..

أكمل الرجل كلامه مع عمر ...

و الآن ظهر لنا تنظيم داعش فجأة.. أصبح جميع العراقيين يقاتلون بعضهم بعضًا.. أصبحت العراق مهديًا ومسرحًا لجميع الأرهابين.. من يحب أن يُظهر موهبته في الأرهاب فاليمسك سلاح ويأتي هنا في العراق..

ساد الصمت بينهما طويلًا..، الرجل بذكرياته المؤلمة وعمر المتأثر بقصة الرجل، قارن عمر بين قصته وقصة هذا الرجل، من الأكثر مأساوية؟!، من قتل أخاه أم من ماتت زوجته وهي مُغتصبةً أمامه!؟

تسامر كلاهما حتى قبيل الفجر إلى أن غلبهما النوم.. دخل عمر مع الرجل غرفته لينام.. غط الرجل في نوم عميق بمجرد أن وضع رأسه على وسادته، أما عمر فظل مستيقظًا حتى الفجر يتذكر حديثه مع الرجل.. لقد نسي عمر كل همومه وأستمع بحديثه مع رجلٍ عسكريٍّ سابق.. كان حديثًا مطولًا حول عدة قضايا أقليمية وعالمية لا سيما

الحديث عن تلك الجماعات المتأسلمة مثل تنظيم داعش والقاعدة وغيرها من تلك الجماعات.. فكر عمر في أنه ليس من الغريب أنضمام أخيه لتلك الجماعات المتأسلمة، فلقد أنضم لتلك الجماعات شباب أوروبي مسيحي.. الشيء الذي يدفع الشباب للألتحاق بهذه الجماعات هو حمل السلاح وأغوائهم بأحقيتهم في الدفاع عن دين يحاربه الغرب بكافة الطرق الشرعية والغير شرعية ..!، دائماً ما يُصورون لرجالهم أنهم حُماة هذا الدين !..

كان أخوه واحداً منهم.. بعدما أختفى فجأة منذ سنتين وبعد فشل كل محاولات البحث عنه ها هو فقط من عرف الحقيقة.. أنه داعشياً.. ثم أنتشرت هذه الحقيقة ومعها حقيقةً أخرى.. أنه قُتل على يد أخاه عمر..

قاطع تفكيره صوت أذان الفجر بالخارج.. تأكد عمر من أن الرجل غرق في نوم عميق، لقد أنجاه النوم من ذكرياته المؤلمة ومن واقعه المرير، قام عمر وغادر الغرفة بهدوء.. توجه لغرفة تغريد وبخطواتٍ هادئة سار ناحية ماريان وقام بتحريكها، فتحت ماريان عينيها في دهشة من تواجد عمر بالغرفة..

عمر.. ماذا يحدث!؟

أشار لها بالصمت وبصوتٍ خافت ..

هيا تحركي، أتبعيني رجاءاً..

إلى أين!؟

أشار لها بخفض صوتها، تبعته للخارج في الصلاة ثم غادرا المنزل بهدوء.. ورغم أنها لم تفهم شيئاً إلا أنها فرحت لهذا القرار المفاجئ ورغم احتياجها أيضاً للراحة لبعض الوقت، كانت تريد أن تعثر على طاقمها ثم مغادرة العراق في أسرع وقت.. لن تستمر هنا أكثر من ذلك..

في بيت جمال.. فُتح باب غرفة تغريد.. أنها هي.. لم تنم وعرفت بمغادرتهم.. لفت أنبائها ورقةً موضوعة على المنضدة بجانب التلفاز.. أمسكتها وقرأت ما فيها..

" سيد جمال.. نحن نعتذر عما بدر منا هذه الليلة.. لقد فضلنا المغادرة.. لا تقلق فريك هو ربنا كذلك وهو من سيتكفل برزقنا أيضاً..، آسفون لتذكرك تلك الذكريات المؤلمة مع أنني أظن أنك لم تناسها قط..، آسفٌ أيضاً لأننا غادرنا دون علمك.. وسلامي عليك وعلى تغريد.. أتمنى أن أراك مرةً أخرى وتكون حينها بخيرٍ وصحة.. "

دخلت تغريد غرفتها والدموع لم تترك عينها منذ أن سمعت بحقيقة حادثة والدتها..

كان يؤمن دائماً بنظرية المؤامرات وهذا لم يأتي من فراغ..، فلقد أصبحت الهجمات الإرهابية ضد مصر كثيرة بشكل مبالغ فيه اليومين الماضيين وكأن الجميع في الخارج يتسابق على شن أشرس هجمة على مصر.. والكارثة الأكبر أن تلك الهجمات أنتقلت من سيناء إلى المدن المصرية الأخرى..

أرهقت الأجهزة الأمنية في الأونة الأخيرة، فلقد أحبط الأمن المصري كل تلك الهجمات عدا تلك التي حدثت مساء أمس في مول تجاري كبير بالقاهرة وأودت بحياة العشرات..

و كأي حادث أرهابي يحدث في مصر فإن أول من يُلام على هذا هو جهاز المخابرات والأجهزة الأمنية بسبب التقصير الشديد من وجهة نظر النشطاء السياسيين والشعب.. انتقادات شرسة في الأعلام ومواقع التواصل الاجتماعي ..

تلك الانتقادات لم تأتي من فراغٍ أيضاً.. أخطاف القوات المصرية المشاركة في التحالف العربي باليمن وأرسالهم للعراق بهذه الطريقة تُثير عدة تساؤلات ، عمر الذي يقاتل في صفوف تنظيم داعش.. التفجير الأخير الذي حدث في المول التجاري.. وقبل كل هذا مقتل الجنود المصريين في كمين العريش.. أين المخابرات؟! أين أجهزة الشرطة وو الجيش؟! لماذا كل هذا التقصير الأمني.. لكن..

من يتكلم عن الأنجازات والأيجابيات أيضاً ويحتفي بهما؟!، من يُقدر تلك المجهودات الأمنية في أحباط العشرات بل والمئات من العمليات الإرهابية؟!

أن للبشر عامةً وللمصريين خاصة عادة سخيفة.. يتصيدون أخطائك وذلاتك ولا يذكرون أبداً نجاحاتك.. ماذا لو علم الناس عن تلك الحروب الاستخباراتية؟! ماذا لو علموا بأن هناك من يقوم بالتضحية مقابل أن يُحبط عمليات قد تُحدث كوارث بشرية؟! هل الجميع سيدعمهم؟! هل من أحد سيقدر ويُثني مجهوداتهم العظيمة؟! أم كالعادة سينكرون ذلك..؟!

لكن المخابرات ليست معنية بالحديث عن أنجازاتها أو مهامها، في النهاية وظيفة المخابرات الأساسية هي حماية الأمن القومي، أهم مبدأ للنجاح أن تعمل بصمت وتدع الآخرين يتكلمون كيفما شاءوا.. أترك القيل والقال وأعمل بصمت.. في النهاية أنت من ستسأل عن هذا أمام الله وستجازى به ولن يقبل عذرك بأنك لم تستطيع بسبب أن قالوا..

و رغم كل هذه الأخفاقات التي حدثت فإنه مازال يعمل على إصلاح كل هذا، لكن ما كان يشغل باله أكثر هو عمر الداعشي.. يعلم جيداً أنه قد تم إجبار عمر على القتال في صفوفهم.. لكن هل يعلم عمر مكان ماريان؟!، راوده سؤال آخر.. هل عمر مقتنع بما يفعله مع تنظيم داعش أم أنه يفعل ذلك لأجل ماريان..!؟

المشكلة هنا أنه حالما يجد ماريان يكون قد أقتنع بما يفعله.. حينها سيكف عن البحث عنها.. الوقت ليس في صالحه.. ماذا سيفيد أن وجدها بعد أن أقتنع بقتاله بجانب داعش..!؟

فجأة صدمه احتمال صادم.. أنتفض من مكانه بسرعة.. راوده احتمال مفرع.. ماذا لو قام عمر بذبح ماريان!؟

كان لزامًا عليهما المغادرة.. لا يمكنهما الأختباء أكثر في منزل هذا الرجل، الرجل يجد قوت يومه بصعوبة وهذا أن حصل عليه أصلاً.. السبب الآخر لمغادرتهم هو أنهم لا يريدون أقحام الرجل وأبنته في مطارة داعش لهم والتسبب لهم بمشاكل هم بالتأكيد في غنى عنها..

غادروا بهدوء دون أن يخبروه بذلك.. ومرةً أخرى يسرون في طريق المجهول، فهتمت ماريان ذلك تلك المرة ولم تسأل عن وجهتهم المقبلة..

أثناء سيرهم في شوارع الموصل رأوا مشهد أنساني مُريع.. رأوا رجل ربما يقارب الخمسين يجري وراء آخر عربية في قافلة أنقاذ غذائية كانت قد غادرت بسبب الزحام الشديد عليها.. كان يريد اللحاق بها لعله يستطيع سرقة لقيمات يسد بها جوع أسرته، أمسك بمقبض العربية الخلفي وصعد لكن العربية توقفت فجأة بسبب تجمهر الأهالي أمامها لتقف.. تعثرت قدمي الرجل فوق أرضاً ولسوء حظه رجعت العربية للخلف قليلاً فتم دهسه..!، والغريب أن أهالي المنطقة تجاهلوا الأمر وكأن شيء لم يحدث.. سعوا فقط للحصول على الطعام غير مباليين بالرجل المقتول..!، بكت ماريان لرؤية أطفال ذلك الرجل وهم يحاولون أيقاظه..

أمسكها عمر وأجبرها على المغادرة وساروا لمسافاتٍ بعيدة في المدينة لعلهم يصلوا إلى قسم شرطة أو مكتب حكومي يستغيثوا به لكنهم فشلوا في أيجاده..

على بعد أمتار كانت هناك عربية نقل ستتحرك وتغادر المكان، حضرته فكرة سريعة.. شد ذراعها مرةً أخرى للحاق بهذه العربية قبل أن تسرع.. طاوعته في ذهول.. وفي اللحظة الأخيرة فهتمت أن عليها التعلق بمؤخرة العربية والصعود على متنها، هذه المرة سيتركون عربية نقل هي من تحدد وجهتهم..

ساد بينهما صمتٍ طويل، ففكرت أن تكسر ذلك الصمت ...

عمر.. أنا آسفة، آسفة عما بدر مني في منزل هذا الرجل، كنت فقط عصبية و...

أشار لها عمر بالتوقف ...

لا عليك.. أعلم أنك لم تقصدي ذلك، لكنك أوضحت لي كيف يفكر الجميع في قضيتي.. الجميع يعلم أنني قاتل أخي، ليس عندهم استعداد لتقبل أي أمرٍ آخر..، أصبحت مجرمًا على أية حال ...
حقًا آسفة يا عمر.. لم أقصد ذلك فعلاً، قادتني الصدفة الغريبة من مصر للملكة المتحدة ثم للعراق لتتبعك أنت بالذات ولتصوير حدثٍ هام.. كذلك أنت قادتك المصادفة لأغرب ما يتخيله عقل..! من مصر لليمن ثم العراق وأخيرًا..

توقفت فجأة.. لا تريد أن تجرحه من جديد، رسمت أبتسامة ورفعت حاجبيها وبتقة أخبرته ..
ربما لم يتفهم الجميع أمرك.. لكنني أخبرك وبكل ثقة أن هناك أحدهم يتفهم أمرك جيدًا..
فهم عمر ألام تشير ماريان.. أنها آسفة.. تلك الفتاة الرائعة.. بدا عليه التفكير بصوتٍ مسموع..
هي الوحيدة التي تقبلتني رغم عيوبي ...
لحظات صمت ثم أسترسل كلامه عنها ...

لم أنسى ذلك اليوم أبدًا.. اليوم الذي غير مسار حياتي كلها..، أتذكر اليوم الذي ألتقينا فيه لأول مرة باليوم والتاريخ والساعة والمكان..، كل لحظة أتذكرها.. كل لقاء حدث بيننا وما حدث فيه.. أتذكر حديثنا كله وكأنه يحدث أمامي كل يوم.. أتذكر تفاصيل لقاءاتنا جميعها ..

كل ما يُحكى عن أسطورة النظرة الأولى حقيقي..، بدأت حياتي منذ تلك اللحظة تحديدًا..، عرفت معنى الحب معها.. كان كل منا يحب الآخر وكلانا أيضًا أدرك بأن حياته لا تساوي شيء بدون الآخر، خشيت أوقات أن أعترف رسميًا بحبي لها لكنني كل مرة كنت أفضل التسوية لوقتٍ آخر خشية أن تُسيء فهمي..

عندما حان الوقت للأعتراف تلقيت صدمةً لم أكن لأتخيلها ... ستتزوج.. ظننت أن هذه النهاية وكل شيء قد انتهى فعلاً، لكن إرادة الله كانت حاضرة لتُظهر لي عجائب قدرته، تُصاب بالشلل في حادثة ويتعد من كان سيتزوجها عنها لتجدني أنا أمامها من جديد ويعطيها الله سببًا آخر للحياة..

كنت أنا الحياة بالنسبة لها وظننت أيضاً بزواجنا أن الأمور قد أنتهت لصالحنا هذه المرة.. لتظهر لنا من جديد إرادة الله ويقول لنا أن الأمر لم ينتهي بعد...، هناك فصلٌ جديدٌ عليكم التعايش معه ..

أرجع رأسه للوراء قليلاً وأغمض عينيه ...

و عندما غادرت أدركت معنى انفصال الروح عن الجسد...، قد يكون كل إنفضال الروح عن الجسد يعني الموت، هذه حقيقة فأنا ميتٌ على قيد الحياة..

ما جذب إنتباههم هو توقف العربية ... نظر عمر حوله فوجد إنهم بمكان يبدو هادئاً وراقياً في هذه المدينة.. إذن ليست كل الأماكن سيئةً هنا وربما يتم العثور على المساعدة هنا للخروج من هذا المكان، جذب إنتباهه أيضاً هو أصوات ضجيج داخل مقهى، فكر في إنه قد تكون هناك مباراة مهمة مثلاً ثم سرعان ما رأى شعار فريقه المفضل في كرة القدم.. ريال مدريد الإسباني.. نسي كل همومه في هذه اللحظة وأرسمت تعابير البهجة والسعادة على وجهه، كان يعشق كرة القدم وبالأخص هذا الفريق.. كان يعرف أن أغلب العراقيين يشجعون فريق ريال مدريد.. لم يتابع فريقه المفضل بسبب هذه المهمة اللعينة، تقدم بحماسة بإتجاه المقهى ... حاولت ماريان لفت أنتباهه إلى أن هناك قسم شرطة في الجهة الأخرى من الشارع لكنه كان فعلاً على وشك دخول المقهى.. فكرت بأنها تلحق به وحينما تنتهي المباراة يمكنها إخباره بالأمر، زفرت ماريان ...

اللعنة على كرة القدم..، لا أعرف ما المتعة في الجري وراء شيءٍ دائري لعين..

إلتحقت به ودخلت المقهى معه.. الصخب يملئ المكان، تبدو مباراةً مهمة، التفتت لترى وجه عمر المتحمس جداً.. فرحت بذلك، يبدو إنه وجد شيئاً يخفف عنه عبء ومشاكل اليومين الماضيين، آمنت فعلاً بسحر كرة القدم على الرجال لدرجة انها أنست عمر همومه كلها ..!

تعرف ماريان جيداً من خلال عملها كمراسلة الأوضاع في العراق، هناك مناطق محاصرة وهناك أيضاً مناطق يسيطر عليها الأمن العراقي.. لكن لا يمنع هذا وجود عمليات أرهابية في بعض الاحيان في تلك المناطق المؤمنة، وبحكم عملها دائماً في المناطق الحيوية المليئة بالصراعات كان من الصعب عليها تخيل أن هناك مناطق بهذا

القدر الغريب من الهدوء والرقي في العراق بالذات.. الأعلام لا ينقل سوى الصراعات والخراب حتى يظن الناس أن العالم كله شر وخراب وينفي مبدأ أن في كل مكان يتواجد الخير والشر معاً..

كانت المباراة بالنسبة له أشبه بالحلم.. إثني عشرة عامًا يحلم بالوصول للمباراة النهائية لأعرق البطولات الأوروبية.. " دوري أبطال أوروبا "، لكنه لم يكن مسرورًا أيضًا.. فبعد كل هذه السنين من الجفاء بهذه البطولة يكون فريقه مُنهزم.. تحمس وتفاعل مع كل فرصة لفريقه او على فريقه.. وصلت المباراة لذروتها وما زال فريقه منهزم.. وضع وجهه بين كفيه يدعي ويدعي ويثق في الدقائق الأخيرة.. لم يكن حاله هو فقط.. الجميع في المقهى مستاءين من النتيجة وفرصة تلو الأخرى تضيع والبطولة المنتظرة منذ سنوات تضيع أيضًا والوقت الأصلي للمباراة إنتهى تقريبا... هدف...!، في لحظة واحدة سادت الفرحة الجنونية في المكان كله..، الجميع أصواتهم أرهقت بسبب صرخة الفرحة.. وبالرغم إنه هدف التعادل وليس الفوز بعد فقد تيقن الجميع بأن هذا الهدف هو هدف البطولة القادمة.. التعادل من جديد.. الجميع تنفس الصعداء.. الأشواط الإضافية حملت أخبار سارة للجميع.. فريق ريال مدريد يحرز ثلاثة أهداف أخرى ومع كل هدف يصيح الجميع.. ومن يفوته المباراة ولم يحضرها ويسمع بهذه النتيجة يُخيل إليه أن الفوز كان سهلاً.. الجميع جالس.. لا أحد غادر منتظرين لحظات التسويج ورفع الكأس الذي طال إنتظاره..

سمعت ماريان أصوات صخب في الخارج لكنها لم تستطع أن تخرج لتعرف ما يحدث بالخارج بسبب تكديس المشجعين على مدخل المقهى، لكنها رشحت بأن هناك احتفالات بالخارج.. لكن شيئًا ما يقلقها، حاولت أن تخبر عمر بقلقها لكنه كان مندمجًا في الحديث مع مشجع آخر.. هنا عالمٌ وفي الخارج عالمٌ آخر.. هنا فرحة وفي الخارج أحزان لا تنتهي.. للحظة إتسعت عيناها ذعرًا وتوقف قلبها وتسارعت أنفاسها عندما رأت من بعيد رجالًا مسلحين يلبسون زيًا أسود مندفعين نحو المقهى..!، أمسكت بذراع عمر وهزته بعنف فنظر إليها في دهشة من تصرفها المفاجئ، لم يسمعها بسبب الصخب المنتشر في المكان.. إقتربت وصرخت في أذنيه وأخبرته، لم يتمكن من الالتفات للوراء..

للحظة ساد المكان كله الأضطراب والرصاص المتراشق وتساقط الواحد تلو الآخر..، دخلت المجموعات المسلحة وأطلقت النار عشوائيًا في جميع الاتجاهات، إنطح عمر أرضًا وسط إندفاع الجميع عشوائيًا وسقط

عليه شخص ما قتيلاً وضد رأسه بالأرض صدمة قوية.. تألم بشدة وحاول تمثيل إنه ميت مرة أخرى لكنه وبدلاً
عن ذلك بحث بيديه عن ماريان..!

ماريان.. ماريان..

قالها بصوت يشوبه الألم والضعف.. لم يتلقى ردًا منها، أين هي..؟!، هل قُتلت؟!، كان نصف مُبصرًا.. حاول
جاهدًا البحث عن ماريان لكنه لم يُفلح، أحس بنفسه يرتفع عن الأرض.. أحدهم يساعده.. بدأ يفقد وعيه شيئًا
فشيئًا..

على الشاشة فريق يتوج بأمجد الكؤوس الأوروبية..، وما حول الشاشة دماءً متناثرة..، على الأرض جثث مُلقاة..،
في المكان مأساة أخرى، بين الجثث لا توجد ماريان، ولا يوجد عمر كذلك ... !!

ظن إنه قد رحل عن هذه الدنيا وإرتاح من العار الذي لحق به.. ظن أن الأمور قد أنتهت وأنه سيحاسب عما قريب.. بالتأكيد إن ظن الجميع فيه سوءًا ولم يعلموا بحقيقة الأمر فإن الله عالمٌ بكل شيء ولن يخيب ظن الله به ..

كيف سيكون الأمر عندما يقف هو وأخيه جنبًا إلى جنب متخاصمين أمام الله؟!، من منهم سيكون حاملًا لراية الحق؟، من تمسك بدينه وحاول جاهدًا أن ينصره ولكنه فعل ذلك بالطريقة التي تسيء للإسلام أم ذلك الذي إكتفى بعلاقته المتواضعة مع الله وأن يكتفي بأن يرى الناس الإسلام في خلقه لكنه في النهاية قتل أخيه..؟!!

صُعب عندما راوده احتمال مفزع لم يفكر به طوال الأيام الماضية.. القاتل والمقتول في النار..!، هذا قول رسول الله وينطبق فعلاً هذا القول على كلاهما.. في البداية لم يكن يريد هو قتل أخيه.. كان مستسلمًا وتركه يفعل ما يشاء به ولكن في النهاية هو من قتل أخيه وليس العكس.. إنطبق شرط رسول الله ليكون القاتل والمقتول في النار وهي لو أن المقتول تحصل على فرصته المناسبة لقتل القاتل لفعل، فما بالك بالقاتل نفسه؟!، لكن.. يشعر بثقل في جسده.. يشعر بشيء ما حوله، فجأة وجد نفسه قد صُعب بالماء على وجهه، شهق ثم فتح عينيه بصعوبة في ذهول!، ما زال حيًا؟!، حاول أن يتذكر آخر شيء قد حدث له لكنه تفاجأ بأن أحدهم يصيح به في غضب ...

هيا.. هيا، تحرك ..

نظر باتجاه الصوت لكنه لم يتعرف عليه بعد.. الصورة أمامه مشوشة، وجد نفسه مُرغمًا على الوقوف ..!، بصعوبة حاول أن يخمن أنه كان في سجن أو شيء هكذا، غطوا وجهه بقناع مثل تلك التي توضع لذلك الشخص المحكوم عليه بالأعدام..، سمع صوت بابٍ حديدي يُفتح وشيئًا فشيئًا بدأت الأمور تتضح في ذهنه.. سيتم إعدامه في اللحظات القادمة، تقشعر جسده بالتفكير في هذا الأمر.. اللحظات الأخيرة.. نوعٌ آخر من سكرات الموت يعيشها، صحيح إنه منذ ساعات مضت كان يتمنى الموت ليتخلص من عاره، لكن النفس تقاوم وتريد الحياة!، لكن لماذا لم يقتلوه من البداية؟!، بدأ يقاوم من يمسكونه لكنهم يقيدونه بإحكام.. لم يفهم بعد الى

أين يسير ..!، كان يسير معهم مرغمًا في طرقات أشبه بالمتاهة..، كانت هناك أصوات من حوله وبعده لغات كذلك ..!، لم يستجمع كافة أفكاره بعد، ما يدركه فقط الآن إنه أسير إحدى الجماعات المتطرفة.. فجأة أُجبر علي التوقف ثم نزعوا ذلك القناع فوجد نفسه واقفًا أمام إحدى الغرف، كان هناك من يحرس الغرفة..، فتح لهم الباب وسمح لهم بالدخول، عندما دخل عمر مقيدًا وجد شخص ما يقرأ القرآن بصوتٍ شجي ..

(فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

أغلق المصحف ونظر باتجاه عمر..، قام من مكانه وأتجه ناحيته ليقف أمامه مباشرة.. تبادلنا النظرات الحادة بينهما، كلاهما لم يتنازل عن النظر بحدة في عيني الآخر لكن الفارق هنا أن ذلك الرجل يكاد يسمع دقات قلب عمر المتسارعة.. لحظات ما قبل الموت..، أو هكذا كان يظن، فجأة أطلق ذلك الرجل ضحكة مكتومة ثم تعالت ضحكته ثم قال ساخرًا ..

تلك النظرة هي نفسها.. لم تختلف عنه كثيرًا، عيناك مثله تمامًا تُظهر عكس ما يخفيه قلبك.. قلبك ينبض خوفًا وعيناك تظهر عكس ما تخفيه.. شجاعة مبالغًا فيها..

لم يعرف عمر عن من يتكلم هذا الرجل بالتحديد، بالكاد يحاول جاهدًا إدراك الأمر كاملاً، أشار ذلك الرجل للرجلين بالمغادرة، غادر الرجلان وتبقى هو وعمر فقط في الغرفة، أستطرد الرجل ...

من حسن حظي أن رجالي كانوا يقظون و يعملون بتركيز ليلة أمس، ثواني قليلة كانت كافية بإعلان موتك انت وهي، ستتم مكافأتهم بالتأكد.. فأنت طريقي لاستعادة ثقة الخليفة فيّ من جديد ..

و كأن عمر لم يسمع سوى كلمتين فقط " أنت وهي " .. ماريان .. ليلة أمس.. المقهى .. الهجوم الإرهابي، قُتلت ؟!! لا لا كلامه يدل على إنها مازالت على قيد الحياة مثله، قطب عمر حاجبيه في غضب وسأله ..

أين هي !؟

تعجب من نبرة صوته المتحدية فأطلق ضحكةً ساخرة مرة أخرى ..

لديك أيضاً تلك الشخصية الغريبة والغامضة ذاتها، عليك أن تفكر في نفسك الآن يا عمر ودعك من الآخرين ..

لم ينتبه عمر لأي كلام سوى أن هذا الرجل لم يجيبه على سؤاله، كرر سؤاله بنفس حدة الغضب ..

قلت لك أين هي...، أين ماريان ؟

إرتسمت إبتسامة مآكرة على وجه ذلك الرجل ..

هذا يعتمد على تعاونك معنا.. أو بشكلٍ أوضح مكانها سيعتمد على إختيارك ..

عقد عمر حاجبيه، لم يفهم إجابته ..

ماذا تعني..؟!؟

وضع الرجل يده على كتف عمر وتكلم بهدوء ..

وضع الله سبحانه وتعالى أمامنا طريقان.. الهداية والضلال، وعلى الإنسان أن يختار بينهما وعلى أساس إختياره

سيكون جزاؤه.. إما جنة عرضها السموات والأرض أو في جهنم خالدًا فيها.. أبعدها الله وأياك عنها ..

لم يفهم عمر بعد.. وبلهجة حادة سأله ...

ما علاقة هذا بسؤالتي؟! أين ماريان؟، ومن أنت وماذا أفعل أنا هنا؟!؟

بدا على الرجل أنه يحاول السيطرة على نفسه ..

عنيّد مثله تمامًا ...

قاطع عمر متسائلًا ..

من هذا الذي تكلمني عنه هكذا؟!؟

تفاجأ الرجل من سؤال عمر ..

أبو عمار يا رجل.. أبو عمار

قالها بسخرية مما جعل عمر يقطب حاجبيه مستغرباً، فهم الرجل أن عمر لم يفهم بعد، ضرب بكفه على جبهته ..

يا رجل لا تقول لي إنك لا تعرف أن أخاك كان يُلقب هنا بأبو عمار..

صُعق عمر لما سمعه.. وقف ساهماً، يلتفت حوله مشرد الذهن غير مصدقاً لما سمعه.. أو حتى لما رآه.. كيف لم ينتبه لذلك؟!، راية داعش مثبتة على الحائط.. لقد فهم الأمر كله، لكن يتبقى شيء واحد فقط لا يفهمه.. لماذا لم ينتقموا منه ويقتلوه حتى الآن؟!.. هل لذلك علاقة بما يسعى إليه ذلك الرجل؟!، إستطرد الرجل كلامه ...

لندع موضوع أخاك جانباً ولتسمع عرضي لك، ولك حرية الاختيار ..

بدا على عمر التركيز، لحظات صمت بدا على ذلك الرجل أنه يرتب كلامه.. مسألة إقناع عمر ليست بالسهلة، إستطرد قائلاً..

سألت عن سبب وجودك هنا..، أليس كذلك؟! !

نظر إليه عمر نظرة أنكار، لا يعرف لكنه يشك بالأمر، أستطرد الرجل..

من العدل أن أمنحك حق اختيار مصيرك.. إما ان تكون معنا أو علينا، لكن قبل أن تقرر أيضا مصيرك وجب عليّ أن أوضح لك كافة الأمور.. من نحن؟ وما هدفنا؟ هل ما يشاع عنا صحيح؟! ..

يريد الدخول بمقدمة ليقنع عمر بما يريد هو الوصول إليه، فيما كان يسخر عمر في نفسه من هذا الداعشي، هو حقاً يعرف من يكون هؤلاء.. قتلة.. سفاحين.. أرهابيين.. متأسلمين وجنود الغرب الخفية..، أخذ الرجل نفساً عميقاً.. كان مستعداً لمناقشة حتمية الآن ..

أعرفك بنفسي يا عمر.. أنا عثمان بكير.. المساعد الأول لحضرة الخليفة أبو بكر البغدادي.. أنشأنا تنظيمنا هذا تمهيداً لعودة الخلافة الإسلامية.. من جديد سنحكم العالم..

ضحك عمر بأستهجان ..

أحلامٌ وردية يا هذا..

ليست أحلام يا عمر طالما لدينا أيمان بهذا سنفعل.. طالما ننفذ ما أمرنا الله به سيأتي اليوم الذي نُكافء به من الله عز وجل ..

تساءل عمر في استنكار ...

و هل الله أختاركم أنتم بالذات لتنفذوا أوامره وتقوموا أنتم بمهمة أستعادة مجد المسلمين؟!، ثم ما هي أوامر الله التي تسعون لتنفيذها.. القتل والدمار والخراب وترويع الناس وذبحهم وقتلهم دون ذنب!؟

كان الهدوء الذي يظهره عثمان في شخصيته وكلامه يزعج عمر كثيرًا، سار عثمان باتجاه المكتب ومسك المصحف ورفع في وجه عمر رد بهدوء..

فتحنا كتاب الله وتدبرنا آياته فوجدنا إنا أمة أضاعت دينها بأيديها.. أمة رضيت بالذل والهوان.. أمة هجرت القرآن.. يقول الله ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ .

ابتسم عمر ساخرًا..

لا تقول بأنك تريد أقناعي بتنظيمكم هذا.. أنتم أرهايين على كل حال..

كان يدرك عثمان أن الحديث والنقاش المحتمل مع عمر لن يجدي نفعًا، كان يدرك شخصية عمر جيدًا.. هذه النوعية من الشخصيات تؤمن دائمًا بالنقاش الإيجابي والأدلة الدامغة، لهذا لم يغضب من تلفظ عمر عليهم.. يريد أن يتعامل معه بهدوء..

حسنًا.. يمكننا أن نتناظر الآن.. ما رأيك؟.. أخبرك بقناعاتي وأنت تخبرني بما لديك وعلى أية حال سنصل لنتيجة ما..

شعر عمر بقشعريرة تسري بجسده.. لم يعتاد أبدًا على المناظرات أو التحدي من هذا النوع من النقاش، ثم أنه غير مستعد لمناظرة داعشي، بالتأكيد حججه ستكون ضعيفة أمام هذا الرجل..!، صمت ولم يبدي موافقته لكن عثمان اعتبر سكوت عمر هذا موافقة..، رتب كلامه في عقله وأستعد جيدًا لمناظرة ضرورية الآن لأقناع عمر.. أو بمعنى أدق يستعد لأقناع عمر بأي حال من الأحوال بغض النظر على أنها ليست مناظرة من الأساس ..

نحن أمةٌ سقط منها إسلامها وخرجت علينا أجيال لا تعرف عن الإسلام إلا إسماً .. في البطاقة مسلمين وفي حياتهم فاسقين .. أنتشرت السرقة والخداع والنفاق والكذب والرشاوي والزنا وكذلك الفساد في كل شيء (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ..، نسينا ديننا ونسينا أوامر الله، نسينا الرسول وسنته، نسينا إسلامنا حتى خدعونا الغرب ويدعوننا بالإرهاب .. يقتلوننا ويعذبوننا ويشردوننا ويُهَجِّروننا من بيوتنا ويسلبون اموالنا وبعد كل هذا نتبعهم ..

صمت لثواني ثم أكمل كلامه ..

أنشأنا هذه الدولة (داعش) لردع الكافرين وإعادة الإسلام لمكانه الطبيعي وقتال كل أعداء الله والإسلام .. استنكر عمر كلامه ...

كافرين ..؟! مجتمعنا كله كافر؟!، لماذا تُكفر كل الناس؟

لسنا نحن من نُكفر الناس، كلام الله واضح ..

قالها وهو يرفع المصحف في وجه عمر ...

الجميع حولنا كافرون .. الشيعة كافرون .. النصارى وإلهود كافرون .. حتى المسلمين المتقاعدين هم للكفر أقرب منه للإيمان .. والله أمرنا بقتالهم جميعاً ..

قطب عمر حاجبيه وقال بأستهجان وسخرية من كلامه ..

نعم الله قال أقتلوا الأبرياء المارين في الشارع من أطفال ونساء ورجال ظلماً ونُدْبِح هذا وذاك .. هذه هي أوامر الله؟، والله إن الله بريء مما تزعمون .. تحرفون كلام الله لتخدموا أهدافكم الدنيئة؟!!

لم يتعجب عثمان من الجرأة والشجاعة التي يبديها عمر في هذا المكان بالذات، أخوه مثله تماماً ..

يا رجل لا تصدق كل ما يُعرض في الأعلام ..، متى حدث وأن قتلنا أبرياء؟!، ديننا لا يأمرنا بذلك ونحن لا نفع ...

قاطع عمر في غضب ..

لا تكلمني بأسم الدين يا هذا..، ثم أن الموضوع لا يتعلق بالأعلام.. لقد حدث هذا معي أول أمس حين هاجمتم الناس في شارع في شوارع الموصل وقتلتموهم ودُفنت معهم حينها ولولا أن أحدهم أنقذني لكنتُ ميتًا الآن..
لحظات صمت فكر حينها عثمان بتهدئة الأجواء قليلًا.. يريد السيطرة على الأمور دون أن يصيب عمر بالعصبية..

ما زلت مخطئًا يا عمر في تقدير الموقف ..

رفع كفيه ..

حسنًا حسنًا.. سأرد على إتهامك هذا لاحقًا لكن دعني اشرح لك الأمر كاملاً.. نحن كمسلمين أمرنا أن نقاتل فئتين من الناس.. الأولى منها هم النصارى واليهود، الثانية هم الخوارج (الشيعة) ، وأمرنا كذلك بمقاومة تقاعد أمتنا عن أعظم فريضة غائبة عن أذهاننا.. الجهاد في سبيل الله، لتتكلم عن كل فئة على حدة.. بمن تحب أن نبدأ!
!؟..

أنتظر عثمان ردًا من عمر لكنه كما خطط.. عمر لم يجيب، أجاب هو عن سؤاله..

حسنًا دعني أختار أنا..

فكر للحظات وسط ترقب من عمر ...

دعنا نبدأ بغير المسلمين أولاً.. النصارى واليهود وغيرهم.. هؤلاء كفرون ولا خلاف عليهم، يقول الله (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)..، أذن فأنا وأنت نتفق على كون هؤلاء كفرة.. وحيث أنهم كفرون فإننا مطالبون كمسلمين قتالهم حتى يُسلموا.. يقول حبيبنا المصطفى في حديثه (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)..

قاطع عمر ...

و لكن الله قال (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، فلماذا نُكره الناس على الإسلام بدلًا من أن نقلهم..!؟

أولاً.. لا يصح أن يتعارض حديث لرسول الله مع آية.. السنة النبوية شارحة للقرآن.. فهذا الحديث يتفق مع كلام الله (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) وأيضا هناك آية أخرى (فَإِذَا

لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) وهناك أيضاً (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ) ..

ثانياً.. قول الله (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) قد تم تحريف معناه الحقيقي من شيوخ هذا العصر أو من يسمون أنفسهم دُعاة الإسلام.. تفسير هذه الآية هو أن الله قد خيّر الناس جميعهم بين دين الإسلام أو الكُفر ولم يفرض علينا الإسلام عنوةً، وإذا ما إختاروا غير الإسلام وجب علينا قتالهم كما أمرنا الله.. وهذه بالمناسبة الحرية التي يفتخرون بها الغرب في بلادهم ..

فكر عمر للحظة.. كيف يأمر الله صراحة في القرآن بقتل كل من هو غير مسلم؟!، أما عثمان فكان مبتهجاً بسبب صمت عمر هذا.. هذا يعني أنه يستمع له ويفكر في كلامه ..

لكن ما ذنب المراسلين الذين تدبحونهم؟، قد يعلنوا إسلامهم يوماً ما.. أتأخذونهم بذنوب حكوماتهم؟!، دائماً ما تُظهرون أن ديننا دين قتل ودمار.. لقد صححتم إدعاء الغرب بأن الإسلام دين أَرهاب وقتل، بهذه الطريقة سينفر اليهود والنصارى من التفكير في الإسلام يوماً ما.. لقد أسأتم لديتنا..

فكر عثمان للحظة ثم قال ..

أولاً نحن غير مباليين برأي الغرب في ديننا ما دمنا ننفذ أوامر الله، ثم إنهم لا يتركونا أبدا سواء في السلم أو الحرب ولذلك سنواصل جهادنا وقتالنا في سبيل الله ..

ثانياً نحن نجذب شباب أوروبي إلينا وهذا يعني إننا نصل إليهم في عقر دارهم ولهذا يحاربوننا في ديننا، وبخصوص هذا فنحن دُعاة إسلام وليس سبب لنفور الناس عن ديننا ..

قام من كرسيه والتف حول عمر وأربت بيده على كتفه ..

ثالثاً.. أنظر لنفسك يا عمر، فلو كنا حقاً إرهابيين كما يدعي الأعلام لكننا قتلناك كذلك لا سيما إنك قد قتلت ثاني أهم رجلٍ في دولتنا بغض النظر طبعاً إنه أخاك..

تلاحقت أفكار عمر القديمة .. كان كمثلها من الناس قد سمع مناظرة منقوصة أو أشباه مناظرات وقد حفظ فقط بعض الردود التي يعرف في قرارة نفسه إنها ضعيفة وغير مجدية أمام هذا الرجل، أما عثمان فكان يريد ضرب الحديد وهو ساخن كما تقول الأمثال .. يريد أستغلال توتره، أستطرد عثمان ..

لم أنسى أيضاً ردي على الهجوم الذي قمنا به في الشارع الذي كنت تسير فيه أو ذلك المقهى، في حقيقة الأمر كنا ننفذ عملية إنتقامية ضد الخوارج (الشيعة) ...

حذق عمر بعثمان وقاطعه ..

هم صحيح مختلفون عنا لكنهم في النهاية مسلمون، لماذا هم كافرون ولماذا نقتلهم من الأساس؟! فرح عثمان بسؤال عمر هذا...، سؤاله يدل على إنه أقتنع بأن غير المسلم كافر وهذا سيسهل مهمته، مرةً أخرى جلس أمام مكتبه وفتح فيديو آخر فيه مشاهد لشيخ وأئمة شيعية وهم يلقون محاضرات، ذُهل عمر مما رآه وسمعه... بعد أنتهاء المشاهد أكمل عثمان كلامه ..

كما ترى يا عمر .. الشيعة يسبون ويشتمون آل بيت رسول الله ويلعنون صحابة رسول الله .. أبا بكر الصديق صديق الصادق الأمين وعمر ميزان العدل البشري في الأرض وقد قدسوا سيدنا علي كرم الله وجهه وكأنه إله ..!، ويرون بأنه الأحق برسالة الأسلام وعندما أنتقدناهم رأوا بأن علي له الأحقية بخلافة رسول الله عن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين .. كما أن لهم قبلة خاصة بهم .. لهم كعبة غيرنا، حتى أن علي رضي الله عنه قد روي حديث عن رسول الله .. (يقول الرسول .. يا علي ألا أدلك على عملٍ أن عملته كنت من أهل الجنة - وأنك من أهل الجنة - ؟ سيكون بعدنا قوم لهم نبز (لقب) يُقال لهم الرافضة (الشيعة) فإن أدركتهم فقاتلهم فأنهم مشركون) ...

رفع عثمان حاجبيه في سيطرة واضحة على المناظرة .. لقد نجح في الأمسك بزمام الأمور هنا، صحيح أن عمر لا يبدو عليه مقتنعا لكن كونه مرتبكا فهذا يعني أنه تأثر بكلامه ..

أتقبل بأن توصف أمنا عائشة بنت محمداً بالزانية !!؟

بدا على عمر الدهول والتوتر.. لا يعرف كيف يرد عليه.. حججه ضعيفةً جدًّا، هناك خطأ ما لكنه لا يستطيع مقاومة هذا السيل الجارف من الأفكار والقناعات الجديدة وتلك التساؤلات التي تظهر لها أجابَةٌ الآن أو تلك التي غامضة، إستغل عثمان حالة التراخي التي يمر بها عمر وأنغماسه في ذهوله وفك قيوده وأجلسه على الكرسي ..

تعالى هنا ياعمر، أجلس ..

جلس عمر والذهول بادياً عليه ومسيطرًا.. لا يدري ما عليه فعله ولا يعرف فيما يفكر.. في ماريان التي لا يعلم مكانها أو مصيرها.. أم آسية التي أفنقدها حد الجنون.. أم في ذلك التنظيم الذي كان أخوه فيه عضوًا.. أم في ذلك الرجل الذي يحاول إقناعه بشيء طالما كرهه (الأنضمام لتنظيم إسلامي) ، طالما إقتنع أن أي تنظيم إسلامي هو فقط لتشويه الإسلام.. حتى مقاومة هذا الرجل في هذا المكان باتت مستحيلة.. المقاومة هنا تعني القتل فورًا.. هو مازال يأمل بأن يجد طريقة ليكفّر بها عن ذنبه الأزلي.. ذنبه الذي تعلق به منذ أيام.. قتل أخيه.. هؤلاء هم الشيعة يا عمر ... مشركون كما أخبرنا رسولنا الكريم، يتبقى لدينا آخر فئة لتتكلم عنها.. المتقاعسين.. إرتسمت علامات الحزن على وجهه ..

تقاعست أمتنا عن الدين فكان عقابنا من الله إنه أبتلانا بمصائب لا حصر لها.. الفساد والجهل والفقر والاستعمار.. وأعظم إبتلاء هو إبتلاء الدين (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ).. ظهرت شيوخ وآخرون يدعونهم دعاة الإسلام بأفكار الغرب.. خرج علينا الغربيين ليفهمونا ديننا على طريقتهم.. نحن هنا لنعيد زماننا الذي كان للإسلام فيه عزة وقوة.. نحن هنا نجاهد كما أمرنا الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۗ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَبئس المصيرُ) وكذلك لنقاتل (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ)..

و الأمثلة على هذا كثيرة يا عمر..

تناول المصحف مرة أخرى ووضعه أمام عمر ..

تفضل يا عمر.. اقرأ القرآن وتدبر الآيات وخصوصًا تلك التي تتحدث عن الجهاد والقتال في سبيل الله، وعامة المسلمين متقاعسين.. لا يهمهم سوى متاع الدنيا الآن ويؤسفني أن أقول لك أن المسلمين حاليًا مسلمين بالفطرة ولو لم يولدوا مسلمين لما كانوا يفكرون في الإسلام يومًا.. بسبب إبتعاد الناس عن الدين أصبح غالبيتهم يفكر بأن الجنة والنار والحساب والعقاب وهم.. والباقي لا يفكرون في هذا الأمر إطلاقًا..

كان عثمان قد انتهى من كلامه منتظرًا رد فعل عمر.. كان يأمل أن يكون عمر قد إقتنع..، أما عمر فكان قد ضرب بكل هذا الكلام عرض الحائط، كان يقتنع بأن كل هذا الكلام نوع من أنواع غسيل المخ، لكنه كان يفكر في شيئًا آخر.. يفكر في إنقاذ ماريان والهروب من هذا المكان، قاطع عثمان تفكيره ..

الآن أود أن تسمع عرضي الذي أخبرتك به ...

قام من مكانه وألتف حول مكتبه ليجلس أمام عمر مباشرة، وضع يديه على ركبتي عمر ..

أسمعني يا عمر.. أنضم لنا.. أنضم لنفوز معًا بجنةٍ عرضها كعرض السموات والأرض.. لنفوز بحوريات العين في الجنة.. لندخل من باب الجهاد.. في النهاية سننال إحدى الحسينين النصر أو الشهادة ..

عبث وجه عمر فجأة، تذكر كلام اللواء صفوت، تأكد فعلاً أن عملية غسيل المخ تُجري عليه..

و إن رفضت ..!؟

ابتسم عثمان ورد واثقًا ..

لن ترفض وستنضم يا عمر ..

عقد عمر حاجبيه...

لن أفعل ولا تفكر في ذلك أيضًا..

قام عثمان من مكانه، وقال وهو يلتفت ليجلس على كرسیه..

ليس لديك خيارٌ آخر يا عمر، في النهاية ستنضم إلينا.. شئت هذا أم أبيت ..

لا تكن واثقًا هكذا.. إن كنت تهددني بالقتل إن لم أنضم إليكم، فأني أفضل أن أقتل على أن أفعل شيءً هكذا..

إرتسمت تلك الأبتسامه الماكرة على وجه عثمان ..

لا لا .. نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك، نحن بحاجة إليك ..

إقترب منه وهمس له ..

لكن هناك من نستطيع الأستغناء عنه بسهولة ..

خطرت بباله ماريان .. ورقة ضغط رابحة، كيف لم يفكر بهذا .. تم أحتجازها مقابل أنضمامه إليهم، إما أن يكون داعشيّ مثلهم أو يتم قتلها ..

قطع عثمان تفكيره ..

لكن يا ترى من سينفذ العملية المقبلة !؟

التفت إليه عمر .. كان واضح لعمر أن ذلك الرجل يفكر ويخطط لشيء ما .. لم يطمئن لهذا، أستطرد عثمان التفكير بصوتٍ عالي ..

لدينا هنا الكثير من الأسماء المرشحة .. لكنها مهمّة سهلة ولا تحتاج لشخص ذو خبرة، مهمة الذبح ليست مهمّة خطيرة أو صعبة .. بإمكان أي طفل صغير مجاهد أن يفعلها ..

سكت للحظات ثم نظر لعمر فأتسعت تلك الأبتسامه الماكرة على وجهه في نفس اللحظة التي خفق فيها قلب عمر .. ليس بسبب تهديد ذلك الرجل بقتل ماريان فقط .. وإنما بسبب تلك النظرة ذو الأبتسامه الماكرة ..

إتسعت عيناه دُعرًا عندما فهم ما يقصده هذا الرجل .. فهم أنه من سيقود هذه المهمة .. مهمة قتل ماريان ..!

كانت تلك الأخبار التي وردته منذ قليل كافية لتوقف سيل الانتقادات التي وُجّهت للمخابرات في الأونة الأخيرة..، ففي الأسبوع الماضي مثلاً كانت الاتهامات تتراشق عليهم بالتقصير مرة وبالتسبب في حوادث مرة أخرى حتى وصل الأمر لآتهامهم بتدبير التفجير الذي حدث في كنيسة بالصعيد بحجة أنهم يريدون أشغال الناس في هذا الحادث بعيداً عن الذي يحدث في المجتمع المصري حالياً من غلاء للاسعار والتخبطات السياسية.. !

لكن كل هذا تغير منذ يومين، أصبح غالبية الناس تفتخر بجهاز المخابرات لا سيما بعدما سربت المخابرات تفاصيل أحباط تفجير كنيسة أخرى في القاهرة وكذلك أحباط محاولة اغتيال النائب العام المصري للأعلام.. لقد كان يرى بأن لكي يوقف تلك الانتقادات التي من المؤكد أنها ستؤثر على عناصرها عليه بأن يعلن حالياً عن بعض الحقائق.. لا فائدة من النجاح دون أن يتم تقديم ولو قليلاً من الدعم لهم، وأبسط أنواع الدعم التي تحتاجها المخابرات من الشعب هي الثقة فقط.. وهذا ما تحقق فعلاً عندما أدرك الناس بعد كل هذا أنهم في عالم مختلف تماماً عن عالم المخابرات.. عالم آمن وسط بحور الدم التي تحيط بالمنطقة العربية.. أدركوا بأن هناك عشرات بل مئات من الهجمات الأرهابية التي يتم أحباطها والتي إذا حدثت ستخلف ورائها كوارث !..

أمس أستلم الرسالة الاولى " لقد تم أستلام الهدف " .. فرح لذلك أذ أن خطته تسير كما هو المخطط له، وبالتالي فهو ينتظر الرسالة الثانية ليقوم بحركته التالية..، فيديو آخر سيقبل الموازين وسيغير كل شيء، فيديو سيساعد المخابرات على توجيه ضربات قاضية للجميع وستحصل منها على مكاسب سياسية هائلة، أولها أظهار قوة المخابرات المصرية وقدرتها على أختراق تلك المنظمات الأرهابية وأرجاع مجد المخابرات المصرية من جديد.. فمسألة أختراق تلك الجماعات طبيعياً في عالم المخابرات فهو على يقين بأن أغلب عناصر داعش وخاصة القيادات منهم هم في الأصل عناصر أستخباراتية لدولٍ غربية ...

ثانيهما هو مساومة الدول الغربية لوقف العقوبات الأقتصادية على مصر ووقف العدائية التي تظهرها هذه الدول للسياسة المصرية أو ستضطر حينها المخابرات لنشر المزيد من هذه المشاهد وتفضح سياسة هذه الدول في التعامل مع تلك المنظمات..

ثالثهما هو تطبيق مقولة " انقلاب السحر على الساحر " .. انقلاب سحر الأعلام على الإعلاميين .. الأعلام كاذب والناس تحب وتعشق الكذب والإعلاميين يجارون الناس في الكذب ويبحثون عن الحقيقة الزائفة ليرضوا الناس بها، وبذلك الشيء الذي ينوي فعله سيمنح للمخابرات العمل دون ضغوط إعلامية لأن حينها سيفقد الناس الثقة في الأعلام تمامًا ..

أما رابعهما إنهاء الجدل تمامًا حول موضوع عمر .. ما حدث في هذا الفيديو الذي ين يديه والذي يستعد لنشره سغير تفكير الناس في عمر الذي تحول من أراهبي لبطل قومي جندته المخابرات المصرية في صفوف داعش وأنه تحامل على نفسه وقام بالمستحيل وقتل أخيه الداعشي .. كانت مهمة وطنية .. هكذا ستري الناس عمر بمجرد رؤيتهم لهذا الفيديو ..

عزم على متابعة برنامج المذبة شيرين هذه الليلة، كان برنامجها يستمر لأربع ساعات متواصلة كل ليلة .. أربع ساعات كافية لتقتل بها أدمغة الناس بسمومها التي تبثها كل ليلة بكلامها وموضوعاتها ونقاشاتها .. لقد صنعت شهرتها بسبب دقتها في اختيارها للموضوعات الشائكة والمهمة جدًا ..

تابع منذ قليل هجومها الشرس والمتواصل منذ يومين تقريبًا على عمر ..، وكذلك تابع تلك المشادة الكلامية التي كانت بينها وبين آسية زوجة عمر، كان يعرف تمامًا أن آسية مازالت تثق بعمر وأن كل ما يحدث له مكيدة لكنها قد يمر عليها أوقات تتساءل عن سبب انضمام عمر لتلك التنظيم الأراهبي ..!، تحتاج بشدة لأجابة منطقية لهذا السؤال، بين يدي شريف الأجابة وليس الأجابة فحسب ... هذا الفيديو سيكون عمر بسببه بطل قومي وليس أراهبيًا ... فيديو سيجعل من آسية فخورة به وليس مجرد أنها قد تبحت عن مبررات .. سيطمئننا ذلك ولو قليلًا على عمر ..

تبقى على أنتهاء البرنامج حوالي ساعة تقريبًا وهذا هو الوقت المناسب لتوجيه ضربته القادمة .. سيخرس شيرين للأبد بسبب اكتشاف الناس كذبها وأدعائها وكذلك ليمنح آسية بصيصًا من الأمل، لكنه لا يستطيع الأقدام على فعل هذا الآن إلا بعد التأكد من الرسالة الأخرى .. الرسالة التي ستضمن سلامة عمر وماريان من قبضة تنظيم داعش .. فقط يتمنى لو هذا يتم الآن فهو يريد ..

قاطع تفكيره رنين هاتفه مرة أخرى.. رسالة أخرى وفتحها بسرعة.. " تلك الطيور الحبيسة انطلقت الآن.. قريباً ستعود لديارها " ..، أتسعت تلك الأبتسامة على وجهه، لقد حان الوقت.. حان وقت معرفة الحقيقة !!..

كانت أماني قد شاهدت كباقي المصريين مشاهد قتال عمر في صفوف تنظيم داعش الإرهابي في معركة ما ضد الجيش العراقي.. عندما علمت بوجود آسية في سوهاج أسرع لرؤيتها والوقوف بجانبها خاصة بعدما نُشرت تلك المشاهد، فرحت أماني لأن آسية تماثلت للشفاء تقريباً لكن حالتها النفسية سيئة ...

المديعة شيرين في برنامجها منذ قليل ...

... لذلك وبعد كل هذا أتعجب ممن يدافعون عنه ..!، لقد إنضم لهذا التنظيم الإرهابي الذي يقتل ويذبح الأبرياء وتكفير كل البشر عداهم طبعاً، نكاح الجهاد وما خلفه.. تفجير كنائس ومساجد أيضاً.. حتى وصلت نفوذهم هنا في مصر حينما فجر أحدهم نفسه في الكنيسة منذ أيام ومن قبلها المول التجاري.. وخُلفت وراء هذه العمليات الانتحارية عشرات القتلى والمصابين..، ولا نعلم ماهو دوره بالتحديد في هذه العمليات لا سيما وإنه مصري، ولذلك أيضاً الواقع يخبرنا بأن عمر قد خدعنا منذ البداية وأوهمنا بأنه بطل لكن في النهاية الحق دائماً يعلن عن تواجده الواضح أمامنا.. عمر أرهايباً شئنا هذا أم أيينا، فكان..

صمتت فجأة لتصغي لما يُقال لها في سماعه الأذن، تبسّمت بسخرية ورفعت حاجبيها في تعجب ودهشة..

و معنا الآن زوجة عمر شخصياً.. مرحباً سيدة آسية ...

صاحت بها آسية غاضبة ..

بحق الله ألا يوجد ما تفعلينه سوى التحدث عن عمر..!؟

تفاجئت شيرين من تدخل ضيفتها العنيف ..!، ردت بهدوء..

سيدتي.. قضية عمر تعتبر قضية رأي عام ولا بد أن..

قاطعتها آسية مجددًا..

قضية رأي عام..؟!، لقد تركتي مشاكل العالم كله ولم تهتمي سوى بمشكلة زوجي ..!، لقد أصبح عمر هو المذنب الوحيد في هذا العالم اللعين.. لقد أصبحتم ملائكة الأرض والسماء وأصبح عمر فجأة أبلis الذي عصي ربه وأخرجكم من الجنة!؟

تمالكت شيرين أعصابها ..

إهدئي سيدة آسية.. ما حدث لم يكن سهلًا أبدًا، لقد خدعنا زوجك.. ظننا في البداية إنه بطل قومي قتل ثاني أهم قيادي داعشي لكن سرعان ما ظهرت الحقيقة، لقد قتل أخيه ليحتل مكانه في هذا التنظيم.. ثار قديم بين زوجك وأخيه ..

لم تتمالك آسية نفسها وأنفجرت فيها ..

- ما هذا الهراء؟ عن أي ثار تتحدثين!؟

- أتظنين بأننا لا نعرف الخلاف الذي كان بين عمر وأخيه!؟، دعيني أخبرك سيدتي بأن الأمور بينهما لم تكن على ما يرام خاصة في تلك السنوات الأخيرة.. وها نحن قد شاهدنا ما حدث في النهاية.. زوجك قتل أخيه ليفوز بمكانة رفيعة في هذا التنظيم الإرهابي ..

و بنفس حدة الغضب ردت آسية عليها ...

لم أبالغ حين وصفت حديثك هذا بالهراء، كيف يمكن لعمر أن يخطط لكل هذا وأنتي بنفسك قد أنفردتِ بخبر أختطاف الكتبية المصرية كلها للعراق!؟، الحقيقة هنا أنك لو لم تهاجمي عمر لن تجدي ما تتحدثين عنه وستتقاعدين ..

لقد نفذ صبر شيرين، ردت بحدة توازي حدة آسية ..

الحقيقة هنا سيدة آسية والتي يصعب عليكي الاعتراف بها هو أن زوجك أرهايبًا ووظيفتي هنا كأعلامية هو نقل الأحداث وأعلام الناس بها، دعيني أسألك.. هل شاهدتي تلك المشاهد التي عرضناها والتي يظهر فيها زوجك مقاتلاً في صفوف تنظيم داعش الأرهايب؟!، بالطبع من المؤكد أنك قد شاهدتيه.. ولأنه زوجك لابد وأن تدافعين عنه، لكن ما ليس طبيعيًا هنا هو اتهامك لنا سيدة آسية..!، وبخصوص أن كيف أن زوجك كان من ضمن الجنود المختطفة والتي أرسلت للعراق وفي نفس الوقت كان يخطط لذلك فهو قد أستغل هذه الفرصة لتصفية حساباته مع أخيه وكان هذا واضحًا عندما ترك الكتيبة وذهب وحده لقتل أخيه..، في النهاية نجح زوجك في قتل أخيه ظنًا منه أن لا أحد سيعلم بهذا الأمر لكنه أكتشف أنه يتم تصويره، دعيني أسألك سؤال آخر.. أتعرفين مكان مراسلتنا السابقة ماريان التي قامت بتصوير هذه المشاهد؟!، تعرفين شيئًا عنها أو أنها بخير أم لا!؟

لحظة صمت تفكر فيها آسية بأجابه مقنعة وعيناها قد ملؤها الدموع، وبصوت هادئ أكملت شيرين كلامها ... العقل والمنطق هنا يحكمان بأن ماريان تحت رحمة عمر في هذا التنظيم أو ربما تكون قد قُتلت، ولا أخبئ عليك في أنني أتوقع ظهور فيديو ستنشره داعش عما قريب.. فيديو لذبح ماريان ..

و بصوت يخالطه البكاء ..

لا.. لا يمكنه فعل هذا، عمر ليس هكذا صدقيني ..

ردت شيرين بصوت يشوبه الشفقة على حال آسية ..

لقد قام زوجك بخداعك سيدتي.. لست أنتي فقط.. بل جميعًا..

بدأت شيرين تسمع صوت نحيب آسية منذرةً بالبكاء، فجأة أختطف أحدهم سماعة الهاتف من آسية وأكمل بدلاً عنها ...

- أسمعيني جيدًا أستاذة شيرين ...

قاطعته شيرين ..

- و من تكون أنت ؟

- أنا أحمد صديق عمر ورفيقه منذ أن كُنَّا صغارًا، دعيني أخبرك أنك ستندمين على ما تفعلينه بخصوص عمر

...

- هذا تهديد أذن..!؟

رد أحمد بنبرة واثقة ..

بالطبع لا ليس تهديدًا.. لكنني على يقين بأنك ستندمين عندما تظهر الحقيقة، حينها ستتمنين لو لم تعلمي في هذا المجال نهائيًا..

ردت شيرين بسخرية ...

صديق أرهابي يكلمني، ماذا عليّ أن أتوقع أن يكون حديثه؟!...، صدقني عليّ أن أخاف منك حقًا.. فقد تقتلني يومًا ..

ضحك أحمد بسخرية ...

و هكذا وقعتي في الفخ سيدتي..، أردت فقط أن أظهر للناس كيف تفهمين القضايا وتحليلينها وتنشري الأكاذيب، قمتي بتحويل كلامي لتهديد وقمتي بأستغلال هذا لصالحك..

حدقت شيرين بالكاميرا أمامها غير متفهمهً ما يتحدث عنه، اكمل أحمد ..

لو قام العالم كله بمهاجمة عمر فسأكون أنا الوحيد الذي يدعمه ويقف بجانبه لأنني الوحيد الذي يعرف عمر حق المعرفة.. ثقتي في صديقي لا حدود لها حتى وأن فقد العالم كله بما فيه زوجته ووالدته الثقة فيه، وكذلك ثقتي بربي في أنه سيظهر حقيقة الجميع يومًا ما ..

ردت شيرين بسخرية ..

- ما هي الحقيقة سيدي برأيك؟!، العالم كله شاهد الحقيقة ..!
- سيدتي.. أنتم أيها الإعلاميون كاذبون.. تزيفون الواقع لخدمة مصالحكم!، وأكبر خطأ قد أصابك هو أنك تجادلين شخصاً يفهم في هذا المجال جيداً..
- حقاً؟!، حسناً أتحداك أمام مشاهدينا.. فلتخبر المشاهدين كيف تقوم بخداعهم هكذا يا فيلسوف عصرك ..
بنبرة هادئة ووثيقة يرد أحمد ...
- يمكنكما بكل سهولة خداع الناس بمشاهد مصطنعة وما عليكم هو وضع عنوان مثير فقط بالاضافة لشرح بسيط يُبعد الناس عن الحقيقة والنظر لتلك المشاهد بنظرة مختلفة.. تلك التي تريدونها..
- واصلت شيرين سخريتها من أحمد وقامت بالتصفيق هذه المرة مع أبتسامه ساخرة ..
- يبدو أنك بارعاً حقاً.. لقد أخبرت مشاهدينا بكيفية صناعة مشاهد قتال عمر في صفوف داعش ..!، دعني أشرح هذا بالتفصيل.. لقد أستأجرنا عمر وجعلناه يرتدي ملابس داعشية وأمسك بسلاح مزيف وصنعنا ديكوراً خاصاً وجعلناه يمثّل مشاهد قتالية ثم قمنا بأخراج هذا الفيلم وعرضناه على المشاهدين كي نجعلهم يصدقون بأن عمر أرهايباً لكي تزداد هذه القناة شهرة، هنيئاً لك سيدي لقد كشفت خدعتنا وأقنعت الناس كلها بأننا كاذبون..
- أستمر بعدها الصمت للحظات ثم أكملت ..
- الحقيقة قاسية جداً سيدي..، وأنت كذلك تواجه صعوبة الاعتراف بذلك.. ليس هيناً أبداً أن تعترف حتى بينك وبين نفسك بأن صديقك قد أصبح أرهايباً..
- أستمر أيضاً الصمت للحظات كانت تنتظر فيها شيرين ردّاً من أحمد ولكنها قد سمعت بأن الخط قد أنقطع، ابتسمت ثم وجهت كلامها للجمهور ..

حسنًا ياسادة.. أنتهت مداخلتنا مع زوجة وصديق عمر وأظن أن جميعكم قد عرف حَقًا من الذي يخذعكم..
عمر وأمثاله أم نحن..!، لكنني ألتمس لهم العذر كذلك.. فماذا بإمكانهم أن يفعلوا بعدما خذلهم عمر؟!، والآن
نترككم مع فاصل قصير ثم نعود بعدها لتكملة آخر فقرة في برنامجنا الليلة ..

كان نقيب آسية وبكاؤها يزدادان، وحاولت صديقتها أمانى احتواها وضمها والأرباب عليها لتهدئتها، أما أحمد
الذي فقد كثيرًا من شخصيته المرححة منذ ما حدث لصديقه كان يقف أمام التلفاز عاجزًا عن تكملة رده على هذه
المذبة.. كان شاحب الوجه يريد نصر الله المؤكد.. يثق في الله أنه سينصر صديقه ولو بعد حين، كان يهم
بمغادرة الغرفة ولكنه فجأة توقف عندما لاحظ ما يُعرض في التلفاز.. مستحيل!.. كيف لهذا أن يحدث!!!،
لاحظته أمانى عندما توقف محددًا بالتلفاز ونظرت هي الأخرى بالتلفاز لترى ما أثار أنتباهه حقًا..، أتسعت عيناها
ذهولًا هي ووالدة عمر مما يروه.. أما آسية فرفعت رأسها عندما توقفت أمانى عن الأرباب عليها لتهدئتها وكذلك
لتعرف سبب الصمت الذي خيم على المكان فجأة وأصوات تلك الهمهمات التي تبعث من التلفاز.. لاحظت
صدمتهم جميعًا فنظرت هي الأخرى ناحية التلفاز ليتوقف قلبها للحظات فارغة فاما وتوقف تنفسها أيضًا من
الصدمة.. أتسعت عيناها ذهولًا وكادا يخرجان من محجريهما!..

أنه عمر!!..، عمر يقوم بعملية ذبح أخرى!!

قبل يومين ...

لم يكن يتخيل يوماً بأنه قد يُقدم على هدم حضارة ما وبأسم الإسلام.. كان مقتنعاً بأن الإسلام لم ينتشر يوماً بقوة السيف وهدم الحضارات كما يدّعي الكثيرون.. مثل عثمان، لكنه الآن غير ذلك.. حتى ولو كان غير راضياً عما يفعله فهو لم يعد كما كان سابقاً، فكر في أنه لو لم يكن مسلماً ذات يوم هل كان ليفكر في اعتناق الإسلام يوماً ما لا سيما بعد ما يرى ما يفعله هو الآن!؟

بعد أيام من خضوعه لتهديد عثمان والقبول بالانضمام رسمياً للتنظيم كُلف بالخروج في أول مهمة له.. تدمير تلك الأصنام المتواجدة في متحف الموصل.. كان يشعر بالذنب حينما كان يُمسك بمطرقة عملاقة ليكسر بها تلك التماثيل الضخمة لأعظم حضارتين في العراق.. الأشورية والكلدانية.. أما الصغيرة منها فكان يضعها في حقيبته ليحملها للتنظيم هناك حسب ما كُلف به، لم يكن ليفهم حاجة التنظيم لمثل هذه الآثار!؟، ولماذا تُدمر الكبيرة فقط ويتم مصادرة وسرقة الصغيرة منها!؟

رجع بذاكرته للوراء قليلاً ..

" ... ظننت حينها أنه قد نفذ تهديده وطردهم من البيت، لكن المفاجأة هي أنه لم يفعل!..، ومنذ ذلك اليوم تحديداً لم يره أحد، ومع مرور الأيام عرفت لماذا لم أعترف أنا يوماً ما بأي جماعة إسلامية..

هنز الرجل رأسه محذراً عمر ..

أحذر يا عمر في كلامك..، ليس هناك ما يسمى بـ " جماعة إسلامية "، وأذا أردت تسميتهم فالأصح هو " جماعة متأسلمة "

أراح عمر ظهره للوراء غير مباليًا بما قاله الرجل العراقي ..

لم أتمكن يوماً من معرفة ما تفعله هذه الجماعات زيادة عنا كمسلمين ..!، نصلي كما يصلون، ونصوم كذلك..
نحج ونزكي كلما أستطعنا ذلك، هم مسلمون ونحن كذلك أيضاً ..

قاطعته الرجل ..

تقصد متأسلمون يا عمر وليس مسلمون ..

قطب عمر حاجبيه في عدم فهم، منذ قليل كان يتكلم عن الأحتلال الأميركي للعراق ثم قاده الحديث معه بقصة
أختفاء أخيه فجأة ألى ما حدث ما حدث..، وها هو ذا يتكلم عن هذه الجماعات، في الحقيقة كان عمر يريد
الأستماع لرأي رجل عسكري بشأن تلك الجماعات، أكمل الرجل كلامه..

هناك فرق بين ثلاثة مصطلحات هامة " مسلم، متأسلم، إسلامي " .. أما المسلم فهو من كان دينه الأسلام
وخلقه الأسلام وسار على منهج الله وأتبع سنة الرسول سلام الله وصلاته عليه..، الأسلامي هو ليس بالضرورة أن
يكون دينه الأسلام ولكن خلقه الأسلام وأحياناً نجده يسير على منهج الله وسنة رسولنا أفضل من المسلم..، أما
المتأسلم فهو غالباً ما يكون مسلماً لكنه وبكل أسف يستخدم الدين والأسلام للمصالح الشخصية والخاصة..
لذلك هي ليست جماعات إسلامية ولكنها متأسلمة ..

بدا على عمر أنه مقتنعاً بكلام الرجل، لكن ثمة شيء لا يفهمه ..

الغريب في الأمر أنني لم أسمع في ديننا أن هناك جماعات تكونت لنصرة الدين.. لم أسمع يوماً بأن الرسول صل
الله عليه وسلم كُون جماعة!، الصحابة لم يفعلوا ذلك من بعده، وكذلك التابعين وأتباع التابعين.. حتى أئمة
وشيوخ وعلماء المسلمين لم ينضموا لجماعات، أذن على أي أساس تكونت هذه الجماعات؟! وكيف تكونت؟!
أعتدل الرجل في جلسته وأقرب منه ..

هذا لأنهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لن يحاسبنا كجماعات بل كلهم آتية يوم القيامة فرداً..، ولعلك
تلاحظ أن السلف الصالح كانوا يتنافسون فيما بينهم في عمل الخيرات واجتناب الذنوب والمعاصي وغضب الله

..

سكت للحظة ثم أكمل كلامه..

هناك الكثير من الأسئلة التي تدور في عقل من يتدبر الأمر جيداً.. كيف تكونت هذه الجماعات ومتى؟ وعلى أي أساس تكونت؟ ومن سمح بتكوينها؟.. ألم تدعي دولاً ما بأنها قد وصلت من العلم أقصاه؟! ألم تدعي هذه الدول بامتلاكها لأقوى أجهزة مخبرات؟!..

في الحقيقة هذا ليس ادعاء!، هذه حقيقة وهذه الحقيقة ذاتها هي من تُفسر أجابات تلك الأسئلة..

تساءل عمر في عدم فهم ..

أتقصد بأن هذه الدول الغربية هي من قامت بتكوين تلك الجماعات؟!..، صحيح أنني ضد هذه الجماعات لكن من الغير منطقي أن تكون هذه الدول من كونت هذه الجماعات لا سيما ما فعله تلك الجماعات فيها من هجمات أرهابية وعمليات أنتحارية في تلك الدول!..

ابتسم الرجل ثم أجابه ..

لا بأس بخسارة جولة مقابل الانتصار في نهاية المعركة..

أعتدل في جلسته ثم أكمل..

بعد الحروب العالمية التي حدثت في القرن الماضي والتي خلفت ورائها مليارات القتلى حول العالم أصبح التاريخ يُدين الغرب بشدة بسبب سفك كل هذه الدماء، وكان ردهم هو الأذعاء بأن الإسلام جاء بقوة السف والحروب والحمالات الاحتلالية على الدول وأرغامهم على الدخول في الإسلام أو دفع الجزية..، ولأن التاريخ كان شاهداً ومنصفاً فقد وقف بجانبنا نحن المسلمين وأستطعنا أن نكذبهم بأنها كانت مجرد فتوحات لنشر الدين وتخليص هذه الدول من ظلم الأمبراطوريات مثل الفرس والروم والحمالات الصليبية والمغول وغيرهم عبر التاريخ.. تلك الأمبراطوريات نفسها كانت قد أحتلت تلك البلاد التي فتحها المسلمين..

فكروا خارج الصندوق.. فكروا كيف تتم الاستفادة من تلك الخسارة وأثبتت أدعائاتهم وجعل التاريخ يقف بجانبهم..، تكوين جماعات تتكلم بأسم الدين وتقتل بأسم الدين وتقوم بكل شئ بأسم الدين.. القاعدة، طالبان، الأخوان، السلفيين، داعش..، هذا غير الجماعات والجبهات الصغيرة والغير معروفة، منهم ما أنشأته المخابرات الغربية فعلاً ومنهم ما تم أنشاؤه لغرض معين فقط، تتم السيطرة على هذه الجماعات وما يخرج عن سيطرتهم فهي في النهاية خسارة بسيطة لا تُذكر أمام تلك المكاسب الكبيرة وبعدها يتم القضاء على تلك الجماعة التي خالفت أوامرهم.. لقد نجحوا فعلاً في أقناع التاريخ بأدائنا كذلك.. كُتِبَ التاريخ وبالفعل تم ذكرنا في الخانة السوداء.. لقد سُفكت دماؤنا عبر ثورات وهمية.. " الربيع العربي " .. وها هي النتيجة.. لقد أصبحت شعوبنا العربية عبارة عن بحورٍ من الدم.. ونحن الآن نعيش أبهى وأقوى عصورنا .. (قالها بسخرية).. هنا لم تعد هناك حياة أبداً ..

سكت قليلاً ثم بدا يفكر بصوتٍ عالي ..

لذلك دائماً ما يراودني سؤال أعرف أجابته جيداً.. ماذا قدمت تلك الجماعات للأسلام؟! "

قطع تفكيره توقف العربية، كان قد أنهى ما يفعله من تكسير التماثيل وجاءت العربية لتقلعهم لمكانهم، تَرَجَل من العربية وسلم حقيبتة وعلى الفور أتجه ناحية العنبر الذي ينام فيه.. ظل يسير في ذلك الفناء الواسع دون أن يكلم أحد.. مر بساحة التدريب فجذب أنتباهه الحركات القتالية التي يتعلمونها هؤلاء الرجال.. سار لمسافة أخرى في طريق عودته لمكانه لكنه تفاجأ حين رأى عشرات الأطفال يخرجون من مبنى ما يتقدمهم قياديٌّ آخر.. أصطف الأطفال في صفوف منتظمة وكأنهم مُدربون على ذلك منذ فترة وبصوتٍ عالٍ كانوا يرددون " الله أكبر " .. تعجب عمر من حماس هؤلاء الأطفال ولكنهم ماذا يفعلون هنا؟!، أشار القائد بيده ليتوقفوا عن التردد ليلقي عليهم خطاباً ما ..

أحسنتم يا شباب.. بارك الله فيكم.. لا بد وأن حبيبنا محمداً ...

بصوتٍ عالي ردد الأطفال..

صل الله عليه وسلم ...

أكمل الرجل خطابه..

لابد وأن حبيينا محمدًا صلوات الله عليه فرح بما يراه الآن من مكانه الرفيع.. يرى شبابًا في مقتبل عمرهم يقاتلون في سبيل نصره ديننا.. مذكرًا أيانا بصحابي جليل وهو أسامة بن زيد.. ذلك الصحابي الشاب الذي خرج على رأس جيش كامل وهو لم يتعدى التاسعة عشرة من عمره وكانوا جميعهم بما فيهم صحابة رسول الله يمثلون لأوامره.. لذا أتوقع لكم مستقبلًا باهر هنا معنا وستكونون قواد هذه الأمة بعدنا.. سوف يُخلد التاريخ أسمائكم، أما الآن فهيا بنا لتتعلم شيئًا جديدًا ..

شهق عمر وأتسعت عيناه ذعرًا عندما رأى هذا الرجل قد أخرج سكينًا متمنيًا أن لا يحدث ما يفكر فيه ..

أحد أساليب قتالنا مع العدو هو الذبح، سنتعلم اليوم طريقة ذبح الرهائن لدينا، لكننا اليوم سنجرب هذا على هذه الشاة ..

لكن ما قطع ذهنه هذا.. هذا الصوت الذي ظهر عبر مكبرات الصوت في ذلك الفناء..

نداءً عاجل.. على الجميع التوجه الى الساحة الرابعة.. أكرر.. على الجميع التوجه للساحة الرابعة للأهمية القصوى..

كان مازال مشدوهمًا لم يتخيل أنه سيرى ما رأى.. فجأة وجد من يدفعه بقوة في كتفه..

ألم تسمع النداء؟!.. هيا تحرك..

تحرك عمر مرغمًا وسار باتجاه ما يسير نحوه هؤلاء الشباب للساحة الرابعة.. وبعد أن وصل الجميع رأى عمر بعيدًا على مرمى بصره قفص حديدي كبير ويوجد بداخله شخص يرتدي لباسًا برتقاليًا يبدو مستسلمًا خافضًا رأسه وكأنه يشعر بالعار، قطب عمر حاجبيه.. يبدو أنه سيتم تنفيذ حكم الأعدام لأحدهم.. فجأة وجد هذا الرجل المدعو عثمان بكير يقف بجانب هذا القفص مخاطبًا الجميع..

السلام عليكم يا عباد الله المؤمنين..

رد الجميع السلام، ثم أكمل عثمان كلامه..

نعلم جميعاً بأن هناك تحالفاً دولياً يحاربنا وللأسف الشديد تتواجد عدة دول عربية في هذا التحالف الكافر..
عدونا ليس الكافرين فقط.. بل يوجد عدواً آخر داخلياً ولا بد أن نقاتلهم أولاً..، هذا الأحمق..

قالها مشيراً لذلك الأسير الذي في القفص والذي يبدو نادماً أو مستسلماً لمصيره ..

من جيش العدو..، الأمس أستطعنا أسقاط طائرة أردنية مشاركة في هذا التحالف ضدنا ولا بد وأن نجعل هذه
الدول تستفيق وتعلم إلى أي طرف من المفترض لها أن تقاتل بجانبها.. تحارب بجانب الإسلام والمسلمين أم مع
العدو الكافر..

صاح الجميع غاضباً وجميعهم رشقوا هذا الطيار الأردني بالحجارة ألى أن رفع عثمان يده إشارة لهم بالتوقف، ثم
أكمل كلامه..

عقابه اليوم سيكون مختلفاً نوعاً ما..

أنتبه عمر فجأة للرجل الذي يقوم بتصوير هذا الحدث موجها الكاميرا ناحية هذا الاسير الأردني، وللحظة أدرك
عمر أنه لم يلاحظ أن هذا الأسير مبلل وكذلك الأرض من تحته ولكن عندما لاحظ وجود ثلاثة رجال بجانب هذا
القفص ممسكين بمشعلات نارية أدرك بأن هذا الأسير ليس مبللاً بالماء.. وإنما بالبنزين..!، هنز عثمان رأسه
علامة على بدء تنفيذ حكم الأعدام.. رمى هؤلاء الرجال النيران داخل القفص وسرعان ما أمسكت النيران في هذا
الأسير، تعجب عمر في البداية من كون هذا الأسير واقفاً بهدوء غير مبالياً بالنيران التي أمسكت فيه حقاً.. ألم
يشعر بألم؟!، لكن سرعان ما بدأت تظهر علامات الألم عليه وبدأ في الصراخ والجري داخل القفص طالباً
النجدة وممسكاً بقضبان هذا القفص وكلما فعل هذا تزداد النيران اشتعالاً في جسده.. كان ينيير المكان أكثر
رغم أن الوقت كان نهائياً.. ظل هكذا ألى أن سقط ميتاً متفحماً ومتخشباً، هذا المشهد الذي جعل عمر يتقيء ..

من بعيد كان يراقبه ذلك الشاب في كل حركة وخطوة يخطوها مُكلفًا بذلك من عثمان.. أتجه ناحية عثمان وهمس له في أذنه ثم أنحنى له وغادر، أسرع عثمان ناحية عمر وهو عائدًا للعنبر ثم ناداه ..

عمر..

توقف عمر مقطبًا حاجبيه ناظرًا لأسفل.. لا يطيق النظر لهذا الرجل اللعين، أربت الرجل بيده على كتف عمر مبتسمًا أبتسامة عرفها عمر أنها مأكرة..

لقد أحسنت في مهمتك الأولى يا عمر، لكن لا تظن أن كل المهمات ستكون هكذا بهذه السهولة.. الليلة ستعرف مهمتك القادمة ليوم غد.. أستعد !

تركه عمر بصمت أيضًا قلقًا حيال ما يحدث معه أو ما سيحدث غدًا.. تُري ما هي المهمة التي سينفذها غدًا!؟

تناقلت وسائل الإعلام الاردنية والعالمية مشاهد أعدام الطيار معاذ الكساسبة التي عرضها تنظيم داعش.. والامم المتحدة كان دورها هو الأداة فقط..

كان مختبئاً في إحدى مباني هذه المدينة حاملاً سلاحه وذخيرته كما هي لم يطلق رصاصة واحدة منذ بدء المهمة الثانية له، معركة الحفاظ على الأرض كما يسميها تنظيم داعش أو كما يسميها الطرف الآخر " معركة تحرير الموصل " .. بالطبع هي معركة لتحرير الموصل من تنظيم داعش..، راح يفكر بمنطق بعيداً عن أنه قد أرغم على خوض هذه المعركة، هل ما يفعله الآن صوابٌ أم خطأ؟! .. بمعنى هل يتوجب عليه كمسلم أنه يقاتل الجيش العراقي ذو الغالبية الشيعية بصرف النظر أنه يقاتل في صفوف داعش؟!، لكن سرعان ما أزاح هذه الفكرة عن رأسه.. كان يكره تلك المعارك الطائفية على أية حال، لكن بالطبع هذا أفضل من تلك المهمة التي تم تكليفه بها لولا تدخل مُصعب، حينها قد خُفق قلبه وكاد يقع عندما علم بتلك المهمة المستحيلة على عقله تقبلها ..

راح يفكر في الذي حدث أمس ..

مرحّباً يا عمر، أجلس ..

أشار له عثمان بالجلوس على الكرسي أمامه ثم نظر إليه طويلاً حيث بدا على عمر القلق، أعتدل عثمان في جلسته ثم راح يقترح عليه ..

يبدو عليك الأرهاق..، لم تنم منذ البارحة، أليس كذلك؟!؟

رد عمر بجفاء ..

كيف أنام وأنا لا أعرف مكان ماريان؟!؟

ابتسم عثمان بسخرية ..

تهتم لأمر ماريان كثيراً! .. ياللعجب، لكن يا عمر عليك أن تعرف أننا مسلمون وليس يهود كي نقض عهدنا، وعدناك بأنها ستكون بخير طالما لا تعصي أوامرنا، وحتى لو أقدمنا على مخالفتنا لن نقوم نحن بذلك .. بل أنت يا عمر في الوقت الذي ستفكر فيه بعصياننا ..

قطب عمر حاجبيه في غضب لكنه فضل كتمان غضبه لانه لا حول له ولا قوة.. أستطرد عثمان كلامه..

يا عمر.. عادة أنا لا أتكلم بلطف هكذا مع الجميع، حتى هذا المكتب لا يدخله الكثيرون.. المميزون فقط هم من يُسمح لهم بالدخول هنا وبناءً على طلبي أنا فقط..، عادة ما أصدر أوامري ويتم إرسالها للمجاهدين وتنفيذها دون نقاش أو جدل، لكن أنت حالة خاصة بالنسبة لي يا عمر..، أنا أعتبرك أخًا لي.. صحيح أنني كنت أكره أخاك عندما كان هنا في التنظيم ولكنه رحل الآن وبفضلك أنت رجعت لمكاني هنا، لذلك أنا مدين لك يا عمر بالكثير وسأعمل جاهدًا لأرد لك هذا الدين ..

نظر إليه عمر بقلق وتوتر شديد، لا يتق كثيرًا في هذا الرجل..، أرستمت أبتسامه أخرى على وجه عثمان ولكنها تبدو ككل مرة مأكرة ..

ستعود لمصر يا عمر..، ما رأيك ؟

صُغق عمر لما سمعه الآن.. بهذه السهولة؟!، لكنه فجأة تذكر شيئًا ..

و ماريان.. هل ستعود معي؟!؟

هنا ضحك عثمان بصوت عالي لدرجة أنه سُعل من كثرة الضحك..

و هل ستظن أنك سوف تذهب لهنالك في نزهة أم أنه قد تم أعفاؤك؟!؟

شحب وجهه فجأة، ولم يفهم في البداية قصد هذا الرجل لكنه فجأة دُعر عندما فكر بأنه ..

ستقوم بتنفيذ مهمة هناك يا عمر..

أنفض عمر من مكانه ضاربًا بيده على المكتب في غضب شديد ..

لا تظن يا هذا بأني سأقوم بتفجير نفسي أو أقتل جنود لا ذنب لها..، أنت تحلم، وأن كنت تظن أنك سوف

تهددني بأنك ستجبرني على قتل ماريان فأنت مخطئ.. لن أقوم بهذا ولا ذاك ولنفعل ما تشاء بي..

بهذوء أعصاب ابتسم عثمان ثم سأله ..

و من قال لك بأنك ستقوم بعملية أنتحارية أو ستقتل جنود بلدك !؟

نظر إليه عمر نظرة فهمها عثمان جيداً.. نظرة تساؤل عن ماهية العملية التالية بالضبط، أكمل عثمان كلامه ..

دعني أشرح لك..، هناك دول ما زالت قوية ولن نستطيع دخولها الآن ومنها مصر، لكننا نستطيع اختراقها الآن

...

توقف عن كلامه للحظات ثم أستطرد ..

نحن دولة الخلافة يا عمر ولا بد من أخضاع أي جماعة أو جبهة إسلامية تحت أوامرنا لذلك قد خضعت لنا جماعة أنصار بيت المقدس وجبهات النصر وغيرها التي تقطن في سيناء وجميعهم يمثلون لأوامرنا وجميع مهماتهم تنسب إلينا ..

ورجوعاً لموضوعنا ستقوم أنت بتنفيذ عدة مهام بسيطة في مصر ثم سيتم تنصيبك أميراً على إحدى جماعاتنا هناك ..

لم يبدي عمر أي ردة فعل لشدة صدمته..، كيف يفكر هذا الرجل !؟، لماذا دائماً يعتقد بأنني أريد الوصول لمكانة رفيعة هنا !؟ لماذا يتصرف هكذا وكأنه يفضل عليّ بهذا !؟، مجدداً قطع عثمان تفكيره..

لا تفكر بطريقة للهروب وأنت في مصر وأعتقد أنك ليس بهذه السذاجة لتفكر في هذا، وأخيراً عليك أن تعلم أنه لدينا طرقاً عديدة لجعلك تذبح ماريان بنفسك !..

التفت عمر وخرج من مكتب هذا الرجل ضعيفاً ومنكسراً وتائهاً، لم يعهد بنفسه كل هذا الضعف من قبل، بدا له الجميع يتحكمون في مسار حياته الآن..

عاد لواقعه مرةً أخرى.. كان يقف مدعوراً مستنداً على إحدى مباني في إحدى ساحات دولة داعش، راح يفكر في الانتحار فعلياً.. تبدو فكرة جيدة، فهذا الوضع يبدو أن لا نهاية له، الوضع هنا ليس بسبب الانضمام لداعش

فحسب .. وأما هو أبعد من ذلك بكثير.. تنفيذ مهمة أرهابية في مصر.. أثارت هذه الفكرة غشيانه، برزت في ذهنه فكرة أخرى.. راح يفكر في طريقة للهروب من هنا وهذا يبدو مستحيلًا وحتى لو تمكن من فعل ذلك فإنه من المستحيل له الهروب دون ماريان وإلا لم يكن لينضم إليهم منذ البداية لو لم يهمله أمرها!، لكن المشكلة هنا أنه لا يعلم مكانها أو مصيرها حتى الآن ..، عاد ليفكر من جديد في الانتحار.. يبدو هو الخيار الأمثل أمامه الآن ليتخلص من هذا الوضع البائس الذي لا نهاية له، لكنه بذلك سيموت كافرًا.. أرهقه التفكير، جلس مكانه وفكر.. الموت واحد وتعددت الأسباب.. لماذا يفكر في الانتحار في الوقت الذي يستطيع فيه رفض تنفيذ تلك العملية الأرهابية في مصر وبعدها يرفض ذبح ماريان على أية حال!!.. في النهاية سيضطر عثمان لقتل كلاهما وبالتالي أما سيموت شهيدًا أو على الأقل مقتولا المهم أنه بعيدًا عن الانتحار، بدت له فكرة الموت عمومًا فكرة رائعة.. سيرتاح من هذا العبث الذي يملئ العالم بأكمله ..

ما جذب أنتباهه هو قدوم مُصعب الجوهري نحوه..، وقف مُصعب أمامه ليسأله..

بماذا كلفك القائد عثمان!؟

تفاجأ عمر للحظة لعدم معرفة مساعده الأول تفاصيل المهمة القادمة، وكأنه كان ينتظر لحظة كهذه ليعلن فيها عن تمرده وعصيانه لهم ..

لا.. لا أعلم ولكنه أخبرني فقط أن العملية القادمة ستكون في مصر أما تفاصيل تلك العملية لن أعرفها إلا في الوقت المناسب ..

ثم علا صوته فجأة محذرًا أياه ..

و لكنني لن أفعل هذا سواء ..

بدا على مُصعب أنه شارد الذهن، قاطعه مُصعب ..

لا تعرف أيه تفاصيل عن تلك العملية!؟

قطب عمر حاجبيه وزفر ..

لا.. لم يخبرني بشئ سوى أن العملية القادمة ستكون في مصر، وسواء أخبرني أم لا لن أقوم بتلك العملية إطلاقاً حتى وأن هددتموني بقتلي أو بقتل ماريان.. بأختصار لن أقوم بتنفيذ هذه العملية ولن أقتل ماريان !!

للحظة أدرك عمر أن مُصعب شارد الذهن ولا يستمع لكلامه.. يفكر في شئ ما، كان ينظر بعيداً في الناحية الشرقية من الساحة حيث التجمع الكبير من مقاتلي داعش، فجأة نظر إليه مُصعب وكأنه أنتبه للتو من كلام عمر حول عدم تنفيذه للعملية القادمة بمصر، وبلهجة آمرة ..

أسرع لهنالك وأنضم لهؤلاء المجاهدين للأستعداد للمعركة ضد الجيش العراقي غداً ..

و قف عمر فجأة ليتدارك ما يقوله هذا الرجل، بدا مرتبكاً ..

و لكن عثمان ..

قاطعه مُصعب في غضب ..

و لكنني أنا من يأمرك الآن بالانضمام لهؤلاء الرجال للأستعداد للمعركة وليس القائد عثمان، أم أنك ترغب في تنفيذ المهمة التي أسندت إليك في مصر !؟

تورد وجه عمر فجأة وكأن فرج الله قد أنزل عليه، بدت له فرصة جيدة للهروب من تنفيذ العملية في مصر، هنز عمر رأسه نافيةً أصراره على تنفيذ المهمة التي كلفه به عثمان، وبلهجة آمرة ..

حسنًا.. هيا تحرك وأستعد لمعركة الغد ..

شكرًا لك ..

رد عليه مُصعب متهكمًا ..

لا تظن أني أصنع لك معروفًا، فعلت هذا فقط لأنك غير مؤهل لتنفيذ عمليات في بلد مثل مصر..

كان كلاهما يهمان بالمغادرة في اتجاه معاكس لبعضهما ولكن عمر تذكر شيئاً مهماً ورجع ليستوقفه ..

من فضلك.. أين هي ماريان!؟

نظر إليه مُصعب نظرة طويلة لم يفهمها عمر ..!، التفت وغادر دون أن يخبره بشيء، فكر عمر في أنه يسرع في أستغلال هذه الفرصة وينضم لهؤلاء الرجال قبل أن يرجع مُصعب في كلامه، ففرصة القتال في هذه المعركة قد تكون هي الأفضل له..

فكرة أنه ربما يموت في معركة كهذه أفضل بكثير من الأنتحار أو تنفيذ مهمة أرهابية في مصر.. فكر قليلاً.. كيف يموت بذكاء في معركة كهذه، فلو عمد على أنه يُقتل في المعركة فكأنه قد قرر الأنتحار ولكن بطريقة أخرى أكثر ذكاء، في الواقع هذا ما كان يريده فعلاً.. الموت بذكاء، زفر قليلاً إلى أن وصل لهؤلاء الرجال الذين يستعدون لمعركة الغد ..

دخل مُصعب مكتب القائد عثمان ..

السلام عليكم سيدي ..

و عليكم السلام.. هل من جديد؟

لا شيئٌ جديد.. لكنني جعلته ينضم للمجاهدين في معركة الغد ضد الجيش العراقي ..

ظهر الغضب فجأة على وجه عثمان وأنفجر في وجهه ..

هل جننت!؟، من أعطاك أنت الأمر بهذا؟

لم يفرع مُصعب وتكلم بهدوء ..

أهدأ سيدي.. فلنناقش الأمر بهدوء..

صاح به غاضباً ..

يبدو أنك نسيت مكانك هنا يا مُصعب، عمر سينفذ عملية مهمة الايام القادمة.. أرجعه فوراً ..

رد عليه بهدوء أعصاب ..

في مصر .. أليس كذلك ؟

تفاجأ عثمان من معرفة مُصعب بالأمر ..

هل علمت بالأمر ..؟!

سمعت بهذا من عمر وليس منك سيدي !!، أهذا له علاقة بفشل عملياتنا الأخيرة في مصر ؟!، هل تشك بي

سيدي ؟!

رد عثمان وكأنه يهرب من الأجابة ..

كنت سأخبرك بهذا ولكن في الوقت المناسب ..

أوما مُصعب برأسه وقد بدا عليه الضيق ..

حسناً سيدي ولكن أن كان عليك أن تشك بأحدهم فعليك أن تفكر بمنطق منذ متى وعملياتنا تفشل سيدي ..

قطب عثمان حاجبيه .. يريد التوضيح، أستطرد مُصعب شرحه ..

كانت نسبة فشل العمليات التي نقوم بتنفيذها في سيناء لا تتعدى العشرون بالمئة ولكن مع قدوم عمر أصبحت

جميع عملياتنا تقريباً في مصر فاشلة ومكشوفة ..

و كأن الأمور بدأت تتضح له ..

ماذا تريد أن تقول ؟!، أيعقل أن يكون عمر مجرد فخ وقعنا فيه ؟!

قام مُصعب من مكانه ليشرح الأمر كاملاً ..

و هل لديك تفسير آخر سيدي؟! .. ينفصل عمر من كتيبته في الجيش المصري ثم يقتل عضوًا بارزًا في جماعتنا بغض النظر عن أنه أخوه..، ربما وجد هذا صعبًا في البداية لكن أبو عمار في النهاية داعشيًا بارزًا، ثم وبطريقة ما يذهب عمر للمكان ذاته الذي كنا سننفذ فيها عملية قتل الشيعة في ذلك المقهى.. كانوا يعرفون أننا سنقوم بتجنيده في التنظيم..

لكنه كان سيقتل مرتين.. مرة عندما دُفن حيًا ومرة في هذا المقهى؟

بدا على مُصعب أنه يجاربه فعلاً ..

و هذا بالضبط ما يؤكد كلامي سيدي..، ألم تجد أنه من الغريب يتم أنقاذه بعد أن دُفن حيًا؟! وكذلك تم قتل كل من في المقهى عداه هو وتلك الفتاة؟!، أظن أنه لو أنضم ألينا بطريقة أخرى هل كنت ستصدق أنتمأوه لنا؟؟ .. بالطبع لا وهكذا كانت خطتهم منذ البداية، أن تكون طريقة أنضمامه لنا بطريقة بعيدة عن إثارة شكوكنا حوله ..

بدا كلام مُصعب مقنعًا له أكثر من أي وقت مضى، فكر بصوت عالي ..

لذلك عمر يحاول الهروب من تنفيذ عمليات في مصر ..!، لكن هذا سيكون دافعًا بالنسبة لنا أن نجبره على تنفيذ ما نطلبه منه.. لا يمكن لاحد خداعنا بهذه الطريقة ..

بالطبع سيدي يمكنك فعل هذا ولكنك حينها قد تكون اخترت الطريقة الخطأ، ستفشل هذه المهمة أيضًا.. لكن دعني أوضح لك شيئًا آخر سيدي..، حتى لو لم يكن عمر عنصر أستخبارتي مصري فمن مصلحتنا أن يقاتل في معركة الغد.. عمر لديه مهارات قتالية عالية وسيكون أكثر أفادة لنا من أن يتم إجباره على تنفيذ عملية ما في دولة مثل مصر.. قد تفشل مهمتنا في مصر أيضًا بطريقة ما أن شارك هو فيها..

هز عثمان رأسه موافقًا أياه ..

لم يتمكن عمر من اللحاق بالمحاضرة الأخيرة قبيل المعركة الحاسمة غدًا...، كانت آخر كلمات الرجل الذي يخاطبهم.. " معًا أيها المجاهدون سوف ننتصر ونحافظ على أرضنا وأسترداد ما سلبونا أياه هؤلاء الكافرين.. ستكون الموصل هي بدايتنا الجديدة.. هيا يارجال.. هيا لنفوز بجنة عرضها السموات والأرض " قال الرجل الكلمات الأخيرة بصوت رنان أقشعر جسد عمر بسببها.. ردد في نفسه.. هؤلاء الحمقى !! كيف جعلوه يتحمس لشئ كهذه ؟

رجع لواقعه مرة أخرى..، ما قطع تفكيره اشتداد حدة المعركة بعدما بدأت فقط بمناوشات خفيفة، حتى الآن لم يستخدم سلاحه ولم يطلق رصاصةً واحدة.. كان يتمنى إنتهاء هذه المعركة دون اللجوء لقتل أحد، ففي النهاية هو يقاتل في صفوف جماعة أرهايية بغض النظر أنه يقاتل جيش ذو أغلبية شيعية.. لكن ما جذب أنتباهه هو وجود مراسلين لقنوات عدة تغطي هذه المعركة، أقتنع بكلام الرجل العراقي حين قال له ... " بدون الأعلام لن تتواجد الحروب في شعوبنا.. الأعلام هو السلاح الذي تستخدمه الدول لتحاربنا به " ..

صُفق عندما رأى فتاة صغيرة تحتمي خلف سيارة ما من وابل الرصاص المتراشق فوق رأسها وعلى الفور فكر في استخدام سلاحه ليحمي نفسه على الأقل حتى ينقذ هذه الفتاة الصغيرة..، عبر للجهة الأخرى من الشارع مستخدمًا سلاحه ليحمي نفسه وما أن وصل إليها حتى جعلها تحتمي به ورغم صوت الرصاص المتراشق فوقهم والمصم للأذان إلا إنه سمع صراخ سيدة يبدو أنها والدة هذه الفتاة وكانت مذعورة.. لا يعرف إن كانت مذعورة من هذا الرصاص المتراشق فوق رأس أبنتها خوفًا من أن تصيبها رصاصة أم لأن أبنتها أصبحت في حماية داعشي.. ربما يستخدمها لاحقًا ويضمها للتنظيم !!

أشار إليها عمر بالبقاء في مكانها ريثما ينقذها.. كانت هي الأخرى تحتمي داخل مبنى في آخر الشارع، جعل الصغيرة تمسك بقميصه من الخلف ولا تفلته لأنه سينقل للجهة الأخرى من الشارع حيث تتواجد والدتها في المبنى، وهكذا فعلت الفتاة بالضبط ولكن لسوء الحظ أختزقت رصاصة كتفه الأيسر وسقط أرضًا وضغط على

رأس الفتاة كي تنبطح أرضًا لكنه سرعان ما قام وحمل الفتاة على ذراعه الأيمن ووصل الجهة الأخرى في أقل من ثانية، أحتضنت الأم فئاتها التي ما أن افلتتها لتشكر عمر المستند على الحائط مصابًا ..

أشار لها عمر بالصعود إلى الأعلى لكي تحتمي في المبنى هي وطفلتها لأن المعركة على أشدها، فعلت ما أمرها به وما هي إلا لحظات حتى وجد أن المبنى قد اهتز فجأة جراء قصفٍ عنيفٍ.. صُعق عندما فكر بأنه قد تم أذيتهن، تحامل على يده اليمنى وصعد السلم بسرعة للأعلى ولكنه كان يرى خطأً في كل طابق، واصل الصعود إلى أن وجد نفسه فجأة في سطح هذا المبنى ولا أثر للفتاة ووالدتها هنا.. نزل مرة أخرى ليتفحص كل طابق لعلهم يحتمون بجانب أحد الحوائط أو ...

عندما وصل للطابق الثاني وجد يد صغيرة تخرج من تحت الأنقاض.. دُعر عندما فكر بالأمر، توجه ناحية هذه الأنقاض ليزيحها متألماً بسبب الجرح الذي في كتفه غير مصدقاً لما رآه.. الفتاة ووالدتها تحت الأنقاض ميتتين ..!، أزرقت دموعه في الحال وشعر بتأنيب ضميره لأنه هو من أمرهم بالصعود لأعلى.. وجههم ليلقوا حتفهم.. سلمهم للموت بيديه هاتين، تناسى جرحه وآلامه وحمل سلاحه وراح بكل عزيمة وحماسة وعقل يريد الثأر ليشارك في المعركة.. الجيش العراقي أصبح عدوه هو الآن.. لقد قتلوا الطفلة ووالدتها ..

تعجب مجاهدي داعش من فرط المهارة التي يبيدها عمر في القتال، لقد تحولت المعركة فجأة لصالحهم ليس لأن عمر قرر فجأة القتال.. لا لا كل ما في الأمر أن القوات العراقية لم يأتي لها الدعم حتى الآن من طائرات التحالف فأضطر الجيش العراقي للبدء في الانسحاب تدريجياً..، وبعد ساعات من المعركة المتواصلة أتضح جلياً أنتصار تنظيم داعش في هذه الجولة..

كانت عناصر داعش منتشيين بانتصارهم المبدئي.. جولة أولى قد حسموها، وفيما كانوا يهيمون بمغادرة المكان كان عمر جالساً حزيناً يبكي بحرقه، أشار له أحدهم بالاستعداد لمغادرة المكان وركب السيارة معهم..

وفيما كان أسطول داعش في طريق العودة محتفلاً بالنصر جذب أنتباهه تجمع مجموعة من الناس حول شيء ما، في ثانيتين فقط مرت السيارة التي يركبها بهذا التجمع ولكنه لم يصدق ما رآه..!، يبدو أن أحدهم مُلقى على الأرض جريحاً أو مقتولاً، سمع صوتٍ مألوف.. صوت يعرفه جيداً يصراخ ويندب حظه ..

لماذا أنا دائماً ياربي؟!.. لماذا أنا ما تفعل بي هذا دومًا؟!.. لماذا أنا من دون الناس من تبتليني في أهلي؟!..
أكفرت بك من قبل كي تفعل هذا بي؟! أجبني يا الله.. أجبني!

مستحيل..! أنه جمال الدين!، تلك الملقاة على الأرض مقتولة هي تغريد؟!!

كان يحدق في أوجههم رغم أبتعاد السيارة التي يركبها عنهم شارد الذهن.. توقف عقله بالكامل لا يصدق ما
رآه، الصدمة أفقدته عقله تمامًا.. لم ينتبه إلا عندما وصل مقر التنظيم.. نزل وتوجه ناحية العنبر كالعادة، مرت
حياته كلها في ذهنه في لحظة، في لحظة تذكر والديه وكيف تركهما في حالتهما الصحية السيئة وكيف حالهم
بعدهما شاهدوا الفيديو؟!، تذكر مهمته في اليمن وأختطافهم للعراق.. تذكر انفصاله عن اللواء صفوت والكتيبة،
تذكر صدمته عندما واجه أخوه لأول مرة بعد أختفائه فجأة.. تذكر معركتهما وتذكر قتله لأخيه، تذكر آسية
والحادثة التي تعرضت لها.. كيف حالها الآن؟، تذكر صديقه أحمد.. هل مازال يدعمه حتى الآن؟ هل يثق في
صديقه أصلاً بعدما حدث؟، تذكر الرجل العراقي وأبنته وتذكر كيف كانت نهايتهم.. تذكر تلك المرأة وصغيرتها..
تذكر أنضمامه لتنظيم أرهابي..

من كان يتصور هذا أن يحدث؟!، من كان يتخيل أن حياته ستكون هكذا؟!، أين هي نقطة بداية كل هذه
الأحداث؟، بدا له وكأن الأمس فقط كان في مصر واليوم هو هنا.. هنا في داعش!!، جرت الأحداث بسرعة
البرق!!، أيمن أن يكون كل ما يحدث معه حتى الآن هو مجرد كابوس؟!، هل سيستيقظ بعد قليل ليجد نفسه
في البيت نائمًا وأنه كان يحلم فقط بكابوس مرعب؟، وسواء أكان هذا كابوسًا أو حقيقياً متى ينتهي؟

فاض به الأمر ولا بد من أن ينهي هذا الكابوس بنفسه..!، لن ينتظر مساعدة أحد في إنهاء هذا.. سيصل لمرحلة
لن يستمر الكابوس بعدها.. سواء أكان هذا الكابوس هو كابوس حقيقي فعلاً أو ذلك الواقع الكارثي والكابوسي
أيضاً..

أدخل يده تحت وسادته وأخرج سكيناً.. نظر إليها طويلاً.. هذه السكين سوف تنهي كل شيء الآن!.. فكر في
وضوح حد لحياته!!

كانت جائمةً أرضًا لا حول لها ولا قوة.. لم تعد تشعر بشيءٍ على الإطلاق..، منذ أن تم نقلها لهذا المكان ليلة أمس وهي جائمة على جانبها الأيمن لا تقوى على الحركة، لم تأكل منذ أن تم اعتقالها من قبل هذا التنظيم..

سابقًا كانت تتعجب حين ترى المراسلين الذين يتم أختطافهم من قبل تنظيم داعش كيف يكونوا مستسلمين هكذا عند ذبحهم.. علمت أن ليس هذا مثاليةً منهم بأنهم فخورين بعملهم.. لا لا فالنفس البشرية على أية حال لديها غريزة حب البقاء سواء كانت تريد الحياة أم لا..، لقد تم حقنها بمخدر منذ قليل حتى لا تقاوم عملية الذبح بعد ساعات قليلة من الآن، وما أصعب أن يمر المرء بلحظاته الأخيرة..

كانت ماريان تتساءل لماذا الله لم يُعلمنا بميعاد موتنا، وباليتمها لم تعلم..، الآن فقط علمت حكمة الرب من ذلك، خفق قلبها وذرفت دموعها.. في النهاية هي بشرية، بعد ساعات ستموت..

سمعت صرير الباب يُفتح ببطء.. لم ترى سوى أقدام لشخصين يقفان على الباب.. هل حان الوقت؟!، لكنها كانت تعلم أنها في ساعات الفجر الآن ومن الطبيعي أن تتم عملية ذبح المراسلين نهارًا، كم تمنى لو تعيش فقط لحظات قليلة أخرى..

ما يحدث معه ليس حقيقيًا.. بالتأكيد ليس حقيقيًا..! وما عرفه أيضًا ليس حقيقيًا.. لابد وأنه يهلوس، شيء ما غير طبيعي يحدث هنا..!، ربما لو كان حلمًا أو كابوسًا لكان قد صدق ما يحدث فيه لكنه لم يصدق ما يحدث معه الآن، حتى عندما يحلم الإنسان بكابوس مزعج يدرك بأنه في كابوس وأنه في الأصل نائمًا ويأمل بأن أحدهم يلاحظ معاناته في هذا الكابوس فيوقفه.. لكنه ليس هكذا الآن، لم يشعر أنه نائمًا ويطلب النجدة..!

على كل حال ليس أمامه سوى أن يكمل ما قد كان ينوي فعله، فكر كثيرًا ولم يجد سوى هذه الطريقة التي ينهي بها كل هذا العبث..، لقد كان في طريقه لمكتب عثمان، يريد مواجهته بخصوص ما عرفه منذ قليل، ماريان ليست

هنا !!.. أين ستكون أذن؟، حتى مُصعب نفسه لم يعرف مكانها لأنه وبكل بساطة هو من أخبره أن ماريان ليست هنا في العراق!، حسنًا.. إذن لابد من مواجهة عثمان.. المواجهة الأخيرة بينهم..

كان الطريق خاليًا أمامه، تعجب من ذلك.. ليس من المفترض أن يكون هكذا حتى لو كان الوقت متأخرًا كالآن.. لقد توقع بعض الصعوبة في مواجهته الأخيرة تلك به، على أية حال الطريق سالكًا أمامه ولن يتراجع عما سيفعله.. وصل لباب المكتب ووقف أمامه للحظات.. تردد في البداية لكنه شجع نفسه على مواصلة الأمر.. لقد حسم أمره الآن، فتح الباب ودخل بسرعة، وقف للحظات يحدق بعثمان المصدوم أو المتفاجئ من دخول عمر هكذا!..، كان يعمل على شيء في حاسوبه المحمول، حدق عثمان في غضب ودهشة في نفس الوقت، من ذا الذي يستطيع دخول مكتبه بهذه الطريقة؟!، سأله عثمان بحدة..

من سمح لك بالدخول؟

تقدم عمر خطوتين نحو مكتبه وهو ينظر حوله متجاهلاً نظرات عثمان الغاضبة، رد عليه عمر بهدوء أعصاب.. لم أجد أحدًا على الباب فسمحت لنفسي بالدخول..

إزدادت حيرة عثمان من برود عمر ومن رده أيضًا، كيف لا أحد على الباب؟، أين الحُراس؟، وجد عمر يقترب منه فأغلق شاشة الحاسوب أمامه..

سأرى هذا الموضوع لاحقًا، لكن عليك الخروج الآن يا عمر، فكما تراني.. لدي بعض الأعمال عليّ أنجازها... أصبح عمر واقفًا أمام المكتب مباشرة وسأله عمر في نظرة متحدية..

أين ماريان؟!

للحظة شعر عثمان بأن عمر قد عرف شيئًا عن ماريان، شعرا أيضًا بأن عمر ينوي شراء، تَبًّا لهؤلاء الحمقى، كيف دخل عمر إلى هنا؟!، رد عليه بشيء من الغموض محاولًا السيطرة على نفسه..

ماريان ليست هنا..

لكنك وعدتني بأنها ستكون بخير!..

شعر عثمان بشيء من الرهبة والخوف.. تعجب من أنه يخاف من شخص كهذا!!، دقائق قلبه زادت دون مبرر..

نعم هي كذلك، حتى الآن..

تساءل عمر في أستنكار..

حتى الآن؟!، إذن كنت تنوي بها شرًا كما توقعت؟

كان تساؤل عمر هذا لا يحمل سوى معنى واحد فقط...، إنه كان ينوي حقًا فعل شيء الآن ولا يهتم لعواقبه، يبدو يائسًا وباردًا على غير عادته، هل وصل لمرحلة البلادة؟!، فاجئه حركة عمر.. قام عمر بالأمسك بالحاسوب من أمامه وقام بفتح الشاشة، قام عثمان في غضب وإثف حول المكتب بسرعة وأمسك بذراع عمر ودفعه بعيدًا عن الحاسوب..

هل جننت؟!، ماذا تفعل؟!!

التفت إليه عمر وقام بدفعه بقوة طارحًا عثمان أرضًا، إتجه ناحية الحاسوب مرة أخرى ليفتحه ففوجئ بأن عثمان قد دفعه هو...، سقط عمر بعد اصطدامه بالكروسي، أقترب إليه عثمان ليضربه من جديد فوجد عمر قد ركله في صدره فرجع للوراء خطوتين فاقدًا توازنه إثر الركلة..، حاول استعادة توازنه لكنه فوجئ باللكمة التي سددها عمر في وجهه مما أفقدته توازنه كليًا، أمسكه عمر من شعره ورطم وجهه على المكتب ثلاثة مرات حتى فقد عثمان تركيزه وقوته وتوازنه كليًا، وبعدما أصبح وجه عثمان كله دمًا أدرك بأن عمر كان ينوي به شرًا فعلاً..، مسكه عمر من كتفه وأجلسه على كرسیه والتفت عمر من ورائه ووضع السكين على رقبته بعد أن شد شعره للوراء..

أين ماريان؟!!

شعر عثمان بالخطر..

ماذا تنوي أن تفعل يا عمر؟!!

رد عمر بهدوء ..

أنوي أن أعرف مكان ماريان ..

شعر عثمان بالسكينة تغرس في رقبته ..

ليست هنا .. لقد تم ترحيلها ..

لأين ؟!

لم يجب عثمان مما أضطر عمر لغرس السكين مليمترًا واحدًا تقريبًا محدثًا جرحًا بسيطًا، رد عثمان ..

سوريا ..، والآن أتركني ..

بهذه السهولة ؟!

شعر عثمان بأختناق .. أو بأقتراب أجله، عمر قد يصبر على فعلته ولن يتردد لحظة، إذا كان قد قتل أخيه فهل

سيتردد في قتله هو ؟!

ماذا ستفعل إذن ؟، لا تقول لي أنك تنوي قتلي !!

ساد صمت للحظات فكر فيها عثمان بمأزق عمر، عرف أنه يفكر في ما بعد ما يفعله الآن !، بعد أن عرف

مكان ماريان، كيف سيكون مصيره ؟!، كيف سيكون مصيره بعد أن يخرج من هذه الغرفة ؟! هكذا قد يتساءل

عمر في نفسه، أسرع عثمان ليطمئنه ..

مهلاً .. تراجع يا عمر عما تفكر فيه، وأعدك بأنه لن يمسك أحدًا بسوء، سأنسى ما فعلته للتو ..

هذا كما وعدتني طبعًا بعدم أذية ماريان ..، أليس كذلك ؟!، أرجوك لا تقول لي بأنك تريد الحصول على ثقتي بك

مرةً أخرى ..

ماذا تريد أذن؟، أسمعني.. سأصدر أمرًا حالًا الآن بالافراج عنك وعن ماريان، سأطلق سراحك يا عمر كما أردت ولن تتم ملاحقتك.. صدقني..

ابتسم عمر ورد عليه بسخرية..

حقًا لا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل، لكن أظن أنه من الأفضل لك أن تشعر بما تشعر به ماريان الآن وبما أشعر به أنا الآن أيضًا، جميعنا سنموت بعد لحظات يا عثمان..

في لحظة كتب عمر نهاية هذا الرجل، ذبحه.. تطاير الدم كالنافورة من رقبته ولثواني تلت ظل فيها جسد عثمان يهتز بشدة واضعًا يده على رقبته ليوقف هذا النزيف وناظرًا لعمر يطلب النجدة منه، فيما كان عمر واقفًا راسمًا ابتسامة الانتقام على وجهه مستمتعًا بالمشهد..

مات عثمان أخيرًا ووقف أهتزاز جسده وتناثر دمه على المكتب والمصحف..، أمسك عمر المصحف ومسح الدم من عليه، تساءل في نفسه.. ماذا فعلت؟!، ها هو كتاب الله ملوثًا بدماء أحدهم.. وضعه في مكانه بشرود بعد أن مسح الدم من عليه، فتح الحاسوب ليرى آخر ما كان يفعله عثمان على حاسوبه، كان ينهي أمر ماريان تمامًا..!، أصدر أوامره بذبح ماريان بعد ثمانية وأربعين ساعة من الآن، ذلك الوغد!..

لا يعرف ما الذي جعله ينظر حوله في الغرفة.. جذبه شيئًا ما وراء الحاسوب ناحية الأرض في أنحاء الغرفة!!، وقع نظره أتجاه الباب.. الباب مفتوح؟!، تذكر أنه قد أغلق الباب وراءه، ليس هذا فقط ما جعله يتسمر في مكانه، ثمة شخص ما واقف على الباب!، رفع بصره ليرى هوية من كشف أمره، مستحيل..!، أنه مُصعب...!

لم يتحرك.. ظل ساكناً ولم يبدي أي ردة فعل حينما رأى مُصعب يغلق كاميرا الفيديو التي كانت بيده..
دخل مُصعب بهدوء وأوصد باب الغرفة ورائه بالمفتاح، التفت وجمال بنظره في الغرفة كلها.. الفوضى في الغرفة..
رأس عثمان المقتول الظاهرة من خلف مكتبه وبجانبه عمر الواقف في ذهول.. إستسلام أو ربما بلادة، وتلك
الدماء المتناثرة..!، تقدم مُصعب نحو عمر الذي مازال واقفاً خلف المكتب في شرود ..
لم أثق بك في البداية، وأعرضت على وجودك هنا، لكنني تلقيت تعليمات بضرورة تواجدك هنا!، هنا سيكون
طريقك للهروب من الجحيم في العراق..
خطر على عمر سؤال ..

لكن كيف علمتم بمكاني وفي هذا التوقيت بالذات؟!، لقد كان مصادفةً أصلاً أن أذهب لهنالك؟!
ابتسم مُصعب ..

أحياناً الصدفة تلعب دوراً هاماً في حياتنا والأدكي هو من يستغل الصدفة.. في الوقت الذي كُلفت بتنفيذ العملية
تلقيت معلومةً بوجودك أنت هناك في المقهى.. بدا الأمر غريباً بالنسبة لي في البداية، لكن عندما علمت بأن
هناك مباراة لفريقك المفضل أصبح الأمر منطقياً، لقد تعمدت حمايتك منذ البداية يا عمر..
صمت عمر للحظات ثم خالجه سؤال محرج له ..

و لماذا لم تمنع هذه العملية؟! أعني قتل الأبرياء؟!!

أمسك مُصعب بالمنشفة وأخذ يمسح الدم من على المكتب، وأثناء ذلك أجابه ..

كانت هناك عملية ستنفذ في مصر..، سلسلة تفجيرات تستهدف قوات الأمن والسياحة في سيناء، لقد أخبرت
قادتي هناك بكافة المعلومات وأفسدت على التنظيم نجاح هذه العمليات، بعدها تغيرت نظرة القائد عثمان لي،
كثرت الشكوك حولي وليتأكد من صحة شكوكه من عدمها كلفني بمهمة هنا، الهجوم على المقهى ذو الغالبية

الشيعة.. لو رفضت الأمر ستزداد الشكوك حولي أكثر فأكثر بل وسأكون في موضع اتهام بخيانة التنظيم.. أيضاً هؤلاء لم يكونوا شيعة عاديين.. كانوا جماعات متشددة مثل هذا التنظيم بالضبط..

بعدها بساعات حصلت على معلومات بوجودك في هذا المقهى والتصرف لكي تبقى تحت أنظاري بدون علم التنظيم، وجدت هذا صعباً في ظل الظروف التي أمر بها في هذا الوقت.. فكرت جيداً كيف أستغل هذا وخرجت بفكرةً عبقرية..

أنتهى من مسح كل آثار الدم على المكتب والحائط، ثم وقف مُصعب أمامه ليكمل كلامه..

فكرت ماذا لو أنقذتك وجندتك هنا في التنظيم لأكسب ثقة عثمان من جديد بالنسبة لي، وتخليصك أنت من كل الاتهامات الموجهة إليك بقتل أخيك!..

و لماذا أنا بالذات من سيرجع ثقة عثمان بك بأنضمامي للتنظيم؟

كان عثمان هنا هو الذراع الأيمن للزعيم التنظيم ولكن منذ ألتحاق أخاك بالتنظيم هنا وهو قد فاز بمكانة خاصة عند الزعيم ومع أجهاده فاز بمكانة عثمان وأصبح ثاني أهم قيادي داعشي، بالطبع هذا أثار غضب عثمان، وعندما نزلت الكتيبة المصرية هنا وكنتم تقاتلون التنظيم أرسل الزعيم قوات دعم بقيادة عثمان وكنت أنا معه.. لكنه عندما وجد هجوم الطائرات الأمريكية عليكم فضّل عثمان الأنسحاب وكذلك سيقتل أخاك على أية حال.. سواء من المصريين أو من الهجمات الأمريكية، وكالجميع شاهدنا فيديو قتلك لأخيك، فأصبحت أنت بالتالي طريقه لاستعادة مكانته لدى الزعيم، هذا لم يمنع عثمان أيضاً من الشكوك حولي.. كلفني بمهمة بسيطة وهي مراقبتك، وأبعدني تماماً عن معرفة أية معلومات لأي عملية أخرى..

فهم عمر كل شيء، راوده سؤال آخر..

لكن كيف سأنقذ ماريان؟!، كيف سأخرج من هنا على كل حال!؟

نظر مُصعب في ساعته ..

لم يتبقى أمامك سوى ساعة واحدة فقط لتهرب من هنا ..

توجه مُصعب ناحية مكتبة عثمان، أزاح بعض الكتب من الجزء الاوسط من رفوف المكتبة، وفجأة جذب جزء المكتبة الأوسط هذا ناحيته ..!، لم يستوعب عمر ما يراه.. هناك باب حديدي وراء المكتبة، تساءل عمر بأندهاش ..

ما هذا ؟!

وقف مُصعب أمام هذا الباب وشرح لعمر الامر ..

منذ فترة دخلت هذه الغرفة خلسة دون أستئذان القائد عثمان لأنه وبكل بساطة كان في سوريا في أجمع مع زعيم التنظيم.. أو هكذا أعتقدت.. كنت أريد الحصول على بعض المعلومات من مكتبه، لكنني فوجئت عندما دخلت ووجدته يدفع هذا الجزء من المكتبة ناحية الداخل.. لم أعير أنتباهي لما فعله آنذاك لأنني كنت في وضع خطير.. عليّ أن أبرر وجودي في غرفته وبمثل هذه الطريقة التي أقتحمت بها مكتبه، تسمرت مكاني وتساءلت في نفسي كيف حدث هذا ؟!، كنت متأكدًا أنه في سوريا وأنه لم يدخل التنظيم هنا هذا اليوم..، كيف أراه أمامي فجأة الآن ؟!، أسرعرت بالتصرف فورًا وتبرير موقفي هذا، صحيح أنه لم يقتنع حينها لكنه أيضًا لم يتخذ إجراء ضدي، لكنها كانت بداية علاقتنا المتوترة.. كان بداية الشك بأمرى ..

أدار مُصعب المقبض الحديدي بصعوبة وفتحه أخيرًا، ثم ظهر من ورائه تجويف داخلي كبير.. نفق سري !!، أستطرد كلامه..

بعدها خرجت من هذا المآذق بسلام فكرت في الأمر جيدًا وبهدوء.. فكرت في لحظة أغلاق القائد لهذا الجزء من المكتبة !!، دخلت مرةً أخرى في وقت تأكدت فيه جيدًا هذه المرة أنه في سوريا مع زعيم التنظيم، صُدمت عندما فتحت ورأيت هذا ..

أشار للنفق من الداخل ..

و صُدمت أكثر عندما وجدت خريطة توضح مسار هذه المتاهة ..!، الأمر لم يكن عاديًا أو مجرد نفق فقط، هذا النفق أشبه بالمتاهة، وله فتحات كثيرة في عدة أنحاء كثيرة، وجدتها في إحدى هذه الكتب.. أخرج مُصعب الخريطة من جيبه، وكانت واضحة أنها نسخة مصورة وليست الأصلية، أخذها عمر ثم أتسعت عيناه ذهولًا،

مستحيل.. نفق أرضي تشبه المدينة، مدينة كاملة تحت الأرض ..!، ليس مجرد نفق يصل مكان بمكان!، لا..
أنه نفق يصل هذا المكان بكل مكان...!!، بكل مكان.. حتى سوريا..!
أكمل مُصعب..

عرفتُ بعدها كيف أنه كان يخرج ويدخل التنظيم هنا دون أن يراه أحد ..!، عرفت أني كنت متيقظاً عندما علمت
بأنه كان في سوريا حقاً ولم أكن مخطئاً حين دخلت ووجدته هنا فجأة!
نظر لساعته مجدداً ..

هيا لننجز عملنا الآن..

عملنا..!؟، تساءل عمر عن ماهية العمل ذاك ..!، دخل معه لبدايات النفق، كان عرض النفق كبيراً يتسع لعدة
أشخاص بجانب بعضهم، توقف مُصعب فجأة وأمسك (بالكوريك) وأعطى واحداً آخر لعمر، نظر له عمر نظرة
عدم فهم، شرح له مُصعب الأمر..

سندفن عثمان هنا، سيمنحنا هذا بعض الوقت حتى يلاحظوا اختفاء عثمان، بعض الوقت لكي تهرب أنت ولكي
أنجز أنا بعض الأشياء هنا..

طبّق عمر الخريطة ووضعها في جيبه ثم أخذ (الكوريك) من مُصعب ثم حفرا معاً مقبرة عثمان في بدايات النفق،
وأثناء ذلك شرح مُصعب أمراً آخر لعمر..

الأمر كان منطقياً في مصر.. في بداية الأمر أنت كنت بطلاً قومياً حين تم تصويرك وأنت تقتل ثاني أهم قيادي في
تنظيم الدولة لكن سرعان ما تحولت لمجرم حين تم اكتشاف ما يربطك بأخيك من أسمٍ مشترك.. أكتشف
الجميع أنه أخاك وأصبحت متهماً بقتلك لأخيك للأستحواذ على مكانته هنا وما دعم أتهام الجميع لك بذلك هو
نشر وسائل الأعلام صوراً لك وأنت تحارب مع التنظيم صباح أمس ضد الجيش العراقي..

تذكر عمر على الفور مأساة ما حدث أمس في المعركة.. الفتاة الصغيرة ووالدتها.. تغريد التي قتلت وحن والدتها
عليها..

أنهيا من الحفر ودخل مُصعب ليحمل جثمان عثمان وساعده عمر في دفنه، ثم ردمها الحفرة معًا ودخلا الغرفة مرة أخرى، مد مُصعب إليه يده ...

الخريطة..

أخرج عمر الخريطة من جيبه، رسم مُصعب مسارًا محددًا في الخريطة ...

أسمعني جيدًا.. نحن هنا في مدينة الموصل شمال العراق، ستدخل هذا النفق من هنا وتنعطف يسارًا ثم تسير فيه حوالي الخمس كيلومترات مستقيمًا ثم ستنعطف في هذا الاتجاه (اليسار) وفي غضون ساعة واحدة من السير السريع ستخرج من هذا النفق عبر فتحة في بيت مهجور في حي في مدينة (الحضر) وفي نفس الحي ستجد محطة بنزين وسيكون أمامها سيارة نقل عملاقة، هذه السيارة خاصة بنا وستنتظر حتى الظهيرة.. مهمتها هي نقلك لمدينة (الوليد) الحدودية مع المملكة السعودية وستغادر العربة على أية حال إذا ما تجاوزت الظهيرة سواء ظهرت أنت لها أم لا، لذلك عليك الأسراع..

تساءل عمر..

و ماذا بعد.. ؟

ثم ستسلم نفسك لحرس الحدود السعودي وحينها سنتواصل مع المملكة لنستلمك منهم ..

قطب عمر حاجبيه ..

ظننتك ستقول لي أنني سأجد هناك ماريان وسنعود معًا لمصر !!، وماذا عن ماريان؟!، سيتم أعدامها خلال ساعات..

بخصوص ماريان.. سنحاول أنقاذها، عليك أنقاذ نفسك أولاً ..

هز عمر رأسه إيجابًا في شرود، طبق الخريطة مرة أخرى ووضعها في جيبه ثم توجه ناحية النفق، ثم توقف.. التفت لمُصعب عندما تذكر شيئًا..

عندما دخلت أنت هنا أغلقت كاميرةً ما كانت معك ..!، أكنت تصور ما حدث ؟

ابتسم مُصعب ثم وقف أمامه مباشرة ..

أجيني يا عمر.. كيف كان قوم السيدة مريم ينظرون إليها حين آتتهم وهي تحمل طفلاً؟

كانوا ينظرون إليها كزانية أو باغية..

بالضبط.. ولكن ماذا حدث بعدها!؟

الله سبحانه وتعالى أثبت برائتها في الحال، حدثت معجزة وتكلم المسيح وهو في المهد صبيًا..

نتكلم هنا عن معجزة وحدث لم يكن في الحسبان..، بينما كان القوم يتجهزون للأنقضاض عليها حدثت المعجزة وتكلم المسيح وهو ما زال في المهد صبيًا، هذا بالضبط ما سنفعله فيما يخص أمرك هذا، سنثبت أنك لست داعشي بالمرّة، لقد قتلت للمرة الثانية ثاني أهم قيادي داعشي..!، الأمر سيكون واضحًا بالنسبة للجميع.. الأمر ليس متعلقًا بثأرٍ مع أخيك أو بسبب أنك كنت تريد أخذ مكانه..

فهم عمر كل شيء الآن، إستدار عمر نحو النفق ووقف في بداية النفق من الداخل مشاهدًا لغلاق الباب عليه من قبل مُصعب، باب النفق السري الذي هو جزء من مكتبة في غرفة عثمان الذي دُفن هنا تحته.. من كان يتصور أن يحدث هذا معه!، بدأ بالتحرك لكنه فوجئ بأن الباب قد فُتح مرة أخرى على عجل من الأمر، ظهر له مُصعب مجددًا محذرًا أياه...

عمر..، هناك شيئًا أخيرًا لم أخبرك أياه..، هذا النفق هواءه قليل جدًا وستعاني من صعوبة التنفس في بعض الأحيان، ولن يتجدد الهواء إلا كل ساعتين فقط، لذلك كلما أسرع للخروج من هنا سيكون هذا لصالحك..

هز عمر رأسه أيجابًا متفهمًا ثم أغلق مُصعب الباب مرةً أخرى وقد سمع عمر صوت غلق المقبض من الخارج هذه المرة، سار عمر في الاتجاه الذي حدده له مُصعب دون أن يفتح الخريطة.. توجه يسارًا كما هو مخطط له، كان يسير ببطئ شديد شارد الذهن لا يفكر سوى بشئ واحد فقط الآن.. ماريان!!، كيف سيتركها!؟، لقد أنقذت حياته مرتين!، الساعات تمضي وأجلها يقترب.. توقف مكانه للحظات ونظر ورائه.. لقد قطع شوطًا كبيرًا ناحية فتحة الهروب في تلك المدينة التي أشار له مُصعب، ماذا لو.. ذهبت لأنقاذها بنفسني!؟

حسم أمره في لحظة.. لحظة جعلته يدرك أنه يجري بسرعة للعودة لنقطة البداية، في ظرف عشر دقائق تقريبًا كان عند نقطة البداية فعلاً حيث الباب السري يبتعد عنه بضعة أمتار وقبر عثمان تحته.. قال بصوت مسموع لنفسه ليشجع نفسه مشيرًا.. لنبدأ من جديد.. هذه المرة إلى سوريا.. إلى ماريان..

تفكر فيه باستمرار ولا تنساه، كيف تنسى ذلك الملاك الذي أعاد لها روحها من جديد.. وقف بجانبها في أحلك أوقاتها حتى تماثلت للشفاء تقريبًا، فكرت للحظة.. هل كانت ستأقلم مع أصابتها تلك إن لم يتدخل هو لأنقاذها؟!، لكنها أيضًا لم تشعر بعجزها طيلة مساندته لها.. لكن كيف يكون لهذا الملاك أن يكون أداة قتل؟!، مستحيل أنه قد كان أنضم لهذا التنظيم الأرهابي بمليء إرادته ولكن كيف يمكن لما رآته أن يكون غير حقيقي؟!، فكرت في أنه قد يكون مُرغمًا.. مُرغمًا على ماذا؟!، لكنه أيضًا تدرك أن ثمة هناك شئ غير حقيقي، لكن ولكن ولكن..

ما قطع تفكيرها سماعها لصوت يناديها، صوت بدا للوهلة الأولى أنه غريب، التفتت لمصدر الصوت من ورائها.. شهقت عندما رآته، علمت أن الصوت الغريب كان غريبًا لأنها أفقدته كثيرًا، نعم ذلك الصوت تعرفه جيدًا.. إنه حياتها.. إنه عمر!!

رغم أنها لا تفهم شئ إنتفضت من مكانها مسرعةً باتجاهه في فرحةً عارمة.. الدموع في عينيها هربت بسرعة منها.. أنها دموع الأشتياق!، كان هو كذلك يجري نحوها، يجريان نحو بعضهما لكن.. لا يقتربان!!، توقفت لتلتقط أنفاسها.. توقفت لأنها لاحظت بأن هناك أمرًا غريبًا يحدث..!، نظرت ورائها فوجدت المسافة تباعدت بينها وبين الكرسي حيث كانت تجلس منذ قليل، نظرت باتجاه عمر الذي ما زال يركض نحوها لكن المسافة لا تقل..! ماذا يحدث إذن؟!، فجأة توقف عمر وجثى على ركبتيه محاولاً ألتقاط أنفاسه.. كان يتنفس بصعوبة.. تمامًا كما حلمت من قبل!، ركضت نحوه من جديد محاولةً إنقاذه ولكن..

فتحت عينيها على صوت رنين هاتفها، حاولت أستيعاب الأمر، أكان حلمًا أيضًا؟!، أيمكن أن يعني هذا أن عمر في مأذق الآن؟ مرة أخرى؟!، هذا منطقي.. هذا يفسر الحلم الأول بالتأكيد.. عمر لم ينضم لهذا التنظيم برغبته.. لقد أرغم على هذا.. لقد كان في مأذق فأنضم لهم مُجبِرًا لا أكثر، والآن ما تفسير الحلم الثاني؟!، كيف له أن يكون في مأذق جديد؟!، هذه مصيبة أكبر.. ربما كان يحاول الهرب مثلًا وسيتم أعدامه..!

تعبت من التفكير.. تساءلت مرةً أخرى.. كيف هو الآن؟!، هل ما زال حيًّا؟.. يا ألهي.. متى سينتهي كل هذا العبت في حياتي؟؟، متى سيعود عمر؟!.

في نفس اللحظات ...

فتح عينيه.. فكر للحظة.. هل ما زال حيًّا؟!، حاول تذكر ما حدث معه، بعد ما كان يجري باتجاه سوريا بدأ يشعر بنقص الهواء، ليس هذا فقط ما أثار ذعره حينها.. فجأةً ظهر أمامه ثلاث ممرات ولم يعد يملك الوقت على كل حال ليحرب الممرات الثلاثة، لم يفكر كثيرًا.. أختار الممر الأوسط ومع مرور الوقت بدأ يشعر بأنعدام الهواء تمامًا حتى أحتنق ولم يشعر بشيءٍ بعدها..

نهض من مكانه وقد كان واضحًا أنه قد تم تجديد الهواء هنا، تذكر شيئًا هامًا.. الخريطة.. أخرجها من جيبه وحاول التركيز فيها لمعرفة مكانه بالضبط، تتبع المسار الذي سلكه منذ البداية إلى أن وصل لتلك الممرات الثلاثة وجد نفسه أنه قد سلك الممر الخاطئ أيضًا للمرة الثانية، الصحيح هو ذلك الممر الأيسر.. ذلك الممر الذي سيكون نهايته في سوريا، بالتأكيد هذا هو الممر الصحيح هذه المرة، لقد جرب الممر الأيمن فوجد نهايته مسدودة.. عانى الصعوبات وحاول الحفاظ على هدوءه بسبب نقص الهواء، رجع مرةً أخرى لتلك الممرات الثلاثة ثم قرر المخاطرة ثانية ليسلك الممر الأوسط لكنه أيضًا مسدود.. لم يدرك حينها هل سيظل على قيد الحياة ليحرب الممر الأخير أم أنه سيدفن هنا في هذا النفق كعثمان؟!.. لا يعرف كم مضى من الوقت بوجوده هنا في هذا النفق.. كل دقيقة تمر وكأنها أيام.. بدت أن مساحة النفق ضيقة، لقد أبتعد كثيرًا جدًا عن بداية النفق وحتى لو تمكن من العودة للبداية حيًّا لن يستطيع الخروج منه والعودة مرةً أخرى لمكتب عثمان الذي هو من المفترض الآن أنه يبحثون عنه وأيضًا بالتأكيد الجميع لاحظ غيابهم هو وعثمان..

أسرع في طريق العودة للهواء حيث تلك الممرات..، ثم سلك الطريق الصحيح هذه المرة بعدما تذكر أخيرًا أن الخريطة معه، مرت ساعة أخرى وهو يحاول الأسراع للوصول للجهة الأخرى قبل نفاذ الهواء الذي شعر فعلاً أنه يتسرب مرةً أخرى غير أنه يبذل مجهودًا فبالتأكيد سيجد في هذه صعوبة بالغة.. نظر للخريطة بعدما ظهر له على

يمينه ممر آخر لكن الخريطة تخبره بمواصلة الطريق مستقيماً وتجاهل أي فتحات جديدة، لقد وصل تقريباً..،
بضع عشرات المترات وسيجد نفسه في الجهة الأخرى ..

أغمض عينيه ليهدأ وأخذ نفساً طويلاً ثم تحرك فجأة ليسرع بالوصول، بعد دقائق وصل فعلاً.. لكنه صُعق عندما
وجد أن نهاية النفق مسدود !!، مستحيل.. هل هذا النفق ذو فتحة واحدة فقط..؟!، الممرات الثلاثة مسدود
وهذا يعني أن هذه الخريطة ليست الأصلية أو أنهم قاموا بسد هذه الممرات وفتحوا أخرى؟!، نظر للخريطة مرة
أخرى وأسترجع مسار الطريقة منذ البداية.. إنه في الطريق الصحيح !!، لكنه مسدود !!، نال منه التوتر سريعاً
وتصعب عرفاً، الهواء قليل جداً.. و الآن لا مجال للتراجع حتى والمخاطره ليخرج من فتحة أخرى، صرخ قهراً
بصوتٍ عالٍ وقطع الخريطة.. فقد أعصابه بسرعة وبدأ يشعر بدوار ولم يتحمل، سقط أرضاً لكنه لم يفقد وعيه
بالكامل، لاحظ وجود حجارة صغيرة أمامه.. مد إليها يده ومسكها ثم رماها بأقصى ما يستطيع تجاه نهاية النفق
المسدود !، سمع صوت ارتطام الحجارة بشيء معدني، حاول عمر توجيه بصره نحو النهاية ..!

زحف بصعوبة تجاه النهاية حتى وصل فعلاً وتحسس نهاية النفق !، إتسعت عيناه من شيء لم يتوقعه أبداً.. باب
!!؟، لكن لا يبدو كذلك.. باب معدني مطلي بلون التراب ليبدو كنهاية للنفق ..!

طرق الباب وحاول الصراخ لكن صوته لم يسمعه هو حتى، لكن فجأة سمع صوت متاريس الباب تُفتح.. لحظات
يترقبها ما بين الموت والموت أيضاً..، الموت بالأختناق أو أن أحدهم سيفتح الباب ويقتله، كان يأمل بأن تكون
نهاية الممر فتحة في بيت مهجور كما كان سيخرج في الجهة الأخرى ..

فُتح الباب، ورفع عمر رأسه محاولاً أستنشاق قليل الهواء الذي تجدد في المكان فجأة وليرى هوية من فتح له
الباب، أرتمت على وجه الرجل ملامح الجدبة والغضب.. ثم ابتسم أبتسامة مأكرة..

عمر..

على كل حال .. لم يكن ليصدق إنه مازال على قيد الحياة .. لقد خرج حيًا من النفق بعدما تعرض للأغماء عدة مرات وكان قريبًا من الموت، وكذلك لم يقتله ذلك الداعشي أو على الأقل ليس هناك ما يوحي إنه قد تم القبض عليه حتى .. سُمح له بالتقاط أنفاسه ثم سأله الرجل ..

و الآن .. هل أنت بخير ؟!

لم يستوعب عمر الأمر بعد، هز رأسه إيجابًا ثم أكمل الرجل كلامه ..

ما كان عليك أن تسلك هذا الطريق !، ظننتك قد مُت في هذا النفق، لماذا خالفت ما أمرت به ؟!

ظل عمر ساهمًا ومحددًا بالرجل .. !، بدا سؤاله غريب جدًا عليه !، أراد معرفة مصير ماريان .. هل وصل في الوقت المناسب لأنقاذها أم فات الأمر عليه ؟!

أين ماريان ؟!

لم تظهر أي تعابير على الرجل، توجه الرجل ناحية باب الغرفة وفتحته ..

حسنًا .. أتبعني ..

لم يفهم عمر ما الذي يجري هنا لكنه توقف عند مدخل الغرفة، التفت حوله .. كان متوترًا قليلًا، بدت هوية هذا الرجل له مجهولة .. هل هو رجل مخبرات مثل مُصعب أم داعشي لا يعرف ما حل بعثمان فقط .. !، التفت إليه الرجل حينما تعجب من وقوفه هكذا ..

هل ستقف هكذا أم ستأتي معي لأنقاذها .. ؟!

تحرك عمر على الفور خلف هذا الرجل إلى أن حاذاه، ثم أكمل الرجل كلامه ..

الأمور هنا مضطربة منذ ساعات، القائد عثمان أختفى فجأة ..

التفت ناحية عمر ...

هل تعرف عنه شيئاً..؟!؟

بدا عمر غير واثقاً من الأجابة عليه، في البداية ظن عمر أن هذا الرجل على علم بما حدث ولكن سؤاله هذا يوحي بالعكس، وهذا يرجح إنه داعشي وليس رجل مخابرات مثل مُصعب..

لا..، ما أعرفه إنه أختفى فجأة فقط ..!

حذق إليه هذا الرجل وكأنه يدرك كذب عمر..

متى آخر مرة ألتقيت به؟!؟

يوم اختفاؤه ..

من هنا أدرك الرجل جيداً كذب عمر، لقد وقع عمر في فخ الرجل لكنه أيضاً لم يشعر بذلك.. كيف علم بأن آخر مرة ألتقاه فيه كان يو اختفاؤد؟!؟، بدا أن الأمر غير منطقياً بالنسبة له، هناك شيء مفقود في كلام عمر..، لكنه عاجلاً أم آجلاً سيعرف كل شيء..

ماريان في حالة منحدرة تماماً وقد لا تقوى على الهروب معك، عليك بحملها والهرب بها لأبعد مكان تستطيع الوصول إليه، عليك باستغلال حالة الأضطراب تلك التي تضرب التنظيم الآن..

هنا تغيرت شكوك عمر حول هذا الرجل، إنه رجل مخابرات مثل مُصعب تم تجنيده في هذا التنظيم في سوريا لكنه يبدو أكثر دهاءً وحرصاً من مُصعب..

لكن دعني أسألك..، لماذا لم تنقذ ماريان؟! ماذا لو لم آتي لأنقاذها؟ هل كنت ستسمح بقتلها؟!؟

توقف الرجل والتفت له ..

الأمور لا تسير هكذا.. من المفترض أنك عسكري وتعرف ما أعنيه، أمر ماريان أو غيرها لا يعني بشيء.. أنا هنا في مهمة محددة لا أكثر..

تفهم عمر كلامه وأستثفا سيرهما، تساءل عمر..

كيف سنهرب من هنا؟، أعني أنا وماريان طبعًا..

هناك ممرٌ سري يستخدمه التنظيم للهروب من قبضة الجيش السوري والوصول لهنّا، ستستخدمه أنت وماريان، ستخرجان عبر فتحةٍ في كهفٍ إحدى صحاري مدينة الحسكة، بعدها يمكنكما التصرف والعودة لمصر ...

كيف ستصرف هنا؟!، أليس من مهمتك إيصالنا لمكان آمن نصل منه لمصر!؟

توقف مرة أخرى..

عندما علمت المخبرات بأنك غيرت مسارك وستأتي لهنّا.. كانت مهمتي هي أستقبالك ومساعدتك على الهروب أنت وماريان.. هذا إن كنت حيًا أصلًا، وها قد حدث ذلك.. مهمتي هي إيصالكم لمكان آمن ثم الباقي عليكم، هنا ينتهي دوري يا عمر..

أكمل سيرهما وتوقفًا عند باب سجن ما، فتح الرجل باب هذا السجن..

كانت ملقاة على الأرض بلا قوة مرتدية زيًا برتقاليًا.. زي الأعدام، أسرع عمر ليطمئن عليها، نظرت إليه في شroud وعندما أستوعبت الأمر صُدمت!.، رأته وهو يرتدي لباسًا داعشيًا وكذلك لحيته التي كبرت خلال أيام.. رمت نظرها لذلك الرجل الواقف على الباب ثم عادت بنظرها لعمر خشية أن ما تفكر به صحيحًا.. قالتها بصوت ضعيف ومصدوم ..

عمر..!؟

عرف عمر أنها قد تكون مصدومة من مظهره الداعشي هذا..

سأشرح لك كل شيء لاحقًا، الآن علينا الهروب من هنا..

حملها عمر على يديه وخرج بها من غرفة السجن تلك، أوصد بعدها هذا الرجل الباب وكأن شيئاً لم يحدث..

كانا يسيران بسرعة في ممرات ذلك المبنى حتى وصلا لغرفة فتحها الرجل ودخلوا جميعاً...، أجلس عمر ماريان على أريكة كانت بالغرفة كي يُريح يديه من عناء حملها، توجه الرجل ناحية خزانة الملابس وفتحها ثم أزاح الملابس المعلقة بها يميناً ثم ظهر من ورائهم مقبضين لباب يفتح على جانبه، لم يندهش عمر هذه المرة فلقد رأى سابقاً مثل هذه الأنفاق كتلك الموجودة في غرفة عثمان، أما ماريان ورغم أنها لم تستعيد وعيها بالكامل بسبب المخدر فقد أثار هذا أنتباهها وأندهاشها..

أيضاً فتح الرجل هذا الباب السري وأشار لعمر بالأسراع، مرة أخرى حمل عمر ماريان على يديه وتوجه ناحية النفق وقبل أن يغلق الرجل الباب التفت إليه عمر..

لن تجدوا عثمان أبداً ..

قالها وقد أرسمت أبتسامة على وجه عمر.. أبتسامة تبدو في ظاهرة أنها ماكرة، أمال الرجل برأسه في تساؤل عرفه عمر دون أن ينطق الرجل..

نعم لن تجدوه..

أدرك الرجل معنى أبتسامة عمر تلك ومعنى كلامه كذلك، لقد قُتل عثمان والذي قتله هو عمر.. أو شيءٌ هكذا.. المهم أن عثمان قد قُتل، أغلق الرجل الباب وأعاد ترتيب الملابس المعلقة وأغلق أبواب الخزانة وكأن شيء لم يحدث، سيكون هناك متسع من الوقت ليدركوا أن ماريان ليست هنا كذلك، جلس على مكتبه وجلس على حاسوبه.. فتح أيميله الألكتروني الخاص والسري وكتب.. " تلك الطيور الحبيسة أنطلقت الآن.. قريباً ستعود لديارها " ... تم الأرسال ...

أغلق أيميله الخاص به ومسح التاريخ وكل شيء فعله الآن ... !

أما شريف.. فبعدما أستلم تلك الرسالة قام بخطوته التالية..

تسريب فيديو مقتل عثمان على يد عمر أثناء برنامج سيرين..

كانت تسير بسرعة البرق نحو غرفة الأعدادات، كانت بإمكانها قتل أحدهم هذه الليلة، أو ربما الجميع.. كيف ومتى حدث هذا؟!، شعرت وكأن الجميع كان يخطط لكل هذا منذ البداية، يجعلونها تشن هجومًا شرسًا على عمر ثم بعدها وفي نهاية برنامجها بالذات يتم عرض مشاهد تبرئة عمر..، لا سيما بعد المداخلة التي قامت بها للتو قبل الفاصل مع زوجته..!، الجميع سيتعاطف مع زوجته ومع قضية عمر، أصبحت هي المُدانة وليس عمر! و عندما كانت مندفعة تجاه غرفة الأعدادات أصطدمت بأحدهم.. بدا غريبًا.. أفرغت جزء من غضبها عليه.. أنظر أمامك جيدًا أيها الأبله..

التفت إليها الرجل قاطبًا حاجبيه لكنها قد أكملت طريقها مندفعة ناحية غرفة الأعدادات وغادر الرجل في صمت، دخلت هي الغرفة متجهة ناحية أحدهم لتفرغ جل غضبها عليه لكنها فجأة توقفت عندما مسك أحدهم يدها محاولًا إيقافها.. أنه ثروت.. تفاجأت من وجوده هنا في هذا المكان والآن!.. منذ متى وأنت هنا؟!!

سألته والشرارة في عينيها تنذر بموجة غضبٍ آتية، حاول هو تمالك أعصابه.. يجب أن نتحدث سويًا في المكتب و...

قاطعته بتكرار سؤالها..

منذ متى وأنت هنا يا ثروت؟!!

كنت هنا قبل أنتهاء برنامجك، لكن علينا التحدث قليلًا في المكتب..

قالها ببرود وزاد هذا من غضبها، يتكلم وكأنه لم يفعل شيئًا..

أذن كنت هنا وقت عرض تلك المشاهد ولم تمنع حدوث هذا؟!!

سكنت للحظة لتستوعب هي كلامها، هناك احتمال آخر..

أو إنك أنت من سمحت بهذا..

لم يقوى ثروت على النظر في عينيها التي تحدقان به، قال بصوتٍ مُخجل ..

لا.. أنا لم أسمح بذلك، مهما بدت العلاقة بيننا متوترة يا شيرين فلا أستطيع الأقدام على فعل شيء كهذا ..

حدقت به وأمالت برأسها منتظرة منه أن يكمل كلامه ..

لقد تم إجبارنا على فعل ذلك يا شيرين ..

قطبت حاجبيها في عدم فهم ..

من أجبركم على ماذا!؟

مباحث أمن الدولة..، لقد جاءوا أثناء الفاصل الاعلاني لبرنامجك وأجبروني على قطع الاعلانات وتشغيل هذا

الفيديو، لقد شاهدت الفيديو مثلكِ ومثل الجميع لأول مرة ..

حاولت أستيعاب الأمر، تساءلت في صدمة ..

أمن الدولة..!؟، لماذا؟

لقد كنتي تهاجمينهم طوال هذه الفترة بالذات يا شيرين ..، حادثة المول التجاري وحادثة الكنيسة وهجومك

المستمر على عمر خلال اليومين الماضيين، كل هذا من شأنه أن يضر بمصلحتهم، أرادوا الأنتقام بطريقة ذكية

وشرعية، بهذه الطريقة تفقدون ثقة جمهورك بالكامل، والآن علينا التفكير بهدوء لنحل هذه المشكلة ..

لاحظ ثروت شرودها، أو أنه مجرد هدوء ما قبل العاصفة، فكرت بصوتٍ مسموع ...

قد تكون هذه المشاهد غير حقيقة.. مفبركة، قد تكون تلك المشاهد قد صُنعت خصيصاً من أجلي ..

يا شيرين.. نحن صنّاع الأعلام هنا في مصر ولا أظن بأن تلك المشاهد مصطنعة، حتى لو كانت كذلك.. علينا التفكير بهدوء للخروج من هذه الأزمة..

دخل أحدهم فجأة لاهثًا، توقف أمامهم مباشرة ثم ألتقط أنفاسه ليخبرهم ..

هناك خبر سي سيدي..، هناك تجمع لعدة أشخاص أمام بوابة مدينة الأنتاج الرئيسية والعدد في تزايد ..!

التفت لشيرين ثم أكمل كلامه ..

هذا الحشد ضدك سيدة شيرين ...

ما كان يخشاه ثروت قد حدث، الحكومة قد حشدت الناس ضدها بدكاء، التفت لشيرين فجأة ليقترح عليها شيئًا ما ..

سُئلتين بيانًا عاجلاً يا شيرين تشرحين فيه ..

قاطعته في حدة ..

لا.. لن أعتذر يا ثروت وسأكمل طريقي، سيعرف الجميع من هي شيرين ...

قاطعها ثروت بحدة وبصوت حذر ..

علينا الأسراع يا شيرين قبل تفاقم الأزمة، الوقت ليس في صالحنا، هذا أن أردتي الخروج من هنا على قيد الحياة..، نحن ما زلنا في بداية المشكلة ويمكننا حلها الآن بسهولة..

أحمر وجهها وخرجت من غرفة الأعدادات بسرعة في غضب، كانت تتمتم بكلمات غير مفهومة لكنها مفهومة بالنسبة لثروت، تتوعد لرد كيد الحكومة بها..، ستقلب الطاولة من جديد.. ستجعل محاولتهم للإيقاع بها محاولة فاشلة.. أو خطأ قد يندمون عليه ..

لقد أختار الله أن يُفارق بينهما بعد أن أصبحا روحًا وجسدًا واحدًا...، لم يتخيل إنه قد يتغيب عنها كل هذه المدة، لم يتخيل إنه قد لا يراها مجددًا، لقد أفتقدها ولقد اعتاد أفتقادها أيضًا!، لم يعد يراها بعينيه لكنه يراها بقلبه وما القلب إلا بأبصر من العين..

تساءل.. كيف حالها الآن؟! هل شُفيت أم تَخلوا عنها بعدما فقد مكانه في الجيش؟!، ما يرهقه هو أنه لا يعرف عنها شيء وربما هي تعرف عنه كل ما يحدث معه بالتفصيل!، لا يراها ولا يعرف عنها شيء لكن قلبه يحدثه بأنها بخير.. قلبه يخبره أنها قد تم شفاؤها.. لا يعرف أن كان هذا أملًا أم أن قلبه فعلاً يخبره بالحقيقة!.. سيصدق قلبه، قلبه الذي توجهها ملكةً عليه، ابتسم.. هل يغار من قلبه لأنه أحبها أيضًا.. قلبه الذي أحبها أكثر منه، قلبه يستحقها أكثر منه..، الظروف من حوله تجبره على تحمل نسيانها لكن قلبه يأبى ذلك..

تحركت ماريان التي كانت نائمة بجانبه في عربة النقل التي أستقلونها عندما خرجوا من الكهف الداعشي، ما زالت تحت تأثير المخدر، أمسكت برأسها متألمة.. يبدو أن أثر المخدر بدء يختفي تدريجيًا والألم يزداد شيئًا فشيئًا لكنها أيضًا تدرك ما يدور حولها.. تدرك أنها لم تكن تحلم وأن عمر جاء لينقذها وهربا سويًا، التفتت لعمر وتبسمت رغم ما تشعر به من ألم..

كُنت على وشك العودة للظهور مرة أخرى على التلفاز لكن هذه المرة كضحية.. ما كان عليك أن تنقذني.. كُنت أريد أن ينتهي كل شيء..

ضحك عمر وفهم ما تقصده، لقد كانت تتهكم عليه كرد لما فعله هو سابقًا بعد أن أنقذته، سألته..

هل أدركت معنى أن تنقذ أحدهم من الموت الحتمي..!؟

أثناء رحلتهمها هذه جذب أنبائها لافتة عملاقة مرت من فوقهم.. كانت إحدى كلماتها هي " الحكسة "،.. تعجبت وحاولت تذكر أين هذا المكان بالضبط في العراق!..

كُنت أظن أن الحكسة مدينةً سوريةً فقط ..!، لكنها أيضاً وعلى ما يبدو أن هنا في العراق يوجد الحكسة أيضاً
!..

أبتسامة عمر أثارت تساؤل ماريان..

الحكسة ليس لها فروع أخرى آنستي، الحكسة مدينةً سوريةً فقط ..

قالها بشيء من السخرية، لم تستوعب سخريته هذه..

ما معنى هذا..!!؟

تنتظر أجابة غير تلك التي تدور برأسها ..

نحن في سوريا يا ماريان ..

أتسعت عيناها في صدمة، لا تستوعب ما كانت تتوقعه أصلاً في رده..

كيف حدث هذا!؟

أنتي هنا منذ أيام، لقد تم نقلك لهننا ليتم أعدامك، بالطبع كنتِ في حالة مخدرة..

حاولت أن تستوعب الأمر لكن معدتها تدخلت لتعلن احتجاجها في هذا الوقت، مسكت معدتها متألّمة..، سألها

عمر ..

جائعة!؟

هزت رأسها أيجاباً..

طبيعي، لقد أختفى تأثير المخدر ..

نظر حوله خارج العربة فوجد مباني وبيوت أهالي فعراف أنهم قد تخطوا حدود القرية الخارجية ودخلوا القرية

نفسها ..

حسنًا دعينا ننزل هنا، ونبحث عن طعام..

أطرق عمر بيده على الزجاج خلف السائق وأشار له بالتوقف للنزول، توقفت السيارة ونزلا منها ثم أشار عمر للسائق بالشكر ..، الآن عليهما البحث عن طعام ثم مواصلة طريقهما..

ظلا يسيران معًا في طرق مجهولة حتى وصلا لبداية شارعٍ ما.. لم تستطع ماريان السير أكثر من هذا، جسدها ضعيف جدًا وكاد يقتلها الجوع، كان الشارع خاليًا تقريبًا، أجلسها على الرصيف ووقف أمامها يفكر بالأمر..

أنتظريني هنا ..

أين ستذهب؟!!

ألستي جائعة؟!، سأبحث عن طعام في أحد هذه البيوت..

ضحكت هي هذه المرة..

ألن تخجل هذه المرة؟!!

التفت إليها مبتسمًا..

الحياة علمتني كثيرًا ياماريان، وأنتي أحد دروسه..

قالها وقد بدأ يتعد عنها، لكنه لم يتعد عنها كثيرًا.. على بُعد مترات قليلة منها أطرق باب أول بيت صادفهُ، فُتح الباب فتحة بسيطة.. لا يظهر منها سوى عين واحدة فقط..

عفواً سيدتي..، أنا غريبٌ عن هنا وكنت أريد بعض الطعام لو تكرمتي..

أغلقت المرأة بسرعة الباب فجأة في وجه عمر، شعر بخجل شديد..، أدرك فعلاً بأن خجله هذا كان نعمة، تردد للحظات.. هل يكمل البحث أم أنه سيكتفي بهذا الموقف؟!، أبتعد بضع خطوات عن هذا البيت مترددًا لكنه

فوجئ بأحدهم يناديه، التفت ناحيته ليجد شاباً ما قد خرج من هذا البيت الذي تركه للتو، أقترب عمر إليه، سأله الشاب بحذر..

أجيني من فضلك.. هل أنت داعشي؟!؟

نظر عمر لهيئته.. وعرف سبب أغلاق الباب في وجهه هكذا منذ قليل، لقد ظنت هذه المرأة أنه داعشي..

لا.. لكنني تورطت معهم بطريقة ما، أسف لازعاجك.. سأرحل حالاً..

قاطعته الشاب بسؤال يتملكه الشك أيضاً..

متأكد..؟!؟

شرد ذهن عمر فجأة ولم يستمع لسؤال الشاب، نظر ناحية ماريان التي ما زالت فاقدة القوة تقريباً على الحراك،

نظر الشاب ناحية ما ينظر إليه عمر فوجد فتاة تجلس على الرصيف وتبدو منهكة وضعيفة، سأله..

هذه الفتاة معك؟!؟

هز عمر رأسه إيجاباً، أشار له الشاب..

حسناً.. يمكننا الدخول..

فرح عمر وشعر بالأمتنان تجاه هذا الشاب، أسرع ليسند ماريان ويدخلها المنزل.. أجلسها على أقرب أريكة،

أستأذن منهما الشاب للحظات، أنتهز عمر هذه الفرصة ليكلم ماريان..

ماريان.. حاولي أستعادة طاقتك بسرعة، لا نريد أزعاجهم أكثر من هذا..

هزت ماريان رأسها موافقة، لفت أنتباه عمر التقويم المعلق على الحائط، تقدم باتجاهه، أندهش عندما أدرك أن

اليوم هو أول أيام شهر رمضان..!، بالطبع ولهذا السبب كان كل شيء غريباً منذ البداية، الأجواء في الخارج

رمضانية، دخل عليهما الشاب وزوجته.. ييدوان عروسان بالتأكيد.. وضع الطعام أمامهم.. التفتت زوجة الشاب
لعمر معتذرة ..

آسفة عما بدر مني، كان الأمر غريبًا ومخيفًا بالنسبة لي.. ظننتك داعشي أو من تلك الجماعات، تفضلوا
الطعام..

أنا من يجب أن يتأسف لأزعاجكم، لن نطيل عليكم.. سنرحل الآن..

تكلم الشاب..

لا عليك يا رجل، جميعنا سنرحل خلال أيام ..

كانت مارايان تأكل بشراهة متجاهلة ما يحدث حولها، لم يفهم عمر قصد هذا الشاب..

سترحلون..؟!، لأين ولماذا؟

ابتسم الشاب ..

لا تشغل بالك الآن، ستعرف لاحقًا ..

لاحظ أن عمر لم يأكل حتى الآن، أشار له الشاب ...

لماذا لم تأكل؟!.. تفضل الطعام ..

لا.. لقد نسيت أن اليوم هو أول أيام شهر رمضان ..

هز الشاب رأسه متفهمًا الأمر..

حسنًا.. دعني أعرفكم علينا، أنا أسامة أبراهيم مهندس كهربائي وهذه زوجتي لميس ولقد ورثتُ هذا المنزل من

أبي رحمه الله، ماذا عنكم؟؟، كيف أنتم غرباء عن هنا؟!!

قص عمر عليهم ما جرا معه الأيام الماضية، تأثروا جدًا بالقصة، خاصة مصير تلك الفتاة تغريد.. حتى أن ماريان صُدمت بذلك الخبر وحزنت، فقدت شهيتها عندما علمت بوفاة تلك الفتاة البريئة!.. تلك الفتاة التي سمعت والدها وهو يقص على عمر قصة وفاة والدتها..

بعدما أنتهى عمر من الكلام شرد ذهن أسامة ..

هناك شيئًا غريبًا في قصتك تلك!..، أظني على علم ببعض ما حدث معك، لا أستطيع تذكر متي وأين سمعت بعض التفاصيل هذه!!

لاحظ أنصات الجميع له..

لا عليكم.. المهم أنني أنا وأنت سنرتاح قليلًا فيما ستستعد لميس لتجهيز الفطور ..

قامت لميس وأتجهت ناحية المطبخ مبتسمة وتبعثها ماريان بعدما أستعادت طاقتها بالكامل ...

حان وقت الأفطار.. الفطور جاهز والجميع مستعد للأفطار، حتى ماريان أحبت أجواء شهر رمضان..، كانوا بانتظار الأذآن وها بالفعل أنطلق الأذآن وبدأوا بتناول الفطور، مرت دقائق حتى أنتهت ماريان من الفطور أو من الأكل ثم أمسكت بجهاز التحكم عن بعد وتنقلت بين المحطات بحثًا عن قناة " Exclusive news " ووجدتها أخيرًا، كانت شيرين عبد النور تتكلم..

" ... لذلك قد أرتكبت خطأ فادحًا عندما قمت بمهاجمة عمر دون أدلة دامغة، لذلك أيضًا وجب عليّ الأعتذار لعمر وزوجته أولًا ثم للمصريين بعدها ... "

البرنامج جذب انتباه الجميع فجأة لا سيما عمر عندما سمع اسمه تردده تلك المذيعه، يعرف أنه قد أصبح مشهورًا في مصر حتى لو كانت هذه الشهرة سلبية، لكن ما أثار انتباهه فعلاً هو تردديها لكلمة " زوجته " ..! لماذا تعتذر هذه الحمقاء!؟، هل وصل الأمر مثلاً لأستضافة زوجة عمر الإرهابي في برنامجها وتم مهاجمتها شخصيًا بسبب خطأ لم يقصده هو!؟، ما قطع تفكيره صوت أسامة الذي علا فجأة ...

هكذا يكون الوضع منطقيًا، منذ البداية وأنا أحدث نفسي بأني قد رأيتك من قبل ولكنني لم أتخيل أن الضابط المصري عمر محسن شخصيًا قد يعلق هنا في سوريا ويستغيث بي ويكون هنا في بيتنا، لقد بدا الأمر خياليًا بالنسبة لي ..!

قالها والفرح والفخر يتطايران من عينيه، فيما كان عمر شارد الذهن يفكر بشيء واحد فقط .. آسية .. لكن أسامة وزوجته ظنا بأن عدم رد عمر وشروود ذهنه الواضح يعود إلى خجله وأحراجه من الذنب الذي لصق به .. الجميع يعرف أنه قتل أخيه على أية حال .. لا بد وأنه يواجه صعوبات بينه وبين نفسه كلما ذكره أحد، تدخل أسامة لتوضيح الأمر ..

تأكد يا عمر بأن الجميع يعلم معاناتك، الجميع يعلم بأنك لم تكن تقصد قتلك لأخيك بحد ذاته، الأعلام فقط هو من روج لفكرة أنك قد فعلت ذلك بدافع الانتقام من أخيك وخطف مكانته في التنظيم، لكن لا أحد كان يصدق كلامهم الا بالطبع مناصري هؤلاء الأعلاميين على صفحات التواصل الاجتماعي ..، لكن من الغريب أن تعتذر تلك المديعة بالذات عن مهاجمتك أنت ..، أتساءل ماذا حدث لتغير رأيها ؟!

أنجذب الجميع ناحية التلفاز مرة أخرى ...

" والآن بعد أن ظهر للجميع حقيقة شخصية عمر المخبرانية .. دعونا نرى تلك المشاهد مجددًا ... "

الجميع بلا استثناء أتسعت أعينهم من الدهشة بما فيهم عمر نفسه، رجل مخبرات ؟ من ؟! عمر ؟!، لقد ظن عمر بأنها تتكلم عن شخصًا غيره، تسمر الجميع أمام التلفاز ليروا جميعًا تلك المشاهد التي تُعرض الآن .. مشاهد قتل عمر لقيادي داعشي آخر، عمر لأول مرة يشاهد نفسه وهو يقتل عثمان .. ماريان لأول مرة تشاهد هذا المشهد أيضًا وأول مرة تعرف هذا الرجل على أنه قيادي داعشي آخر ..

فجأة أنقطعت الكهرباء، أسرعتم لميس للطابق الأعلى بسرعة لأحضر رضيعها فيما تسمّر عمر في مكانه شاردًا ..

أنقضت الساعات الأخيرة من اليوم سريعاً كعادة هذا الشهر الكريم ومع تجاوز ساعات منتصف الليل أقرب وقت السحور، كانوا نائمين.. أسامة ولميس في الطابق الثاني مع طفليهما وماريان وعمر في الطابق الأرضي كل منهما على أريكة.. ورغم أنهم على أية حال كانوا سيسيقظون لتناول السحور قبل الفجر فلقد أستيقظوا بدعر على صوت إطلاق نار في الخارج، يبدو أن هناك معركة ما بالخارج، وكانت ما زالت الكهرياء منقطعة، سألت ماريان في دعر..

ما الذي يحدث بالخارج!؟

أغلق أسامة باب المنزل بسرعة قاطباً حاجبيه ثم التفت إليهم..

لقد فاتنا وقت الهروب.. لم أتوقع أبداً أن تبدأ هذه المعركة في هذا الشهر على الأقل..

تساءل عمر..

معركة..!؟ معركة من!؟

أجابه أسامة..

حرب السيطرة على القرية يا عمر.. حرب بين الجيش النظامي وفصائل المعارضة..

أوصد الباب جيداً ثم التفت لزوجته والقلق بادياً عليه..

لميس..، أحضري السحور الآن من فضلك..

هزت لميس رأسها موافقة أياه وغادرت الغرفة في قلق وتبعتها ماريان لتساعدها، نظر عمر وأسامة لبعضهما في قلق..

و الآن.. هل علمت لماذا سترحل عن هنا!؟، من الآن فصاعداً لا تضمن أن تبقى على قيد الحياة في أي لحظة..

تساءل.. متى ستكون العودة لله؟!.. يخطر بباله اليوم فيؤجل العودة للغد ثم يأتي الغد وقد أغرقته الدنيا بمشكلاتها فينشغل بحلها فيفشل فتضيق عليه فيتذكر الله مرة أخرى وكيف أنه قد ضل الطريق...!، فيسلك طريق الله ويطرق بابه ويشكوه همومه فتحل مشاكله لكن سرعان ما يرجع لنقطة البداية من جديد.. ليس في ذلك حرج ولا عيب.. فباب الله لا يُغلق أمام من يسعى جاهداً في كل مرة للعودة إليه، إنما العيب كل العيب أن لا نتذكر الله سوى في كل مأذق نقابله فقط...

نزل يصلي الظهر في مسجدٍ قريب رغم تحذير أسامة للجميع بعدم مغادرة المنزل في أي حال من الأحوال هذه الأيام.. على الأقل للتأكد من الصوت الذي سُمع أمس.. هل هي بداية حرب أم كانت مجرد مناوشات فقط؟!، لم يُبالي بتحذيره وسعى لأصلاح علاقته مع الله بأي طريقة ممكنة ولا يظن بأن ما تبقى له من عمره سيكون كثيراً لذلك سيصلح كل شيء من الآن.. وبداية إصلاح كل شيء هو إصلاح علاقته مع ربه..

كان في المسجد حين أذن أحدهم آذان الظهر.. كان يفكر في كلام أسامة بالأمس..

بعد فجر اليوم نام الجميع عداه هو وأسامه، كانا يتسامران...

أشعر وكأنني صرت داعشياً حقاً.. تهاجمني أفكار وأسئلة كثيرة..!، لقد تأثرت فعلياً بكلام عثمان بغض النظر عن أنني كنت أكرهه أو أكره تلك التنظيمات عامة..

أعتدل أسامة في جلسته..

أتعلم..؟!، مشكلة التطرف تكمن في أنهم يقومون بأجزاء النص القرآني ويقولون لك هكذا يقول القرآن ولسنا نحن..

هذا ما قاله عثمان فعلاً ولم أستطع تكذيبه لأنه قرآن فعلاً..!

على ما يبدو أن عثمان كان يقرأ التوراة وليس القرآن..؟!!

لم يفهم عمر..، كذلك أدرك أسامة أن عمر لم يفهم قصده ..

موضوعات القرآن شبكية وليست خطية.. شبكية بمعنى أنها موضوعات متشابكة ومتداخلة مع بعضها.. مثل الحياة تمامًا.. الحياة شبكية وموضوعاتها متداخلة ومتشابكة وليست منفصلة، موضوعات التوراة خطية.. بمعنى أن موضوعاتها منفصلة، لذلك القرآن حياة لأنه يُعبر عن الحياة تمامًا..

لذلك عند دراسة الموضوعات القرآنية علينا بطبق فكرة قالها أحد الدعاة الإسلاميين.. " القرآن جملةً واحدة " وهي عبارة عن تجميع كل الآيات المتعلقة بموضوعٍ ما وقرآنتها كنص واحد خاصة تلك الموضوعات الشائكة مثل الجهاد والقتال وما إلى ذلك..، هدف هذه الفكرة هو الخروج بموضوع متوازن وبعيد تمامًا عن التطرف أو الأُلحاد..

تساءل عمر في نفسه.. الأُلحاد..!؟

الملحدين كذلك يقومون بأجزاء النص القرآني ويقولون كيف يقول الله كذا وكذا.. كيف يأمر بالقتل.. وكيف وكيف وكيف ثم يقرر بعدها أن يلحد بسبب الفهم الخاطئ لموضوعات القرآن.. لذلك هو نفس الحل.. القرآن جملةً واحدة حتى لا تحدث تلك المشاكل..

حتى القرآن نفسه قد عاب ورفض منهج الأُلحاد.. يقول الله.. " كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ "

أذن فهؤلاء المتطرفون محاسبون أيضًا لعدم السعي للفهم الصحيح للآيات بل هم أصلًا المذنبون..

تعجب عمر من ثقافة أسامة.. يبدو شخصًا واعيًا..

لكن دعني أتناقش معك في هذا الموضوع..

هز أسامة رأسه منتظرًا مناقشته..

أليس صحيحًا أن الله قد أمرنا بقتال وجهاد كل أعداء الإسلام..!؟

سكت أسامة للحظة بدا فيها وكأنه يستعد لأجابة عمر ..

لقد وقع الجهاديون في خطأ فادح.. القرآن فرّق بين الجهاد والقتال.. كل آيات الجهاد عندما تقرأها كجملة واحدة تكتشف أنها تتكلم عن بذل الجهد والبناء والعطاء والتنمية.. معنى الجهاد هو البناء..

أما القتال فهو يتكلم عن معركة عادلة بين جيشين.. ساحة معركة وجيشين وأسلحة وهكذا ..

فكر عمر قليلاً..

هناك آيات تتحدث عن قتال الكافرين مثل " وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ"، " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ"، " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ" ..

و هذا لأنك لم تقرأ القرآن جملة واحدة..، عندما تقرأ آيات الجهاد ستجد أنها مقترنة بأية " قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " ... أذن قاتلوا مقيدة بالذين يقاتلوننا فقط يا عمر وليس أي من كفر بالله يُقتل..، القتال لرد الأعداء على من أعتدى عليك فقط.. على نفس ذات المعتدي..

يبدو هذه منطقيًا، فكر عمر قليلاً..

لكن دائمًا ما كان يردد قائد التنظيم في العراق أن هدف تنظيم داعش الأساسي هو رد الأعداء الواقع على المسلمين من أعداء الإسلام..

هناك آية تقول " فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۗ " .. أذن فمن يعتدي علينا فعلينا أن نعتدي على ذات المعتدي.. أذن عندما نقتل مواطنًا أنجليزيًا أو صحفي أميركي مثلاً فأنا سنحمل ذنبه ليوم الدين..، قتل الصيادين المصريين ..! لماذا يتم قتلهم برأيك؟! هم نصارى.. لهم دينهم ولنا ديننا فلماذا يتم ذبحهم وهم عُزل بدون أسلحة؟!، منذ متى وهم أعتدوا علينا لنعنتدي عليهم؟! هل كانت معركة متكافئة مثلاً؟!

رد عليه عمر بنبرة هادئة..

أذن لا يوجد حل لهذه المشكلة فعلاً سوى أن تكون معركة متكافئة بين جيشين..

و ليس هذا فقط.. فالقرآن ألزمننا قبل الدخول في معركة أن نرد الاعتداء بالسلام أولاً.. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً " .. أطرقوا كل أبواب السلام أولاً..

بدا على أسامة أنه يستجمع أفكاره من جديد..

أذن فقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم.. ومن أعتدى عليكم فأعتدوا على ذات المعتدي.. أدخلوا في السلم
كافة أولاً، وأذ لم تجدي هذه الطرق نفعاً ندخل في معركة.. معركة ستكون عادلة بين جيشين.. حينها نقتلوهم
حيث ثقفتموهم كمثل أي جيش في العالم في كل زمان.. حينها يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال لتشجيع
الجنود..

معركة عادلة يا عمر تجوز فيها كل خدع الحرب..

تذكر عمر سؤالاً كان يراوده عندما كان والده يقص عليه حروب المسلمين والفتوحات الإسلامية..

ماذا بشأن الفتوحات الإسلامية.. كنا نحن من نُرسل جيوشنا لهنالك.. ألا يعتبر هذا اعتداءً؟!

أسند أسامة ظهره للوراء ثم هز رأسه نافيًا ..

كانت الدولة الإسلامية حينها دولة وليدة ناشئة، كانت إمبراطوريات مثل الفرس والروم يريدون القضاء عليها تمامًا
قبل تفاقم قوتها..، كانت الفتوحات الإسلامية لرد الاعتداء وليس للأعتداء..، كان أبا بكر مثلاً منشغل بحروب
الردة ولكنه أصّر على خروج جيش أسامة بن زيد لمواجهة الفرس.. فتح على نفسه معركتين حاسمتين بسبب
تهديدات الروم أيضاً..!

ثم أن الفرس والروم كانوا محتلين ومغتصبين لأغلب الدول وكانت الدولة الإسلامية تفتح هذه الدول وترفع الظلم
عنها..

ماذا عن حديث رسول الله " أمرت أن أقاتل الناس كافة حتى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله " ؟!

لقد فهمت الحديث خطأ يا عمر.. كلمة الناس في اللغة العربية تعني أما كل الناس أو فئة صغيرة مكونة من عشرة أشخاص مثلاً..، في هذا الحديث هو يتكلم عن قريش ولم يقصد أصلاً أنه سيحاربهم حتى يسلموا.. المقصد هنا أن قريش لن توقف الحرب حتى يؤمنوا به في النهاية لأنه لن يستسلم وسيواصل الدعوة ..!، لم يقصد أنه سيكرههم على الإسلام، نحن أبتعدنا عن لغتنا فكان سهلاً أن لا نفهم لغتنا أصلاً..

لم يستوعب عمر ثقافة أسامة الزائدة أو أنه قد تأثر فعلاً بفكر داعش..

بكلامك هذا قد نسفت معنى الجهاد يا أسامة !..

الجهاد باقي ليوم القيامة يا عمر.. لكن لكل عصر جهاده، كان الرسول يقول " خلوا بيني وبين الناس " .. كان يريد أن يدعوهم لكن قادة قريش كانوا يمنعوهم من الوصول للناس فكان الحل الوحيد أمامه للوصول للناس هو الجهاد..

لكن الآن وفي وجود الأنترنت.. ما الذي يمنعنا من التواصل مع الناس لدعوتهم بدلاً من قتالهم..؟!، هذه هو جهاد عصرنا يا عمر.. جهاد البناء.. لن نتقدم أوطاننا إلا بأناسٍ يجتهدون لبناء أوطانهم ...

ساد الصمت بينهما طويلاً.. لاحظ عمر أن أسامة ينظر إليه لدقائق محدداً به !..

لماذا تنظر أليّ هكذا..؟!!

أريد أن أتخيل شكلك قبل أن تنضم لذلك التنظيم.. هل كنت بتلك القسوة أم أنك كنت شخصاً عادياً ..

عاد لواقعه من جديد..، ما قطع تفكيره سقوط شيء على ظهره.. أنه طفل تعثر فوقه على ظهره، التفت إليه عمر مبتسماً وأمسكه ثم أوقفه أمامه..

ما أسمك يا صغيري..؟!!

رد الطفل بأبتسامة بريئة ..

إيلان..

إيلان..؟! ، أسمٌ جميل !، أتعرف معناه ؟

نعم..، لقد أخبرني والدي عن معناه ذات مرة، إيلان يعني حامل راية النصر..

لا يعرف عمر لماذا أبتهج بحديثه مع هذا الطفل، جاء رجلٌ من ورائه متأسفًا ..

آسف سيدي، هيا يا إيلان تعالي ..

تعجب عمر من تأسف الرجل..

سيدي؟!، يبدو أنني الأصغر هنا سيدي..، ثم على ماذا أصلاً تتأسف، إيلان طفلٌ رائع ..

ابتسم الرجل وجلس بجانبه وحاول أن يجلس إيلان بجانبه لكنه فشل ...

سألعب قليلاً يا أبي..

يا إيلان نحن في بيت الله ولا يجب أن تلعب في بيته، أتينا هنا لنلعب أم لنصلي..؟!

أتينا لنصلي لكن الأمام لم يأتي بعد، ثم أن الله لن يمانع ولن يغضب عندما ألعب في بيته ولو قليلاً، على العكس

تماماً يا أبي هو سيكون سعيداً طالما أنني لن أكسر أو أفسد شيئاً هنا..

ضحك عمر من براءة هذا الطفل وغلب والده على أمره تاركاً إيلان يلعب، مرت لحظات صمت كان الرجل يبدو

فيها متوتراً بجانبه.. ينظر إليه ثم يتردد أن يكلمه وهكذا عدة مرات، لاحظ ذلك عمر..

تبتدو قلقاً سيدي..، هل أنت بخير ؟

تبدو مألوفاً لي، أنت تشبه أحدٌ ما خطر ببالي..

ابتسم عمر وعرف مصدر قلقه، سأله الرجل..

لماذا ابتسمت هكذا!؟

لأنني هو ذلك الشخص الذي تفكر فيه ..

أتسعت عيني الرجل ذهولاً ..

حقاً!؟، أنت ذلك الضابط المصري الذي قتل أخي ...

لم يكمل سؤاله .. سؤال هكذا لا يجب أن يسأله لا سيما بعد عرض الفيديو الآخر والذي شوهد فيه أنه قتل

قيادي آخر وهذا يعني أنه قد أُجبر على قتل أخيه من المخابرات المصرية كمهمةً وطنية، رد عمر عليه ..

نعم .. أنا هو ذاك الرجل الذي قتل أخيه، لكن ليس كما يصوره الإعلام سيدي ..

هز الرجل رأسه متفهماً كلامه ..

لكن كيف أتيت لهذا ..!؟، هل تم تكليفك بمهمة ما هنا في سوريا من قبل المخابرات!؟

قالها الرجل وهو مائل باتجاه أذن عمر كي لا يسمعه أحد بصوت منخفض جعل عمر يضحك على أثرها ...

لا .. أنا عالقٌ هنا فقط ...

نظر عمر للساعة أمامه وتساءل ما إذا كان من المفترض أن يكون الوقت الفاصل بين الأذان والأقامة ربع الساعة

فقط!؟، لقد مر نصف ساعة تقريباً على الأذان والأمام لم يظهر بعد!، سمع همهمات الناس في المسجد،

الجميع منزعج من تأخر الصلاة .. فجأة دخل عدة أشخاص المسجد مسرعين وحاملين شخصاً ينزف بشدة! ..!

أنه الأمام على ما يبدو ..!، فجأة بدت الأجواء هنا في المسجد متوترة ومضطربة، التفت عمر لبحث عن شيء

لا يعرفه! ..!، ليست الأمور هنا في المسجد فقط مضطربة، فلقد سُمع صوت رصاص متراشق في الخارج، وفي

صوت واحد هو والرجل صرخاً ..

إيلاااااااااا ..

أصبح الرجل مشتتاً.. يبحث عن طفله بجنون داخل المسجد، فيما أسرع عمر للخارج عندما لاحظ إيلان خارجاً، كان يلعب في الخارج وعلق خارجاً بسبب تدافع الناس للمسجد..، وصل إليه فعلاً بصعوبة وحمله.. أحتضنه وخبثه بين ذراعيه ليحميه من وابل الرصاص المتراشق في كل جهة بطريقة عشوائية.. فجأة وجد المسجد عبارة عن ركام بجانبه.. إحدى القذائف أصابت المسجد دمرته تماماً.. تساءل.. هل مات والد إيلان؟!، لم يعد هناك وقت للتفكير.. عليه أيجاد مكان آمن للأختباء بالطفل.. أسرع ليفادي نفسه من الرصاصات المتراشقة حوله من كل جهة..!، لم يكمل هروبه حين أصابته في كتفه الأيمن مجدداً..، سقط أرضاً وتحتته الطفل، يحاول وبشتى الطرق حمايته، حاول النهوض وأحتضان إيلان لمواصلة حمايته على الأقل حتى يتمكن من الأختباء في مكان آمن، مرة أخرى يجري وسط هذا الوابل من الرصاص العشوائي، أحتمي بأحدى المحلات المدمرة جراء ما يحدث الآن..، الصدفة العجيبة هنا أنه وجد والد الطفل مختبئاً في نفس المكان يبكي ويصرخ لعدم أيجاده لطفله.. لقد ظن أن طفله قد مات في المسجد أو حتى خارجه، عندما وجد عمر يدخل ليحتمي بالمكان ممسكاً بطفله ليحتمي فيه جرى نحو طفله ليحميه من عمر وأحتضنه بشدة وأخذ يُقبله بدموع منهمة، التفت لعمر كي يشكره..

شكراً لك يا عم ..

لقد وجدته مستنداً على الحائط فاقد الوعي.. أو ربما قد مات..

لم ينقطع أملها بالله أبدًا، تنق في أنه سيستجيب لها يومًا ما.. متى وكيف؟، لا تعلم لكنه سيستجيب حتمًا.. هي متأكدة، لطالما أحسنت ظنّها بربها دومًا.. سيعود عمر.. سيعود إليها ولو بعد حين ..

لقد طمئنّها الله ليلة أمس بطريقة غريبة، ظهر عمر في إحدى نشرات الأخبار صدفة ليلة أمس وهو يحمل طفلًا بين ذراعيه صارخًا لطلب النجدة لأنقاذ الطفل المُصاب.. وبعدما وصل للمستشفى بهذا الطفل مات الطفل.. مات بعد أن لفظ آخر كلماته.. " سأخبر الله بكل شيء "، تلك الكلمات التي لن يدرك العالم كارثيتها وقوتها إلا حينما يقف هذا الطفل خصمًا للعالم كله أمام الله..

خطر بيالها سؤال لم تجد له أجابة مقنعة، لماذا أرسلت المخابرات المصرية عمر لسوريا؟!، لقد أفُضح أمر عمر وعرفه العالم كله بأنه عنصر مخابراتي تم تجنيده في صفوف تنظيم داعش وقتل قياديين فيها.. ورغم ذلك تم إرساله لسوريا!..

منذ أيام تم عرض الفيديو الثاني له كان في العراق وأمس رأته في سوريا.. فيم تفكر المخابرات؟! متى ستنتهي مهمة عمر تلك ويرجع إليها؟!

توضأت وأرتدت حجابها وفرشت سجادة الصلاة.. وقفت أمام الله لتصلي الفجر... الله أكبر.. الفاتحة ثم آية الكرسي.. ترَكَع ثم تُسمع الله حمدًا.. ثم تسجد وتدعي الله مرة أخرى.. لن تكف عن الدعاء... لقد شُفيت تمامًا عندما تضرعت لله وطلبت منه ذلك..

عادت للذكريات حنت إليها..

فكرت في أنها كيف تعيش معه كل لحظة وكأنها الأخيرة.. لن تفكر بما سيأتي، ما سيأتي لاحقًا ليس كما تحب أو تتمنى.. سيصيبه الملل على كل حال.. ستتعالج لكن مع طول فترة عجزها سيصيبه الملل ولن يستمر لأجلها.. سيتسرب إليه الملل شيئًا فشيئًا، لذلك فكرت أنها لن تفكر بمستقبل علاقتها معه، قاطعت والدتها تفكيرها..

بماذا تفكر صغيرتي؟

نظرت لوالدتها بخجل ..

كلما فكرت في الأستمتاع بكل لحظةٍ معه يراودني شعور الوحدة بعدما يصيب عمر الملل مني، كيف يمكنني التعود على الحياة بدونه؟!؟

و لماذا تفكري بهذا؟، عمر سيبقى معك يا آسية.. عمر يُحبك !

لمتي يا أمي..؟!؟

لم تُجب والدتها.. سؤالها منطقي.. لمتي؟!، أكملت آسية كلامها ...

عندما تم أرغامي على خطبة ابن عمي فكرت في أرغام نفسي أيضاً على نسيان عمر، حتى لو لم أستطع ذلك.. فكلما يتذكره عقلي وقلبي سأطرده.. سأكرهه بلا سبب، سيتقبل عقلي أنه سينساني يوماً ما لذلك عليّ نسيانه أنا أيضاً حفاظاً على كرامتي.. سأقنع نفسي بأنه سيرتبط بفتاةٍ غيري.. سأجد ما يُبرر نسيان قلبي وعقلي له، ولكن الآن.. كيف يمكنني التأقلم على غيابه عني؟ كيف سأتقلم على ذلك يعد ما فعله معي؟! لم يمر سوى شهرٌ واحد فقط على أنضمامه للجيش وقد شعرتُ بأنها سنة.. لم يرغب عن بالي لحظة واحدة..

أرتسمت على وجهها ابتسامة حزينة ..

متى سيأتي اليوم الذي يقرر فيه عمر تركي بعدما أصابه الملل من حبه لفتاةٍ عاجزة؟!، ماذا سيقول لي حينها كي لا يجرح مشاعري؟ كيف سيكون شكله حينها؟

أربت والدتها على كتفها ..

أو لعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً!، حسناً.. أصغي أليّ جيداً ...

أعدلت في جلستها ..

لم ينتابني أدنى شك في أن الله سيتركنا في محنتنا هذه، في البداية أنتي ظننتي أن عمر سيتركك كالبقية ولكنه كان أول الداعمين لك.. كان أول من يقف بجانبك ولا أظنه سيتركك أبداً..

لكنها مسألة وقت يا أمي..

قاطعتها والدتها ...

أو يصبر فينال جائزته من الله في النهاية.. جائزته هو أنتي يا آسية.. أنتي جنته ومكافأة صبره.. أراهن بعمري كله أن عمر لن يتركك في ظرف هكذا ولن يتركك أبدًا ..

ابتسمت عندما تذكرت كلام والدتها.. لكنها تذكرت فجأة أنها ساجدة أيضًا، لقد خانها عقلها وسرحت أثناء صلاتها.. كانت قد عزمت الرجوع للصلاة تدريجيًا بعد تماثلها للشفاء تقريبًا، أنتهت من الصلاة ثم فكرت في كلام والدتها.. لقد كانت محقة.. حدث ما لم تتوقعه.. تزوجها ! وشُفيت تمامًا، لكنه ليس معها الآن ..!، لقد تركها أيضًا لكن ليس بأرادته.. هو في مهمة وطنية الآن..

أرتمت على سريرها وفتحت التلفاز لعلها تقرأ خبر عودة عمر مثلًا فتفاجأ وتفرح.. لكنها صدمت بشئ آخر يُعرض على التلفاز، قناة الأخبار تعرض صورًا قاسية، صورةً أزرفت دمعتها بمجرد رؤيتها، طفلٌ مُنكب على وجهه على شاطئ في سوريا.. أنه ميت ...!

صوت المذيعة ..

ولكن هذه الصور لا تحتاج لتعليقٍ منا.. لا تحتاج سوى لأن نصمت لندرك كم تخاذلت الحكومات العربية في أنقاذ شعبٍ عربيٍّ يتم أبادته وتفككه وتهجير مواطنيه هربًا من الجحيم في أوطانهم ..!، شعبٌ يموت أطفاله كل يوم ما بين قصفٍ هنا ورصاصةً هناك.. ما بين الهجمات الكيميائية هنا وما بين الغرق هناك، تلك الصور التي تُعرض أمامكم الآن سوف تُدين العالم كله.. صورٌ لن ينساها التاريخ..

أمواج البحر أبت أن تبتلع الطفلُ أيلان ولفظته خارجًا.. لفظته خارجًا لتُري العالم مدى قساوته وأنه لا يستحق الحياة، كل شيءٍ مات بعد موت هذا الطفل أيلان.. ولكنه طفلٌ واحد ما بين مئات الأطفال التي يتم قتلهم يوميًا.. غرقًا وذبحًا وبالكيماوي وبالرصاص وبكل الوسائل ...

لم تتحمل تلك المشاهد وأغلقت التلفاز، حاولت النوم لكنها لم تستطع ذلك.. صورة الطفل وهو ملقي على وجهه على الشاطئ ميتًا عالقةً بذهنها، لديها تفسيرٌ آخر لهذه المشاهد غير أن البحر لفظه لكي يُري العالم قسوته.. لقد أدركت أن البحر حزن حزنًا شديدًا عندما قتل هذا الطفل..، فأرسل أمواجه لتلفظه خارجًا لِشَهد الله أنها لم تقصد قتله.. ليس للطبيعة ذنبٌ في قوة منحها الله لها.. حملته الأمواج خارج جعلتها إلى الشاطئ لعل يكون هناك ذرة رحمة للبشر وتدفنه خارجًا، لم تعرفه آسية لكنها أدمعت عليه.. كل شيء بكى لأجل هذا الطفل الغريق.. وداعًا أيلان.. لعل الله قد رحمك.. لا يريد أن يُريك قساوة هذا العالم يا أيلان.. وداعًا أيلان..

يأست من البحث عنه.. أسبوعًا كاملاً وهي تبحث عنه باستمرار رغم تلك الأوضاع السيئة التي تمر بها المدينة.. لقد تقاسم طرفي النزاع حصار المدينة.. النصف الغربي منها كانت محاصرة من قبل جيش النظام السوري أما الجهة الشرقية فكان تُحاصرها فصائل المعارضة!..

كانت ماريان تخرج كل يوم لتبحث عنه لعلها تعرف أخبار عنه لكن سرعان ما كانت تعود لبيت أسامة وزوجته حتى لا تضل الطريق أو تقع في مأزق فلا تعود، كانت كمائن الجيش النظامي في كل مكان ورغم أن لميس لا تعرفها سوى من أيام قليلة مضت فقط إلا أنها أحببتها وطلبت منها أن تحرص على العودة مجددًا..، كانت ماريان معتادة دائمًا لذلك كان من السهل بالنسبة لها الهرب والأختباء من تلك الكمائن..

تساءل.. أين تراه يكون؟!، لقد بحثت عنه في كل الأماكن القريبة من البيت.. في الشوارع والمساجد وأحيانًا كانت تسأل عنه في البيوت المجاورة، بحثت عنه أيضًا في ذلك المسجد الذي تم أستهدافه في نفس يوم اختفائه حتى أنها لم تجده في جث الضحايا!..، كذلك بحثت في المستشفى القريبة من ذلك المسجد المدمر لكنها لم تجده!..، لقد حذر أسامة الجميع في ذلك اليوم من مغادرة البيت في أي حال من الأحوال حتى يتم معرفة سبب صوت تلك المناوشات التي حدثت ليلتها، تأكدت أحاسيسه وكانت فعلاً بداية حرب بين قوات النظام وفصائل المعارضة.. لقد تم محاصرتهم من قبل قوات النظام، ليس هناك أدوية أو مواد غذائية أو مياه حتى دخلت المدينة منذ أن فرض عليهم الحصار.. الكهرباء أيضًا لم تعود منذ أن تم قطعها.. الحياة هنا مأساوية، بل أنها البداية فقط..

شعرت بالجوع لكنها تعلم جيدًا أن مخزون الطعام في البيت بدأ ينفذ، تحاول بقدر ما تستطيع أن تتحمل الجوع، وجدت في الصوم الطريقة المناسبة لكبح جوعها، لم تقوى كذلك على العطش فدخلت المطبخ لتشرب خلصة فدخلت لميس ورائها فجأة فوجدتها تشرب، ضحكت ماريان، وضعت لميس يديها على جانبيها ورفعت حاجبيها ..

لستي صائمة كما تدعين..

تبسمت ماريان وقالت بلؤم ..

نعم.. أحببت فكرة الصوم وجربتها فعلاً، لكن لا تنسي أن لدي بعض المميزات هنا..، أنا مسيحية على أية حال..

قالتها فضحكت كلتاهما، قالت لميس..

ماريان.. لا تقلقي بشأن الطعام، إذا ما أصابك الجوع فلا تترددي بالأكل، لا تقلقي بشأننا.. فالله خير رازقاً وهو أرحم الراحمين ..

هزت ماريان رأسها في خجل موافقة أباها..

أين أسامة؟! مازال نائماً؟!

نعم.. ما زال نائماً، لقد سهرنا حتى ما بعد السحور، كنا نفكر في ..

فجأة أهتز البيت بطريقة جعلتهما تسقطان.. نظرنا لبعض في صدمةٍ وفتح.. تسائلنا ماذا حدث؟!، لكن لميس تذكرت زوجها ورضيعهما وهما نائمان بالطابق الثاني..، صرخت وتوجهت بسرعة ناحية السلم لكن البيت أهتز بعنف هذه المرة جعلتها تسقط من السلم لتعيد صعودها من جديد، حاولت ماريان منعها من الصعود لَمَّا رأت أن الطابق الثاني قد دُمر تقريباً، أبعدت لميس يديها بعنف وأصرت على الصعود، تبعتها حتى أقتربتنا من الغرفة المدمرة تقريباً!

فجأة خرج أسامة حاضناً لصغيره ليحميه من أي شيء، حاول الهرب لأي مكان لينقذ طفله أو حتى ليطمئن ما إذا كان قد أصابه شيء أم أنه على ما يرام..

توجهوا جميعاً مرةً أخرى ناحية السلم وحاولوا النزول والخروج من المنزل، تداعى السقف من فوقهم فبدأ بالانهيار..، أسرع هو ناحية باب المنزل ليهرب لكنه لاحظ أن زوجته لم تُسرع خلفه.. كان من الطبيعي أن ينظر خلفه ليعرف ماذا حدث، لقد وقع السقف كاملاً على السلم وماريان تحاول أنقاذاها.. لكن على أي حال يبدو أن لميس ليست تحت الأنقاض.. هذا جيد..

التفت ليهرب بصغيره خارجًا، نظر لطفله ولم يستوعب الأمر.. ظل يُحدق به دون وعي ..!، طفله كان لونه أبيض..، ليس بشرته هكذا.. أنما التراب الناتج عن أنقاض هذا البيت يملئ وجهه.. دماغه الهشة تنزف دمًا، وضع أذنه على قلبه لعله يخيب ما يفكر فيه لكنه لم يسمع نبضات..

ظل هكذا لدقائق.. لم يستوعب أن قلب طفله قد توقف عن النبض ..!، ظل هكذا آملًا أنه قد فقد سمعه لا أكثر وأن قلب طفله يعمل بشكلٍ طبيعي..، جاءت لميس من ورائه مسرعة لكنها توقفت حين رأت زوجها ثابت على حركة واحدة واضعًا أذنه على قلب طفلها، أقتربت منهما ووضعت يدها على كتف أسامة لتطمئن على صغيرها، التفت إليها أسامة في شرود وكأنه لم يستوعب الأمر بعد..، فهتمت لميس أن طفلها قد مات عندما رأت أن الغبار قد ملئ وجهه ونزيفه هذا، جلست بجانبه ولم تنطق بكلمة.. بل أنها لم تبدي ردة فعل إطلاقًا ..!

أما ماريان فلم تستطع السيطرة على دموعها.. أقتربت من أسامة ونظرت إليه بعفوية لكنه كان يذرف دموعًا الحسرة والحزن.. ظل محددًا بطفله، التفت لماريان أيضًا في شرود، ثم عاود النظر لطفله ...

كنا سنرحل عن هنا قريبًا من أجله.. من أجل أن يحيا في مكان آمن بعد أن دُمر وطنه، كنا سنرحل لكنه رحل قبلنا.. رحل أسرع مما كنتُ أتخيل ..!
بدأ نحيبه يزداد، بدأ يغضب بحزن ..

لماذا هو؟!، لماذا هو بالذات؟!، لماذا هو بينما يبقى الطُغاة؟!، لماذا صغيري بالذات هو من يموت بينما يبقى هذا العالم القدر؟!، لماذا هو..، لماذا؟!
حضنه بشدة ثم أفلته مرة أخرى ليكلمه.. أو ليودعه ..

أتعرف يا صغيري.. ما يُهون عليّ موتك هو أننا سنلتقي في الجنة بأذن الله.. حيثُ لا ظُلمَ هناك، سنجد هناك من خلقنا وسيقتص لنا.. لا تقلق يا صغيري.. فحقك عند ربك محفوظًا ليوم الدين.. سيقتص ممن قتلوك.. سيقتص ممن حرمانا منك..

قبّله ثم أحضنه قليلاً ثم عاد ليكلمه مع ابتسامة باكية..

ستكون شفيحًا لنا يا صغيري وستقابل مجددًا عند خالقنا، أهدأ.. لن يطول الأمر.. قريبًا سنلحق بك.. قريبًا ...

" للحظاتٍ فقط تناسى عمر ما حدث منذ قليل، صحيح أنه بدا حزينًا ومهمومًا من معرفة العالم كله بأنه قاتل أخيه.. لكنه كان مستمتعًا بكلام جمال الدين.. كان الحوار معه شيئًا.. شيئًا لدرجة أنهم تطرقوا لنقاشات أخرى..

...، لكن من المخطئ برأيك؟، قضية سوريا معقدة، لا أعرف من يحارب من ولأجل ماذا..

تريد أن تعرف من المذنب؟!، أخبرني أذن.. من هم أطراف النزاع في سوريا؟!، من يمتلك الأسلحة؟، وما هي خسائر أطراف المعركة هناك؟! من الضحية برأيك؟ هل يحاول أحدهم حل الأمور بعقلانية؟!، هل يتواجد أمل ولو بسيط بإنهاء تلك الصراعات قريبًا؟!،

أسئلته منطقية لا تصدر سوى من شخص يفهم تلك الأمور جيدًا وأجابتها أيضًا لن تكون سوى لديه، حاول أن يتجاوب معه لكن الأمور بدت له معقدة ...

أطراف المعركة هناك.. النظام والمعارضة و...

قاطعته جمال الدين ..

و أمريكا وروسيا وإيران وتركيا والصين وفرنسا ودول أوروبا والأمم المتحدة وداعش وغيرها من الجماعات المتأسلمة ... أصبحت أرض خصبة للمعارك والقتال يا عمر.. والآن من يحمل السلاح من هؤلاء؟!،

رد عمر متشككًا من كلامه ..

جميعهم.. أرى أن جميعهم يحملون أسلحة.. الجيش يدعم النظام وفصائل المعارضة أيضًا تحمل السلاح، الولايات المتحدة وحلفاؤها تدعم تلك الفصائل.. روسيا وحلفاؤها يدعمون النظام، والجماعات الإرهابية كالعادة لا تفرق بين هؤلاء أو هؤلاء.. تقتل في الجميع!..

بالضبط هذا ما يحدث هناك، هي أرض معارك.. سوريا لم يعد وطنًا للسوريين.. لقد أصبحت وطنًا للقتال والمعارك والدم، من ضحية هذه المعارك؟!.. أنه الشعب نفسه.. الألاف يُقتلون يوميًا والمئات منهم يُشردون، لقد أصبحوا مثلنا نحن العراقيين.. لا وطن لهم!..

تساءل عمر ..

أين هي الأمم المتحدة وما دورها؟!، أين جامعة الدول العربية وما سبب وجودها حتى الآن!؟

تبسم الرجل بسخرية ..

الأمم المتحدة نجحت في إيجاد وطنٍ بديلٍ لهؤلاء.. تلك المخيمات هي وطنهم الحالي ..!، بالله عليك كيف يكون حالي عندما أعلم بأن أعضاء الأمم المتحدة هم عبارة عن مندوبي حكومات تلك الدول التي تحارب أصلاً في سوريا والعراق؟!.. ماذا عليّ أن أتوقع من هؤلاء مثلاً؟!، هل ستتغير مواقفهم عن مواقف بلادهم؟!، هم أصلاً موجودين في الأمم المتحدة نيابةً عن حكوماتهم، حتى نظام التصويت فيها عجيب.. خمس دول لها حق الفيتو ودائمين في المجلس وغيرهم يتواجد عبر تصويت من هؤلاء.. ما كل هذا العبث؟!، هل تتوقع بعد كل هذا أن يكون هناك دورًا مؤثرًا أو قرارًا حاسمًا للأمم المتحدة في أنقاذ مثل أوطاننا تلك؟!، أيعجز العالم كله عن حل مشكلة العراق أو سوريا؟!، هل أختفت عقول العالم كله!؟

أما بالنسبة لجامعة الدول العربية فحدث ولا حرج..

ابتسم عمر أيضًا بسخرية ..

و ماذا عن داعش؟!، ما دورها بسوريا!؟

لا شيء..

قطب عمر حاجبيه في عدم فهم، أكمل الرجل كلامه..

حقًا.. لا شيء، الوضع هنا في العراق مختلفٌ كليًا عنه في سوريا، هنا لا يوجد لنا جيش فبدلاً من أن نبدأ الأعمار من جديد بعد الأحتلال الأمريكي تم ظهور تنظيم داعش فجأة لتضطر أمريكا للدخول مجدداً للعراق هي وحلفاؤها عبر تحالف دولي ضد التنظيم الذي صنعوه بأنفسهم..

أما سوريا وبرغم ما يحدث فيها مازال هناك جيش وهنا تكمن المشكلة لديهم.. يحاولون بشتى الطرق تدمير دعائم الجيش السوري عبر تفكيكه.. نجحوا فعلاً في تفكيكه وها نحن نرى أربعة جيوش لسوريا.. الجيش النظامي، الجيش الحر المعارض وفصائل أخرى... لكن ما زالت هناك قوة ولو بسيطة في الجيش السوري لم يتم تدميرها بالكامل.. "

فتح عينيه.. لقد كان يحلم.. لكنه حلمٌ حقيقي، حينها كان حديثه مع هذا الرجل قد أنساه مشكلته الحقيقية.. بل أستصغرها مقابل كل هذا العبث الذي يحدث في العالم، ذلك العالم والذي للأسف الشديد يسكنه البشر..

حاول لدقائق أستيعاب أي شيء لكنه فشل، حاول رفع رأسه لكنه شعر بألمٍ شديد، حاول مرةً أخرى بمساعدة ذراعيه حتى لكنه لاحظ أن يده اليمنى مُقيدة، حرك رأسه تجاهها فوجد تلك الجبيرة القماشية.. تساءل ماذا حدث!؟

أسند رأسه مرةً أخرى وبدأت الصورة تتضح في ذهنه.. كان في المسجد مع والد الطفل ثم ذلك الهجوم ثم محاولته لأنقاذ الطفل ثم تلك الرصاصة التي أصابته ثم.. ثم لا شيء.. توقف عقله عند هذه اللحظة!، حاول بكل قوته النهوض وبعد معاناة من ذلك الألم في ذراعه كان بالفعل جالسًا..

حاول أن يتذكر أو يستوعب المكان لكنه لا يعلم أين هو!، ليس في مستشفى أو عيادة.. هو في غرفة.. أيعقل أن يكون في بيت أسامة!؟، لا لا ليس هو، قام من مكانه وحاول أسناد نفسه على الحائط حتى وصل لباب الغرفة بصعوبة، فتحه.. فوجد الجميع ينظر إليه.. لا يعرف فيهم أحدًا.. أسرع تجاهه طفل.. نعم يعرف هذا الطفل.. أنه أيلان.. هو بخيرٍ أذن..

عم عمر.. كيف حالك الآن؟

ابتسم عمر ثم مسح بيده على رأس أيلان، كما لاحظ قدوم أحدهم تجاهه أيضًا.. عرفه كذلك.. هكذا أتضح الأمر.. هو في بيت والد الطفل أيلان بعد أنقاذه، أسند الرجل عمر وقدم به على مائدة الطعام.. يبدو أنه ميعاد الغداء.. أو الفطور.. لقد تذكر أنه في الشهر الكريم..

شكرًا لك سيدي على أنقاذك لأيلان.. هكذا هي شهامة المصريين كالعادة..

التفت ناحية الصوت.. تبدو كوالدة أيلان، رد عليها عمر بصوتٍ منخفضٍ بسبب تعبته فقط..

لا شكر على واجب سيدتي.. المهم أنه بخير والحمد لله..

عمل الرجل على أن يتعرف عمر على الضيوف..

هذه زوجتي..

ثم أشار للضيوف ..

و هذا سعد أخي وصاحبي وهذه أبنته رقية طيبة وهي من عالجتك ..

التفت إليها عمر وهز رأسه شاكرًا، فأكمل الرجل كلامه..

ليست طيبة بالضبط ولكنها في كلية الطب، لكنها ماهرة قليلًا فأعتبرناها طيبةً من الآن ..

ابتسم الجميع ..

و هذا مهند في نفس عمر أيلان.. ثلاثة سنوات، سنفطر جميعًا هذه الأيام حتى يأذن لنا الله بالرحيل..

تعجب عمر ..

سترحلون أنتم أيضًا؟!!

نعم ... سنهاجر كندا ونقيم عند أختي هناك، الأمور ستكون صعبة قليلًا خصوصًا في إجراءات السفر..، سنسافر

لتركيا أولًا وسنقيم عدة أيام هناك إلى أن تصل ألينا مصاريف السفر لكندا ..

كان عمر قد شرد ذهنه، تذكر أسامة وزوجته.. هما أيضًا سيرحلان ..

جميعكم سترحلون؟!، جميعكم ستتركون أوطانكم؟ من سيبقى هنا أذن بعد رحيلكم؟!!

قالها مهمومًا، رد عليه الرجل بهدوء ..

ماذا عسانا أن نفعل برأيك؟!، نبقى هنا ونموت؟!..

و هل ستحيا في بلادهم؟!.. هل ستحظى بحياةٍ كريمة هناك؟!!

المهم أننا سنحيا..، هل تعجبك الأمور هنا يا عمر؟!!

بالطبع لا.. لكن من سيبقى هنا إذا قررتم جميعًا المغادرة؟!!

سكت الجميع، أكمل عمر كلامه ..

هكذا أرادوا.. إما موتكم أو تشرذكم، وقد نجحوا..

تتكلم وكأنه ليس من حقنا أن نعيش ..!، أنت بنفسك لا يعجبك الوضع هنا وتريد الرحيل ..

بالنسبة لي.. أريد العودة لوطني فعلاً حتى لو كان ثمن رجوعي هو حياتي.. فأنا أريد الموت في وطني حتى لا أشعر بغربي حتى وأنا ميت، أشتهي الموت في وطني ولا أطيق العيش في غيرها ..

لا فائدة من هذه الوطنية المثالية يا عمر.. لن تنفعني هذه الوطنية عندما نموت هنا من الجوع أو العطش.. لن تنفعني هذه الوطنية عندما نعيش في دُعر كل يوم بانتظار الموت.. هل يمكنك التفكير في وطنك عندما يتعلق الأمر بأطفالك؟!، لا أعتقد بأنك ستتردد في الرحيل ولو للحظة واحدة ..

قام عمر من مكانه، ولم يكمل فطاره.. ليس تدمراً ولكنه يعرف ظروف المدينة جيداً..

سميها ما شئت سيدي، وأعتقد فيّ أنا ما شئت.. لكن صدقني لو كان وطني يتعرض لهذا ما كنت غادرت هكذا، لن نعيش حياتين مثاليتين سيدي.. لقد خُلقت لنا حياةً مثالية واحدة فقط.. أما الدنيا أو الآخرة، في النهاية أنتم من أضعتوا وطنكم يا سيدي، ليس كل الثورات نعيم، بعضها خراب..

هيمن الصمت على الجميع، بينما بدا عمر مشتتاً، سأله الرجل ..

هل أنت بخير؟!

لا أعرف ...، هل المسجد الذي كنا نصلي فيه بعيداً عن هنا ؟

حتى لو كان قريباً من هنا لن تستطيع العودة إلى حيث ما كنت يا عمر، الخروج من هنا الآن أو بدون حذر لن يكون قراراً صائباً..، قوات الجيش الحر يحاصروننا من كل جهة، وخروجك الآن سيعرضك للقتل حتماً..

بدا عمر شارداً الذهن، معنى كلام الرجل أن المسجد فقط بعيد عن هنا، وحتى لو تمكن من الوصول للمسجد لن يتذكر طريق العودة مجدداً، أنه في الجهة الأخرى من المدينة إذن، لقد فقد ماريان مرة أخرى ..!

" عاجل ... الأمم المتحدة تناشد الحكومة الإيرانية بضبط النفس والتخلي عن سياسة الاعتقالات ... "

" واشنطن تحذر رعاياها في إيران بالابتعاد عن المناطق الملتهبة بالأحداث ... "

" منظمات حقوقية تدين بشدة ما يحدث في السجون الإيرانية من تعذيب النشطاء السياسيين "

" قائد الثورة الإيرانية يصف المعارضة بالأرهابية ويتهمها بزعزعة استقرار البلاد ... "

هكذا تناقلت وسائل الإعلام ما يحدث في إيران هذه الأيام..، حملة أعتقالات واسعة تشنها الحكومة الإيرانية للمعارضة بسبب دعواتهم المستمرة للتظاهر بعدما تداول نشطاء سياسيين لمشاهد من داخل السجون لشباب ومواطنين يتم تعذيبهم لمجرد اعتراضهم على سياسة الحكومة..

كان يسعى فقط لإحداث بلبلة وتوتر في الشارع الإيراني لكن الأحداث تطورت وخرجت عن السيطرة، وهذا هو المطلوب فعلاً.. أن تخرج الأمور عن سيطرته حتى لا يمكنه التصرف حينها.. كان مستمتعاً بضجة الأخبار هذه ..

ما قطع تفكيره صوت هاتف مكتبه، رفع سماعة الهاتف بدون تردد ..

سيد شريف..، لديك اتصال هام من الدرجة الأولى وقد قمت بتحويله لغرفة الاتصالات السرية ..

حسنًا، سأتي حالاً..

أنتظر هذه المكالمات كثيرًا، تأخرت ولكنها أتت في النهاية، لقد أستسلم الطرف الآخر على كل حال وقرر تسوية الأمور معه، تحرك من مكانه وأتجه ناحية غرفة الاتصالات السرية.. وصل إليها بالفعل وفتح الباب ودخل الغرفة وأغلق الباب ورائه، وقف أمام تلك الشاشة العملاقة التي تشبه المرأة.. ضغط مفتاح التشغيل، ظهر أمامه من هو متوقع بالنسبة له.. حسين رئيس المخابرات الإيراني، كان مترددًا..

سيد حسين.. لقد أفتقدناك كثيرًا، لم أتوقع أتصالك بنا خاصة في تلك الظروف التي تمر بها البلاد !..!

رد عليه حسين بلهجة حادة بعض الشيء ..

لا.. لقد كنت تتوقع ذلك، بل أنك كنت تنتظر ذلك أصلاً، تعلم جيداً أنني سأتصل بك لأحذرك بالأستمرار فيما تفعل، عليك بإنهاء ما بدأته سيد شريف ..

أرتسمت علامات عدم الفهم على وجه شريف..

مهلاً.. مهلاً سيد حسين، لا يعني تعاطفنا معكم أنه يكون لديكم الحق في اتهامنا بأشياء لا نفهمها حتى...، ماذا فعلنا كي تلقي باللوم علينا !؟

رد حسين بحدة ...

أنت تعلم جيداً ماذا فعلتم سيد شريف، تريدون الأنتقام..، لكن صدقني سيكون ردنا أعنف من ردكم أن لم تنهوا ما بدأتموه في بلادنا..

حقيقي أنا لا أفهم ماذا فعلنا ليكون كلامك معي بهذه الطريقة !..، ولا أعلم ما ذلك الشيء الذي بدأناه والذي علينا أننهائه حالاً، لكن دعني أسألك سيد حسين.. ماذا فعلتم أنتم كي نرد نحن رداً قاسياً والذي تهددني بأن ردكم أنتم سيكون أعنف !؟ وعن ماذا أصلاً سيكون ردكم أعنف !؟

لم يجد حسين رداً عليه، أكمل شريف كلامه ..

أنتم لم تفعلوا شيئاً يثير غضبنا، أنتم لم تقوموا بقصف طائراتنا أو اختطافها مثلاً ووقعنا في أزمات سياسية مع دول عربية وغربية، لا شيء يدعو لنتنقم لأجله سيد حسين ..

قاطعته حسين ليحسم الأمر..

سيد شريف.. هذا الأمر يختلف عن ذلك، تداعيات ما حصل في حادث طائرتكم بسيطة ويمكن حلها، لكن ما بدأتموه أنتم هو الأخطر على الإطلاق.. مظاهرات تتعلق بقلب نظام الحكم ولعلك تدرك سيدي ما هو الفرق بين هذا وذاك، عليك بإنهاء هذا كما بدأته..

حتى الآن لا أدري لماذا تربط بين ما يحدث في بلادك وبيننا نحن!، لكن دعنا من هذا كله.. ما هو سبب اتصالكم بنا!؟

قالها وقد أرتسمت أبتسامة علي وجهه تظهر لخصمه أنها سخرية.. سخرية جعلته يغضب في حديثه معه ..

سيد شريف أن لم تنهي ما بدأتموه صدقني سيكون عقابكم قاسي جدًا.. وأنت تدرك معنى كلامي جيدًا، حتى الآن الأوضاع عندكم غير مستقرة.. لا تدعني أستخدم أساليب في معاقبتكم ..

قطعه شريف في حزم ..

سيد حسين.. أنت لست في وضع يسمح لك بالتهديد..

قالها شريف وقد أستغرقوا ثواني من الصمت في نظرة قاسية بينهم ..

و بالنسبة لأساليبك التي تهددنا بها فعليك أستخدمها لتُنهى مشكلتكم أولاً ..

أقترب كثيرًا من الشاشة ..

و الآن أعذرني سيد حسين.. عليّ إنهاء اتصالنا هذا، لدينا الكثير من مشاكلنا الداخلية ما يكفي لعدم ضياع وقتٍ أكثر من هذا.. سلام

أغلق الاتصال وقد شعر بنشوة الانتصار، على كل حال كان الانتقام قاسيًا، بعض الوقت فقط وتنتهي هذه المشكلة هناك لكنها ستستنفذ منهم الكثير ..

جلس على مكتبه من جديد ويغمره شعورٌ مختلف.. شعور الرضى، فجأة سمع صوت أحدهم يطرق الباب بسرعة.. ماذا هناك!؟

أدخل ...

دخلت مساعدته مبتسمة، هناك خيرٌ سار على الأقل..

سيد شريف.. هناك خيرٌ هام ..

تلهف شريف لسماعه، هز رأسه مستمعًا ..

لقد رصدنا عمر وماريان أخيرًا..

المفاجأة جعلته يقفز من مكانه، أكملت هي..

هم في طريق العودة إلى هنا سيدي، ساعاتٌ فقط وسيكونان هنا في مصر ...!

قبل أسبوعين فقط كانت الحرب في المدينة عبارة عن مناوشات بين الطرفين أو بين أطراف المعركة كلها بعد ظهور جماعات وعصابات أخرى غير الجيش النظامي والحر.. لكن الآن.. الأمور أصبحت كارثية، لا يمر يوم إلا وتُرتكب مجزرة جديدة في المدينة وأمام عينه، مرة تُرمى عليهم براميل متفجرة من طائرات تحلق فوقهم وينتج عنها أحداث كارثية في المناطق المجاورة، مرة ثانية تدهمهم عصابات مسلحة يقتلون عشوائياً من يجدونه حياً.. مرة أخرى يتخذ أطراف المعركة الدائرة هنا المدنيين كدروع بشرية لصد هجوم الطرف الآخر، من يحارب من ومن يقتل من؟!، أحياناً تكون حياة الغابة مناسبة.. على الأقل هناك قانون ثابت فيها وهو قانون البقاء للأقوى.. لكن ما يحدث هنا هو أسوأ من حياة الغابة.. هنا لا يوجد قانون أصلاً.. أمسك بسلاح وأطلق الرصاص على من يحاربك أو من لا يحاربك أيضاً..

لقد أدرك جيداً حديث والد إيلان معه بخصوص الوطن ..، لم يعد هناك وطنًا ليدافع عنه أحد.. لم تعد هناك سوريا كي يكون هناك سوريون يدافعون عن بلادهم.. عمومًا قد نجح والد إيلان الهروب بأسرته من المدينة الأسبوع الماضي، على الأقل هذا ما يظنه، إذ أنه لم يظهر منذ أن غادر المنزل هو أو أحدًا من أسرته يوحي بوجودهم هنا، لا بد وأنه نجح فعلاً في الهروب من هذا الجحيم بطريقة ما رغم هذا الحصار المُشدد التي تعيشه المدينة..

ليلة أمس كانت مأساوية بالنسبة لعمر.. إحدى القذائف أصابت البيت الذي يختبئ فيه هو وعائلة عم سعد صديق والد إيلان، كان عمر في الخارج كعادة كل يوم يبحث عن ماريان ليهربا سوياً لكنه يرجع خائباً.. هذه المرة رجع البيت فوجده قد أنهدم.. أقرب من البيت الذي أصبح ركامًا في صدمة.. صُدم عندما وجد زوجة سعد تحت الأنقاض وقد فارقت الحياة.. بحث عن الباقي وذهنه لم يستوعب الصدمة بعد، عثر على عم سعد أيضاً تحت الأنقاض لكنه مازال يتنفس.. أنه على قيد الحياة.. حاول إزالة الأنقاض من عليه لكنه أمسكه من يده وجعله يقترب منه ليهمس له بشيء ما ..

عمر.. أرجوك أنقذهم، أهرب بهم خارج المدينة إن أستطعت..

مهند ورقية..؟!، أين هم يا عم سعد؟!، أخبرني بسرعة..

أشار سعد لشيء وراء عمر، التفت عمر ورائه ..

لقد تم حبسهم في هذه الغرفة.. ذلك الحائط المنهدم قد سد عليهم الباب و هذه الغرفة بلا نوافذ كما تعلم، أرجوك بسرعة..

قام عمر بسرعة لكن الرجل شده من جديد، أقرب منه عمر مجددًا ليهمس له الرجل..

مهند ورقية أمانة في رقبتيك يا عمر، هم أخوتك في النهاية..، عليكم جميعًا بالهرب من هنا.. أرجوك..

حسنًا..، وستهرب معنا يا سيدي.. لا تقلق..

قام عمر من مكانه لينقذ أولاده لكنه لاحظ أن الرجل قد مات ..!، أسرع ناحية الغرفة المسدودة ويبحث عن شيء ثقيل ليهد تلك الأنقاض.. وجد مطرقة كان يستعملها الرجل في عمله.. لم يتردد لحظة وعمل جاهدًا ليزيل تلك الأنقاض عن الغرفة ، وبعد مجهود قد أستنفذ منه طاقته بالكامل أصبحت هناك فتحة لا بأس بها يستطيع منها أن يراها من خلالها، خرجت رقية وهي تحمل أخاها مغشيًا عليه.. حاولت أفافة أخاها ومساعدة عمر على الهدوء ليستعيد أنفاسه ..

خرج عليهم هذا الصباح وقد فقدت رقية وأخيها والديهما، الكارثة لم تقف عند هذا الحد..، لقد تسلل مهند للعب خارجًا عندما هدأ إطلاق النار في فجر اليوم.. خرج على حين غفلة من أخته ومن عمر كذلك، فزع عمر عندما أخبرته رقية بأختفاء مهند، أسرع كلاهما ليبحثا عنه بالقرب من البيت لكنهم لم يجدوا له أثرًا.. لم يعثروا عليه..!، فجأة ظهر صوت إطلاق نار مجددًا ورصاص متراشق هنا وهناك، التفت ورائه ليأخذ بيديها ويختبئًا سويًا لكنه وجدها مُلقاة على الأرض ..!، حملها بسرعة ودخل بها للبيت المنهدم، لقد أصابتها عدة رصاصات وواحدة منها أصابت قلبها.. لقد تركت الدنيا هي الأخرى ..!

لم يتبقى سواه هو والفتى الذي لم يظهر حتى الآن.. لا بد وأنه قد مات هو الآخر في مكانٍ ما، لا يعرف ما إذا كان قد أوفى بوعدده تجاه الرجل في حماية أبنائه والهرب بهما أم أنه لم يكن على قدر المسؤولية.. لكنه كذلك لم يسمح بذلك.. وكذلك الظروف كانت ضده..

يختبئ بين أنقاض البيت وبجانبه جثمان رقية على أمل أن يظهر مهند، وهي الأمنية الوحيدة التي تحققت حتى الآن.. لا يعرف أن كان يشعر بالفرحة لأنه رآه أخيراً أم بالصدمة حينما كان يستعد لعبور الشارع وسط إطلاق النار هذا، صرخ فيه عمر..

مهند.. أبق مكانك.. ليس الآن..

لكن الأوان قد فات.. خرج مهند من مخبأه في إحدى المحلات التجارية المدمرة أمام البيت مسرعاً باتجاه عمر عندما توقف إطلاق النار لثواني..!، فجأة عاد إطلاق النار مجدداً ومهند في منتصف الطريق، كان من الطبيعي أن تصيب أحداها الطفل.. دفعته قوة الرصاصة عدة خطوات للوراء، وبحركة لا إرادية خرج عمر من مخبأه لينقذ مهند وليتفادى الطلقات لم يحمل الطفل مباشرة بل أسرع من مكانه ليعبر للجهة الأخرى وسحب مهند من ذراعه حتى وصل بنجاح.. أسرع ليطمئن عليه، ليست رصاصة واحدة..!، واحدة في ذراعه الأيمن والأخرى في كتفه الأيسر.. لكنه ما زال يتنفس..، سأله الطفل بصوتٍ ضعيف وكأنه لم يدرك الألم بعد..

أين رقية يا عم عمر؟! أين أختي؟!، أريدها أن تعالجني.. هي تعرف كيف تعالجني..

وجد عمر فتحة في المحل التجاري الذي كان يختبئ به مهند، تطل هذه الفتحة على شارع آخر، أتجه به مسرعاً إلى اللامكان..، يجرى نحو أي شيء ينقذ به مهند، سأله عمر بحدة..

لماذا خرجت دون أستاذان يا مهند؟! وأين كنت أصلاً..!؟

رد عليه بضعف وكأنه بدأ يفقد وعيه..

كنت في المكان الذي دُفن فيه والداي، كنت أزورهم في أول يوم لهم في وحدتهم تلك، ظننتهم جائعين.. لكنهم لم يردوا عليّ، فتركت الطعام أمام قبرهم وأسهرت بالرجوع لكنني رأيت أن الحرب قد عادت..

كان عمر يجري مسرعاً ليجد من ينقذ مهند أو أن أحدهم يعرف مكان مستشفى، بدأ الطفل يشعر بالألم تدريجياً وكان يهذي بكلام، سأله..

لقد ماتت..؟!!

توقف عمر للحظة محدقاً بالطفل.. كيف عرف؟!، واصل الجري لمكان آمن، أكمل الطفل هذيانه..

ماتت رقية ولم تستطع علاج نفسها؟!، يا لحماقتها!..، رغم أنها كانت طيبة إلا أنها كانت تكره الأدوية لو تعبت يوماً ما، لكنها كانت تحب أن تكون السبب في شفاء الناس ..

نظر الطفل لعمر وهو يحاول جاهداً أنقاذه..

لكن لماذا يتقاتل العالم كله هنا يا عم عمر؟! لماذا يتقاتلون أصلاً؟!، لماذا العالم ليس مثل أختي يحبون مساعدة غيرهم؟!، أقسم بالله لن أسكت سوف أخبر ..

سكت الطفل فجأة بينما دخل عمر مسجداً.. كان في الواقع عبارة عن مستوصف، كان الجرحى والمصابين المتضررين من المناطق المجاورة يتعالجون هنا بسرعة، وضع عمر الطفل على إحدى السرائر وبدأ فعلاً بالصراخ.. الألم يشتد خاصة بعد تدخل الطبيب لعلاجها لكن عقله لم يكف بالبحث عن من يستمع لشكواه.. يريد أن يشتكي العالم كله لكن لمن؟! لوالديه اللذان توفيا بالأمس أم لأخته التي ماتت اليوم.. حتى لو كانت أخته حية.. لم تكن لتفعل شيئاً هي ضعيفة ..

بعد أن ترك عمر الطبيب يقوم بعمله سمع أحدهم ينادي عليه، التفت ناحية الصوت وتفاجئ حين رآها مجدداً.. أنها ماريان!..، رحبت به بلهفة ...

عمر.. كيف حالك؟!!

الحمد لله.. بخير، من الجيد أن أراك مجدداً..

ماذا بك يا عمر.. هل أنت بخير؟!، أفصد لماذا أتيت لهذا؟!!

التفت ناحية الطفل ليخبرها بأصابة الطفل لكنه وبالرغم الصخب الموجود في المسجد لكنه سمع صراخ الطفل

...

آآآآ.. وآآآآ.. وآآآ آخبره.. سوف آخبره بكل شيء.. سأخبر الله بكل شيء..

وكان الزمن توقف عند هذه اللحظة، دُعر عمر وكان أحدهم قد هدده بحياته..!، هذا الطفل سيخبر الله بكل شيء؟!، لكن الله يعلم كل شيء حقًا.. لكنه بالتأكيد سيستمع لذلك الطفل.. طفلٌ لم يرى في حياته إلا الدمار.. لم يرى سوى هؤلاء الذين يموتون كل يوم أمام عينيه.. لم يرى سوى نقص الغذاء والماء والحصار كل يوم.. لم يرى سوى طائرات ترمي بقنابل ورجالٌ يقاتلون بعضهم ليلاً ونهارًا..

جذبتة ماريان من ذراعه ليستفيق من شروده..

ماذا بك يا عمر؟! هل أنت بخير..؟

كان قلبه يخفق مما سمعه الآن، التفت إليها وكان قد تذكر شيئًا..

لماذا أنتي هنا يا ماريان؟!، وكيف حال أسامة وزوجته؟!!

أخفضت ماريان رأسها.. كان الحزن بادي عليها جليًا، تعجب من صمتها فسألها..

ماذا حدث يا ماريان..؟!!

أجابته والحزن يظهر حتى بصوتها..

لقد مات رضيعهم تحت الأنقاض يا عمر..

صُدم عمر من سماع خبر أعتاد سماعه ورؤيته يوميًا، أكملت ماريان..

بعدها غادروا المكان ولم أعرف مكانهم.. أقترحوا عليّ الرحيل معهم لكنني رفضت ذلك لأكمل بحثي عنك،

أثناء بحثي عنك وجدت طاقم القناة التي كنت أعمل بها..

جاء أحدهم من ورائه وأرابت على كتفه، التفت عمر إليه.. أنه الطبيب، التفت بسرعة لمهند فوجده نائمًا، التفت للطبيب مرةً أخرى..

يا أستاذ..، للأسف لقد مات طفلك، رحمه الله وصبرك أنت على ما بلاك..

لم يتحرك عمر.. كان كالصنم..!، محدقًا بالطفل وعيناه تذرفان الدموع.. كانت غزيرة بدرجة تعلن عن ضعفه وأستسلامه، ظلت الجملة الأخيرة للطفل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تتردد في ذهنه.. سأخبر الله بكل شيء..!، لقد مات الطفل.. مات مهند.. مات آخر من تبقى في هذه العائلة.. مات وهو يهدد الجميع بأنه سوف يخبر الله بكل شيء..!

يومهم الأخير

لم تكن لتخيل أن رحلتها تلك ستنتهي قريباً ..، وصل الأمر لدرجة الحلم.. كانت تحلم بالعودة وبالذات مع عمر، ففي اليوم التي عثرت فيه على طاقم القناة وجدت عمر كذلك بالصدفة وعلى الفور أتصلت بعمها أخيراً وطمأنته على نفسها، أمرها بالعودة مع طاقم القناة فور أنتهاء مهمة الطاقم في سوريا بعد أيام لكنه عاد بعدها بدقائق ليتعجل رجوعهم ومعهم عمر بالتأكيد.. حدّثها عن إجراءاتٍ غريبة..، سيسلكون طريقاً برياً حتى العاصمة دمشق ومنها إلى المطار وستكون هناك طائرة خاصة بانتظارهم.. لكنها لا تبالي بهذا.. المهم هو رجوعها لمصر..

ابتسمت وهي تنظر من نافذة العربة.. تنتظر تلك الساعات القادمة أن تمر بسرعة.. لا تطبيق الانتظار ..

التفتت فجأة ناحية عمر.. كان يبدو حزيناً ومهموماً.. لقد شاب شعره وظهر وكأنه عجوز.. لقد عانى كثيراً وتحمل أكثر من طاقته، فكرت للحظة.. هل يمكن أن ينجحوا هذه المرة في العودة لمصر؟!، أم أن القدر يخبئ لهم مفاجأة أخرى تبقّيهم هنا؟!، بالتأكيد هو كذلك يشك كثيراً بالعودة لمصر.. لقد اعتاد المفاجآت..

أما عمر فقد أصبح ضعيفاً.. ضعيفاً لدرجة إنه لا يقوى حتى على الكلام.. لم يعد يتحمل صدمةً أخرى، لا يعلم إن كان عليه أن يفرح أم يحزن بعودته لمصر..!، حقاً لا يعرف بماذا يشعر..، كيف سيكون استقبال والديه له خاصةً بعد ما حدث؟!، آسية.. كيف حالها الآن يا ترى؟!، وبخصوص ما حدث في رحلته الشاقة تلك.. هل عليه أن ينسى ما حدث؟!، بدا ذهنه مشوشاً.. هاجمت تلك الذكريات على ذهنه فجأة وأعلنت عليه الحرب في وقت ضعفه.. الرجل العراقي وأبنته.. لحظة قتل أخيه.. عثمان بكير.. النفق.. سوريا.. أسامة وزوجته.. المسجد.. إيلان ومهند.. سعد ورقية.. سأخبر الله بكل شيء..!

أغمض عينيه ليترد هذا التفكير.. لقد أرقق ذهنياً ونفسياً وجسدياً، فتح عينيه فجأة عندما شعر بأيد أحدهم على كتفه، أنها ماريان..، نظرت إليه وسألته ..

عمر..، هل أنت بخير؟

هز رأسه أيجاباً ولم يتكلم، ابتسمت ثم عزمت على بث الأمل له ..

أمامنا نصف ساعة تقريباً ونصل مطار دمشق، قريباً سنعود ...

أشارت له عبر النافذة للمدينة من الخارج ..

أنظر يا عمر .. العاصمة هنا تبدو هادئة جداً وكأننا لسنا في سوريا .. زملائي أخبروني أن ما يُداع في الفضائيات بشأن الحرب في سوريا لا يحدث سوى في الأرياف .. ريف دمشق، ريف حلب، ريف اللاذقية وكذلك ريف الحسكة الذي كنا فيه، أما المدن نفسها فهادئة جداً ..!

جذب أنتباهه ما يتم أذاعته في التلفاز داخل عربة الطاقم، كان المذيع يتكلم بالإنجليزية لكن ما جذب أنتباهه فعلاً تلك المشاهد التي لا يتمنى أن تكون هي التي في مخيلته ..

المشاهد لصور طفل منكب على وجهه على شاطئٍ ما، لكنه بنفس الملابس التي رآه بها آخر مرة، الصور أوضحت وجه ذلك الطفل .. زادت ضربات قلب عمر فجأة .. شعر وكأن العالم كله يتآمر عليه ..!، بدأ نفسه يزداد ويزداد صعوبة، بدأ يستوعب الصدمة، أقترب من الشاشة ..

إيلان؟!، هذا إيلان ..؟!، مستحيل ..!

وقفت ماريان بجانبه وتبادل نظراتها بين الطفل الغريق وعمر، سألته ..

هل تعرف ذلك الطفل يا عمر ..؟!!

بدأ صوته يشوبه التوتر وماريان لا تفهم، تحاول تهدئته ..، بدأ صوته يرتفع ..

لا .. ليس أنت .. أخبرني يا إيلان أنه ليس أنت، أخبرني بذلك يا فتى .. لا تمت أرجوك .. أجبني .. أجبني يا إيلان ..

بدأ يشعر بدوار.. ضعفٌ يسري بجسده، بدأ يفقد توازنه، بدأ التشوش بعينه.. ثم.. ثم لا شيء بعدها!.. فقد
عمر وعيه تمامًا وسط ذهول من ماريان وطاقم القناة!..

قبل أسبوع

مر أسبوعًا كاملاً على عودته لمصر أخيراً وحتى الآن لم يصدق بعد أنه عاد، لقد أصبح الأمر بالنسبة له أسطورياً.. كل شيءٍ تغير هنا..، كانت هناك أخبارٌ سيئةٌ وأخرى كانت عادية..

حزن كثيراً على وفاة والده.. لقد تسبب بأزمةٍ قلبية له حين رآه يقتل أخيه، والدته كذلك كان أمرها منطقيًا.. فرحة بعودته لكنها فرحةٌ مكسورة.. فرحةٌ ممزوجة بفقدان أبنها الآخر وكذلك زوجها..

التفت ناحية آسية التي كانت نائمةً، ابتسم.. لقد كان سيفقد عقله حين رآها تمشي.. نسي كل ألامه حين وجدها قد تخلصت من عجزها، تذكر أيضاً حينما أخبرته أن والدتها قد توفيت..

أحمد وأماني تزوجا.. لديهما طفلةٌ بعمر الشهرين، كانا يُحبان بعضهما ولقد جمع الله بينهما في خير..

زاره بالأمس اللواء صفوت ومصطفى وباقي زملائه في الكتيبة التي سافرت اليمن.. لقد أفتقدتهم جميعاً، أستعجله اللواء صفوت للشفاء كون الرئيس وجه دعوةً رسمية لهم بحضور احتفالية لثورة يوليو في جامعة القاهرة، وسيكون هو بالذات ضيف شرف تلك الليلة بسبب تلك الرحلة العجيبة التي خاضها..

تقلبت آسية على الأريكة وألقت بنظرها على عمر.. أضاءت وجهها بأبتسامه حين رآته جالساً على سريره، قامت من مكانها وجلست بجانبه، رفعت حاجبها وهي تشك في أمره...

أراك أستيقظت باكراً..، لهذه الدرجة قد سلبت هي تفكيرك!؟

نعم.. لقد سلبت عقلي وقلبي منذ أول مرة قابلتها..

مسكته من ملايسه وهي تهدده..

سأقتلها.. لن أسمح لأحد بأن يسرقك مني، أنت لي فقط.. شئت هذا أم أبيت..

ضحك عمر ..

ستقتلين من يا مجنونة..!؟

ماريان.. تتغزل فيك منذ أن عدتما، وأنت تبتمس كلما تكلمت هي..

تعالت ضحكته..

و الله مجنونة.. من يمكنها أن تسلب عقلي وقلبي غيرك!؟، هل ستصدقيني لو أخبرتك أنني لم أقابل غيرك في حياتي!؟

نظرت إليه بشك، ابتسمت ثم اقتربت منه أكثر.. ألصقت جبهتها بجبهته، و بصوتٍ خافت ..

سأصدقك هذه المرة، لكن دعني أسألك، متى عليّ أن أنجب لك مريم!؟

بالتأكيد.. أنا جاهزُ الآن ..

أحمر وجهها خجلاً.. ابتسمت ثم احتضنته..

يوم الحادثة - النهاية -

تمنى لو أنه يُصاب بالزهايمر يوماً ما، تطارده ذكريات رحلته المريرة كلما سَلَم نفسه للتفكير.. ذكريات تشبث بعقله وترفض الرحيل ولو بالقوة.. حتى الآن لا يعلم إن كان سعيدياً بعودته أم أن الأمر لم يعد مهماً من الأساس، لقد أصبح يفكر في طريقة للتخلص من التفكير!..

أربتت والدته على كتفه وأخرجته من تفكيره، لاحظت شرود ذهنه..

عمر..، هل أنت بخير!؟

سكت عمر للحظات.. بدا خجولاً، ينكس وجهه في الأرض.. لا يستطيع النظر في عيني والدته..

سامحيني يا أمي، لم أقصد أن..

قاطعته..

لا أريد التحدث في هذا الموضوع يا عمر، ما حدث قد حدث وليس بمقدورنا أن نغيّر شيئاً قد حدث.. لكننا قادرين على التعامل معها حتى لو لم نستطع النسيان!..

أمسحت دمعة قد هربت منها..

أنا وآسية جاهزتان.. لا تتأخر فهم ينتظروننا أمام الفندق..

هز عمر رأسه إيجاباً.. فيما هي خرجت من الغرفة لنتظرهما خارجاً، كانت تفكر في تلك الحادثة.. حادثة كان ضحاياها أبنها وزوجها والسبب هو أبنها الآخر!..، هي تعلم أنه لم يقصد قتل أخيه وهذا ما جعلها تسامحه على كل حال.. حتى لو قليلاً.. بل لو لم يقتله لكانت قد فقدت كلاهما.. كان أدهم سيقتل عمر وبذلك لن ترى

كلاهما مرةً أخرى، بالتأكيد هذا ليس مبرراً لقتل أخيه لكن أن ترى أحدهما خيرٌ من أن تفقد كلاهما.. وأدهم لم يكن ليسمح بذلك !..

خرجت لانتظرهم خارج الغرفة، دقائق وخرجت آسية ومن بعدها عمر من الغرفة ليغادروا جميعاً الفندق الذي حددت فيه قوات الأمن أقامتهم هذا اليوم إلى أن تنتهي إحتفالية اليوم بذكرى ثورة يوليو ١٩٥٢ بعد أن تمت دعوة عمر ليكون ضيف شرف هذه الليلة بأعتبره ذلك المجند الذي قام بخدمة وطنه بتجنيد المخابرات المصرية له في أكثر التنظيمات الإرهابية تطرفاً، ركبوا جميعاً السيارة المخصصة لنقلهم إلى جامعة القاهرة حيث ستقام الأحتفالية هناك بحضور رئيس الجمهورية وعدد من قيادات الدولة ..

شرد ذهنه مرةً أخرى.. هل الشهرة التي يحظى بها الآن حقيقية أم زائفة ؟!

أولاً هي جاءت على حساب أخيه، أما ثانياً فهو لم يكن عنصر أستخباراتي ولم يعمل يوماً مع المخابرات، ليس إلا منذ عزمه قتل عثمان..

توقف الموكب فجأة وهذا ما أخرجه من دوامة تفكيره.. نظر لذلك المبنى القديم ذو القبة التي تُميز جامعة القاهرة.. مبنى قاعة الأحتفالات الكبرى بالجامعة، يبدو المشهد رائعاً.. خاصةً عندما تكون أحد أهم ضيوف هذه الليلة ..

تحركوا لداخل المبنى ومروا بالإجراءات التفيشية الاعتيادية..

جميعهم رأوا ماريان التي كانت لها الأولوية لنقل أحتفالات الليلة على التلفزيون المصري ببث مشترك مع قناة " exclusive news "، " BBC Arabic " .. كانت تقوم بتغطية الأحداث خاصة مع وصول الضيوف..

كانت آسية تشعر بأنها أسعد من في العالم.. رجوع عمر بالسلامة.. الشهرة التي يحظى بها.. كونها أصبحت من الضيوف المهمة هذه الليلة.. شعوراً رائعاً ومُبهِجاً، فجأة التفت ليسارها بطريقة أثارت أنتباه عمر، التفت هو أيضاً، سألها..

آسية..، أتبحثين عن أحد؟!

لم تسمع سؤاله لأنها كانت في عالم موازي.. قبض قلبها فجأة.. كانت تبدو متوترةً تبحث بين وجوه الحاضرين عن أحدهم، ذلك الذي كان من المفترض أن يراها بعدما ماتت والدتها، ذلك الذي كان من المفترض أن يكون أول من يساعدها في أزمته، تساءلت.. هل هو حقًا من رأته؟!، لا لا مستحيل..، لا بد وأنها يُخيل إليها فقط.. لكن لماذا؟!، لماذا الآن بالذات تذكرته؟!، تنبته لعمر الذي يبدو وكأنه كان يُحدثها وكذلك والدته التي كانت تلتفت للمكان التي شردت آسية بذهنها ناحيته..

سألها عمر..

آسية..، هل أنتي بخير؟!

بدت آسية متوترة..

نعم بخير، لقد تذكرت فقط والدتي..، كنتُ أتمنى أن تكون معي في هذه اللحظة..

أحتضنتها والدة عمر، قاطعتهما عمر عندما رأى أن أغلب الحاضرين يدخلون قاعة الأحتفالات..

علينا أن ندخل الآن.. هيا..

في غصون ربع ساعة تقريبًا كان جميع الضيوف في أماكنهم المحددة لهم، الجميع ينتظر قدوم الضيف الأخير والأهم في هذه الليلة.. رئيس الجمهورية

آسية ووالدة عمر جلستا في الصفوف الأولى فيما ذهب عمر مع أحد أفراد الأمن لغرفة الأعداد للأستعداد لألقاء كلمة في هذه الأحتفالية..

جلس في الغرفة المخصصة له للأستعداد.. كان يشاهد على التلفاز ما يحدث على المسرح من أفتتاح لهذه الليلة.. لكنه شرد بذهنه قليلاً، يبدو قلقًا وضربات قلبه تزداد سرعة.. لا يعرف أن كان توتره هذا طبيعي بسبب ما سيحدث الليلة من تكريمٍ له ومن الرئيس شخصيًا أم أن هناك شيئًا ما سيحدث الليلة؟!، ليس من الغريب أيضًا

أن يشعر بعدم الراحة أو الأمان.. ما حدث معه طيلة رحلته هذه جعله يتوقع الأسوأ أن يحدث حتى لو كان ما يحدث أمامه طبيعيًا..

قاطعه أحدهم..

سيدي.. هل أنت مستعد!؟

هنز عمر رأسه إيجابيًا..

حسنًا.. أمامك خمس دقائق وستلقي بكلمتك أمام الجميع..

أغمض عينيه وعمل على تصفية ذهنه من كل شيء، قام من مكانه وخرج من الغرفة وقام أحدهم بتركيب ميكروفون صغير بدلته ووصل أخيرًا للممر المؤدي لخشبة المسرح مباشرة، وقف ينتظر إشارة لدخول المسرح.. أرخى أعصابه وأستعد لألقاء كلمته في هذه الليلة.. سيظهر لأول مرة بالنسبة للناس منذ رجوعه من مهمته التي كُلف بها من المخابرات - حسب ما يرى الجميع -..

في حياته لم يقف أبدًا أمام جمهور أصلاً.. كانت شخصيته خجولة نوعًا ما، وبعدها لقي ترحيبًا حارًا من الضيوف حاول تجنب نظرات الجميع له، لا يريد الأرتباك..

" - قادتني الظروف لبيت رجلٍ عراقي.. كان عسكريًا سابق في الجيش العراقي، كانت ظروفه مأساوية.. قتلوا زوجته وتم فصله من العمل.. قام بتربية طفله حتى أصبحت ملاكًا.. كان يجد قوت يومه بصعوبة وأحيانًا كثيرة لا يجدها أصلاً..

تكلّمنا كثيرًا.. أستمتعت بكلامه كثيرًا، قادنا الحديث في النهاية إلى رسالة.. رسالة لكم.. للمصريين.. لو كنتُ حيًا ووصلت لمكانة كهذه وخدمتني الظروف لأخبركم هذه الرسالة فستكون هذه أمانة وعليّ أن أسلمكم هذه الأمانة..

يخبرني الرجل في رسالته لكم..

يا أهل مصر.. أنتم لم تدركوا النعمة التي بين أيديكم.. جيشٌ قوي يحميكم.. تنامون مرتاحين على سرائركم.. تتعلمون وتتسوقون.. تأكلون وتشربون.. تلبسون وتفرحون في الأعياد.. تحزنون لو حدث حادثٌ أروابي كل حين.. على كل حال أنتم على قيد الحياة وتُطبق عليكم قوانين الحياة، أما نحن.. ميتون ورغم ذلك نخاف الموت كل يوم..!، تفجيرات ومذابح كل يوم.. لا طعامٌ هنا ولا ماء إلا ما يأتينا من مساعدات.. أمراضٌ منتشرة هنا ولا علاج يوقف هذا المرض.. لا تعليمٌ هنا... لا أمن ولا أمان..

لدي عرضٌ ربما تقبلون به.. ماذا لو أعطيتمونا جيشكم مقابل ما تطلبوه منا.. مقابل أعز ما نملك؟!، رغم أننا لا نملك شيئاً أصلاً لنبادلكم به جيشكم..

ربما كانت أمنية كل عراقي أن يمتلك جيشاً مثل جيشكم لكن ليست كل الأمانى تتحقق..

كانت منطقتنا هذه تقوم على ثلاثة جيوشٍ قوية ولكن لم يتبقى منها سوى جيشكم.. أنتقدو جيشكم كيفما شئتم لكن لا تفككوه أو تدمروه أرجوكم..

أدعمو جيشكم ولا تسمحو لمن يعرف قيمة جيشكم جيداً أن يفككه عبركم أو من خلالكم..

لا تُخطئوا مثل خطأنا نحن.. نحن أسقطنا جيشنا بأيدينا في سبيل الحرية.. وها نحن ندفع ثمن حريتنا تلك..

سأدعو الله أن يحفظكم من كل سوء..

سكت عمر للحظات ...

- ... وهذه كانت رسالة هذا الرجل أليكم، الرجل الذي فقد زوجته وأبنته في حادثتين مأساويتين.. رحمهن الله وصبره الله على ما بلاه..، لا أعرف أن كان يشاهدني الآن أم لا، لا أعلم إن كان حياً أم فارق الحياة هو الآخر.. هناك من تقابله لمرة واحدة فقط في حياتك لكنه يعلق بذهنك للدرجة التي تجعلك تتمنى لو تقابله مرة أخرى .

سكت للحظات قليلة، لكنه عاد ليختم خطابه ..

لم يعد لي كلامًا آخر لأقوله بعد رسالة هذا الرجل، أتمنى فقط أن تتأملوا كلامه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. "

أنتهى من خطابه القصير ثم أبتعد بضع خطوات عن المنصة وسط تصفيق حار من الجمهور في القاعة، كان الرئيس قد قام من مكانه وصعد المسرح وتبعه شخص آخر ويده علية زرقاء مفتوحة... قلادة النيل..

وقف عمر مكانه يستشعر هيبه أقترب الرئيس منه..، فجأة عاوده شعور القلق مرة أخرى.. يشعر بأنقباض قلبه.. شرد بذهنه لثواني قليلة.. لماذا شعر بذلك فجأة.. لقد تجاوز شعور أن يقف أمام جميع قيادات الدولة بما فيهم الرئيس نفسه مخاطبًا.. فماذا حدث أذن؟!، لكنه عاد وأصطنع أبتسامه تُنسيه فقط ذلك الشعور على الأقل في اللحظات القليلة القادمة.. أقترب الرئيس منه ويده القلادة.. تحرك هو أيضًا تجاه الرئيس..، الرئيس بنفسه سيقلده أعلى وسام في البلاد.. ما رآه في رحلته تلك جعله يتنبأ بما كل هو سيء آت ..

بعد أن تم تقليده قلادة النيل ابتعد خطوتين عن الرئيس ثم تذكر أن سلم المسرح في الجهة الأخرى فالتفت ومر أمام الرئيس.. ولكن... لكن..، لكن لا شيء بعدها إلا دمّ تناثر فجأة على وجه الرئيس!..

فزع الرئيس عندما وجد تلك الدماء على وجهه.. مال جسد عمر عليه فجأة، لقد قُتل عمر في لحظة.. وقبل أن يقع الرئيس به كان الحرس الخاص به قد أحاط به ويحاولون حمايته والخروج من المكان فورًا...

المكان حولها مضطرب.. الجميع يجري هنا وهناك في فزع.. الأضطراب والذعر والخوف يسيطرون على المكان..

إلا هي.. ما زالت تجلس على كرسيها محدقة بعينيها على عمر الذي قُتل لتوه، لم تستوعب الأمر بعد.. لم تهنيء به كثيرًا، بعد كل هذا الغياب وبعد أن يلتقيا مجددًا يذهب بهذه السهولة!؟

قامت من مكانها متجهة نحوه.. تخطو الخطوة تلو الأخرى في أرتباك وعيناها مثبتتان على زوجها الميت على المسرح.. لا تسمع ولا ترى غيره، عيناها تفيض بدموع الحسرة والألم، صعدت سلم المسرح وتوجهت نحوه.. جثت على ركبتيها بجانبه.. وضعت رأسها على صدره.. أدركت أنه ليس هناك نبض، خطر على بالها أمرٌ ما..، عندما ألتحق عمر بالجيش أول مرة أخفى أخيه فجأة وأستمر اختفاؤه إلى أن أتضح في النهاية أنه ألتحق بتنظيم أرهابي..!، كذلك الأمر مع أخيها.. سافر ليعمل بقطر لكنه لم يظهر بعدها والشركة التي كان يعمل بها هنا في مصر أخلت مسؤوليتها عنه بعدما أستمر غيابه من فرع الشركة في دولة قطر.. أخفى منذ تلك اللحظة لكنها ظنت أنها تخيلت أنها قد رأته اليوم، لكن يبدو أن الحقيقة واضحة.. أخوها يوسف يعمل مع تلك الجماعة الإرهابية مثلما عمل أخو عمر.. التفتت لعمر وهي تحدثه وتهمس له كأنه مازال حيًا ...

هو من قتلك..، لم أصدق نفسي حين لمحتك اليوم، ظننتي أهلوس أو فقط أتخيل ..!

تساءلت..

.. لماذا فعل هذا بك؟! لماذا قتلك يا عمر؟!، لماذا أنت بالذات؟!.. لقد تأمر أخوك وأخي ضدك..

رفعت رأسها ونظرت لوجهه وعيناها غرقت بالدموع ..

صدقني ليس هناك حياةً بعدك.. لن يطول الأمر حتى ألحق بك.. سألاحقك أينما ذهبت.. لن أتحرك من مكاني هنا حتى تأخذني معك.. لن أبقى هنا لوحدي..!، أتفهم؟! لن أبقى هنا وحدي ..

أنفجارٌ آخر يهز المكان بعنف وجزء من السقف يقع هذه المرة.. لقد وقع السقف عليهما وحصيلة القتلى تزداد نفرًا.. لقد رحلت آسية كذلك ..!

" قبل لحظات "

كان ضمن الفريق الأمني المسؤول عن تنظيم الحفل داخل قاعة الاحتفالات الكبرى...، كان يقوم بتوجيه الضيوف من الصالة الرئيسية لمكانهم المحدد داخل القاعة، لكنه صُعق عندما رأى أخته تنزل من سيارة خاصة بنقل صاحب الفيديو الشهير " عمر" .. كان يعلم أنه قد تزوجها وكان يساعدها لتجاوز أزمته لكنه لم يعلم أنها قد تعافيت ولم يتوقع كذلك حضورها الليلة.. ظن أن الدعوة أقتصرت على عمر فقط ..!، لكن لا يبدو الأمر كذلك.. لكنه أيضًا لديه تعليمات بتنفيذ مهمته الليلة وفي اللحظة المناسبة سيبدأ هو تلك الليلة الكارثية، حاول أن يتوارى عن الأنظار سريعًا قبل أن تلاحظه آسية..

وفي أحد الممرات الفرعية للصالة الرئيسية وقف يوسف مستندًا على الحائط.. رجع بذاكرته للوراء..

" كانت تجلس في الصيدلية معه.. تُذاكر محاضراتها الأخيرة، أو هكذا بدا له في البداية.. الغريب أنه كان يتابعها بتركيز.. لحظات تشرد بذهنها ثم تعاود لقراءة ما بيدها من ورق فتشرد مرةً أخرى وتبتسم كل حين ثم تعود لتتنظر في أوراقها ..

ما الذي يشغل بال أميرتي!؟

التفتت إليه آسية، تعجبت من سؤاله ..

لا شيء.. هناك مسائل صعبة في مادة الأحصاء أحاول إيجاد حلول لها ..

و هل هذه المسائل هي من تجعلك تبتسمين هكذا!؟

أحمر وجهها فجأة حاولت أنكار هذا ..

ابتسم!؟، لا.. لم أقصد هذا طبعًا..

حسنًا.. دعيني أخبرك أن المسألة الصعبة التي لم تجدي لها حلًا هي مسألة عاطفية، وغالبًا أنتي تفكرين في الطريقة المناسبة لأخباري بهذه المسألة الصعبة لأخبرك بحلها..، أليس كذلك..!؟

توترت بخجل.. تنظر لعينيه ثم تبعدهما، لم تتحمل نظراته..، ابتسمت وأحمر وجهها خجلاً، خفضت رأسها بخجل ثم نظرت إليه مرةً أخرى لتجده مازال يحدق بها ..

ماذا..!؟

أنتظر لتخبريني بالمسألة..

ساد الصمت المكان للحظات طويلة ثم همت بأخباره ..

في الجامعة قابلتُ ...

دخل شخص الصيدلة فجأة، آخر شخص كانت تتوقع أن يأتي لهذا المكان.. عمر.. أتسعت عيناها من المفاجأة وظلت محدقةً به لثواني..

كان الأمر طبيعياً بالنسبة لأخيها لذلك كان بديهياً أن يفهم أن هذا هو الشخص الذي كانت ستتكلم عنه الآن.. ارتباكها كان واضحاً، فبعد صدمة رؤيته فجأة ظلت تلتفت برأسها ما بين عمر وأخيها، نظر أخوها للأوراق التي أمامه وكأنه لم يفهم شيئاً ..

أعطى عمر روشنة لآسية ..

أريد صرف هذه الروشنة من فضلك ..

قالها وقد ارتسمت ابتسامة ماكرة على وجهه، قرأت الروشنة وتحركت بارتباك لصرفها..، عمر يقف مكانه وهو يتأمل ارتباكها..، صرفت له الروشنة كما علمها أخوها وأنصرف عمر، ظلت للحظات بعدها جالسة والصمت يُخيم على المكان أيضاً..

علينا أن نكمل كلامنا، ماذا كنتي ستقولين!؟

التفتت إليه بتوترٍ جعلها تجمع أوراقها ..

أعذرني يا يوسف.. لقد أكتشفت أن الوقت ضيق والمُذاكرة كثيرة، عليّ الذهاب للبيت حالاً والتركيز جيداً.. سلام .

غادرت بسرعة حتى دون أن تنتظر رده ... "

عاد لواقعه من جديد بعدما تعالت الأصوات من حوله بعد وصول موكب الرئيس أمام مبنى القاعة ..!، تحرك بسرعة ناحية غرفة ما.. كانت مظلمة، فتح جزءاً بسيطاً من النافذة المُطلّة على القاعة من الداخل.. كان يقف أمامها رجلي أمن المسافة بينهما محددة كما هو مخطط له، جهّز سلاحه ووضع ماسورة السلاح على قاعدة النافذة مصوباً فوهته ناحية الفتحة الصغيرة التي يُقيها الرجلان بينهما ليطلق يوسف رصاصته.. بعد وصول الرئيس وجلوسه في المكان المخصص له خرج عمر وألقى تلك الكلمة الأفتاحية لهذه الليلة ..

كان ينتظر لحظة بعينها لتكتمل مهمته هذه الليلة.. لا يريد أن يكون الهدف متحرّكاً.. الأفضل يكون ثابتاً ولو للحظة واحدة فقط لتفادي أي خطأ يمكن أن يحدث على سبيل الصدفة حتى، ضبط سلاحه وتحرك بعدسة السلاح مع الهدف وتبعه حالما يقف ويثبت للحظة ثم يطلق الرصاصة.. الخطأ ممنوع، يريد هو بذاته أن ينال شرف أعتياله، ضغط على السماعة التي في أذنه وهمس فيها ..

أنا جاهز تقريباً ... ثواني قليلة وستُنفذ المهمة، أستعدوا أنتم كذلك..

تحدث في نفسه ريشما يثبت هدفه ..

آسف يا عزيزتي، سامحيني يا آسية.. لم أعلم أنك ستحضرين حفلة الليلة، ظننتك عاجزة ولن تستطيعي الحضور، لكنني لن أفوت هذه الفرصة أبداً، آسف لم تتركي لي خياراً آخر ولا وقت لدي لتحذيرك ..

أرتسمت أبتسامه ماكرة علي وجهه..

فلنبداً أحتفالات الليلة يا سادة ..!

توقف الرئيس أخيراً في المكان المُخطط له.. كان صليب الكلاشنكوف على رأسه تماماً.. ها هي اللحظة المناسبة، ضغط على الزناد وخرجت الرصاصة وأصابته الرئيـة ! لكن ماذا حدث؟! كارثة، الرصاصة لم تصيب الهدف، تحرك عمر فجأة عندما أحتضن الرئيس فجأةً وأصابته الرصاصة، كان من المفترض أن يتصافحاً أولاً وهذا يعطيه الوقت الكافي لأصابة هدفه بنجاح.. استدرك خطأه بسرعة وفك سلاحه بخطواتٍ سريعة ووضعه في حقيبة وخرج متخفياً وسط الصخب الذي يحدث بالخارج..

لم يقتصر الأمر على مقتل عمر أو استهداف الرئيس.. حدوث سلسلة انفجارات بعد ذلك.. انفجاران هدمتا القاعة تماماً وأنفجارات أخرى طالت الصالة الرئيسية والباب الرئيسي للمبنى.. انفجارات خلفت ورائها عشرات الضحايا.. كل هذا فقط لأستهداف الرئيس..

عمر كان الضحية الأولى هذه الليلة..، والدته لم تتحمل فقدان آخر فرد في عائلتها وتوفيت بسكتة قلبية، آسية التي أصرت على اللحاق بعمر..، ماريان التي أنهدمت عليها البوابة الرئيسية بعد انفجار هز المبنى كله رحلت هي الأخرى..

لم تكن تلك نهايةً مرغوبةً فيها، لكن هذا هو الأرهاب الأسود اللعين، روجوا دائما لمقولة "الأرهاب لا دين له" لكن الحقيقة غير ذلك.. للأرهاب دين.. دين الحقد والكراهية.. القتل والدمار.. التطرف والكذب والخداع.. الخراب والظلم والفتن.. لقد صنعوا دينهم بأيديهم! ديناً جديداً.. دين الأرهاب.. تلك نهايةً محتومة...

تمت

٢٠١٨/١/٣١

عَضِين

تبدو في منتصف عقدها الثاني، أعتادت أن تنام و الحزن يرافقها..

في الشهور الأخيرة كان الخطر يطارد زوجها.. و هي كل يوم تنتظر ذلك الخبر السيء.. لا تعلم حينها كيف ستتصرف و كيف سيكون شعورها أو رد فعلها.. لا تعلم أن كانت ستموت من الصدمة أم ستبقى بقية حياتها تعيسة..!، و لكنها متأكدة إنها لن تتحمل فقدانه..، تكون على قمة العالم عندما تعلم إنه هازل حياً و إنه بخير و تكون أتعس خلق الله عندما ينتشر خبرٌ ما يوحي بأنه في مأزق أو تسمع خبر وفاته أو حتى عندما لا تعلم عنه شيئاً، لكنها كانت تمنى النفس بأن كل تلك الأخبار كاذبة و سيكون بخير قريباً، تلجأ لربها بالدعاء... و لا خاب من لجأ لربه..

